

أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ

أوراق من السيرة المغيبة عن الأمة

فوزي آل سيف

دار الوارث للطباعة والنشر



العَتَّةُ الحُسَيْنِيَّةُ المَقْدِسِيَّةُ

اسم الكتاب: أنا الحسين بن علي

تأليف: الشيخ فوزي آل سيف

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٣٢٠ صفحة

الطبعة الاولى

سنة الطبع: ٢٠٢٢م - ١٤٤٣هـ

إصدارات دار الوارث: الإصدار العاشر

التصميم والايخراج الفني: يوسف حمزة الخفاجي

الخط العربي للعنوان: جاسم حمودي النيار



دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

عراقية بجودة عالمية

العراق - كربلاء المقدسة

المكتب الرئيسي: سيف سعد خلف مخازن الغذائية

مكتبات المبيعات: مركز المدينة شارع الشهداء

+964 7435137603 - +964 7716633203

قسم الاعلام - مركز البيع المباشر +964 7435001800

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٤٥٩٠ لسنة ٢٠٢١

الترقيم الدولي: ISBN: 1-90-668-9922-978

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقوم العتبة الحسينية المقدسة - بالإضافة إلى أدوارها الكثيرة في إدارة أمور الزيارة لمرقد الإمام الحسين عليه السلام ، ومؤسساتها المنتشرة في محافظات العراق من طبية وتعليمية وخدمية وغيرها- بدور ثقافي مؤثر ومهم، ولهذا الغرض فقد أقدمت على طباعة عشرات الموسوعات ومئات الكتب الثقافية والدينية يلحظها كل زائر لمعارض الكتب التابعة لها.

وهي في ذلك تنطلق من أن المعركة الحقيقية التي تستهدف المجتمع الإسلامي هي معركة الهوية الثقافية، وسعي العدو ومحاولته استلاب الشخصية الدينية للشباب المسلم، وأنه لا سبيل في مقاومة ذلك أفضل من النشر الثقافي والعلمي الديني، وتيسير وصول الشباب إلى الكتاب الهادف ، وبالعكس.

ولعل استهزاءها في ذلك نابع من خلال ما حدث في واقعة كربلاء ونهضة الحسين عليه السلام، حيث بدأ بعد الجزء الأول منها وهو الواقعة البطولية، الجزء الثاني وهو الإعلان عن منطلقات تلك النهضة وأهدافها، والدعوة إلى دين الله كما أراده قائد النهضة سيد الشهداء الحسين عليه السلام، وتعهد بهذا الأمر الإمام علي بن الحسين وعمته الحوراء زينب عليهما السلام.

ونعم ما صنعت العتبة الحسينية المقدسة ممثلة في متوليها الشرعي سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي دام عطاؤه، وكذلك إدارة العتبة المقدسة ، وموظفوها في هذا الصعيد، نسأل الله سبحانه لهم دوام التوفيق.

وفي زيارتنا الشعبانية للإمام الحسين عليه السلام، ولقائنا بعدها بسماحة الشيخ الكربلائي تمت مناقشة طباعة كتب سيرة المعصومين عليهم السلام وهي تحاطب بالدرجة الأولى الطبقة الشابة والمثقفين، فها هو

أول كتاب منها عن الصديقة الزهراء عليها السلام : إني فاطمة وأبي محمد ..
نسأل الله سبحانه أن يتقبله منا ومنهم وأن يوفق لإتمام طباعة باقي الكتب ..
إنه على كل شيء قدير .

فوزي آل سيف

في ٥ رمضان ١٤٤٣ هـ

مقدمة

بين أيديكم أيها الأعزاء صفحات في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، هي بالدرجة الأولى وسيلة تقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عترته الطاهرة، وخصوصاً سيد الشهداء الحسين، كانت في الأصل محاضرات أُلقيت في سنوات متعددة، وحيث وجدت أن الكتاب السابق الذي يتناول الموضوع الحسيني والمعنون بعنوان «من قضايا النهضة الحسينية: أسئلة وحوارات» قد لقي قبولاً جيداً، وشجع عليه الكثير من أهل الفضل والمعرفة، حدا بي ذلك إلى ترتيب هذه المحاضرات باعتبار أنها ذات موضوع واحد، ورأيت أنها يمكن أن تكون نافعة للجيل الشاب، باعتبار أن أسلوبها يتوافق معهم كما أظن، فأقدمت على صياغتها من جديد، بما استطعت وأسأل الله أن تكون نافعة ومفيدة.

وكخريطة عامة للكتاب، فإنه بعد أن يقدم تمهيداً يبين فيه لزوم إحياء القضية الحسينية بالتعرف على سيرة الحسين على مستوى الأمة الإسلامية، يلاحظ المؤلف أن هناك تغييباً لهذه السيرة والنهضة بشكل متعمد، وبنحو واضح لو استثنينا أتباع أهل البيت فإن أكثرية المسلمين تغيب عنهم تلك النهضة في موسمها وغيره، ويرى المؤلف أن ذلك تم بشكل ممنهج حيث تم العبث في المصادر للواقعة والتغيير فيها واستبدال الصحيح منها بغيره، كما بُثت أفكار فيها وفي غيرها تنتهي إلى إبعاد النهضة وقائدها عن صورة المثال إلى صور آخر، وبدلت مناسبة عاشوراء بدل كونها ذكرى حزن لرسول الله وآله، إلى كونها أفراحاً وأعياداً ومسرات.

وبعد ذلك فقد تابع المؤلف سيرة الإمام الحسين عليه السلام من يوم ولادته إلى أيام جده المصطفى وأبيه المرتضى ثم أيام أخيه الحسن المجتبي حيث كان المنفذ الأمين لسياسات أخيه الحسن، حتى بعد شهادة الحسن عليهم السلام جميعاً.

وفيما بعده فقد تابع رحلة النهضة الحسينية من حين خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة ثم من مكة إلى كربلاء، وتعرض لشرح مقتل الامام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء بشكل مختصر، وشايح ركب الأسارى إلى الكوفة ومنها إلى الشام ومن الشام إلى كربلاء ليعود في الأربعين (أي العشرين من شهر صفر لنفس السنة) وهو الأمر الذي أثار ولا يزال يثير جدلاً بين الباحثين في القضية الحسينية عن إمكانه ووقوعه، وسيختار المؤلف إمكان ذلك وحصوله بالفعل، ويسعى لتقديم الأدلة عليه.

وكنت قد كتبت في مقدمة كتاب الإمام المهدي: عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة، ما يمكن أن يكون نافعا هنا أيضا، فقد جاء في احدى فقراته ما يلي: ولك أن تعتبرها فقرة اعتذارية « أعتقد أن من طرق الشيطان في منع الإنسان من العمل، إذا فشل في نهييه عن أصل العمل بشكل مباشر، أنه يطلب منه مواصفات استثنائية أو تعجيزية لا لأجل أن يأتي بها العامل، فلا يهم الشيطان ذلك، وإنما لكي يعجزه عن الاتيان بها.. فإذا كان يريد أن ينفق مقدار بسيطاً من المال شكك الشيطان في فائدته! واقترح عليه أن يجمعه عنده حتى يكون (شيئاً كثيراً)! فإذا أخره عن الخير ففي التأخير آفات! ولكل حادث حديث! وإذا أراد أن يقوم أول الليل مثلاً للعبادة! (أقنعه) الشيطان أن وقت العبادة الأمثل هو قبل الفجر، وتركه لينام إلى أن تطلع الشمس!! وإذا أراد الكتابة وهذا لعله خاص بالكتّاب والعلماء ومن يشابههم، (ألقى) الشيطان إليه فكرة (إما أن تكتب شيئاً يسوى أو لا تكتب شيئاً!!) وهكذا يجعله يلقي القلم من يده، والنتيجة أنه لا يكتب شيئاً!

لقد رأينا العلماء الذين خلفوا تراثاً من الكتابة والعلم، بدأوا من أوائل حياتهم بما يتيسر لهم، ولذلك اختلفت كتاباتهم بين أول كتبهم وآخرها، ولولا أنهم بدأوا لما انتهوا إلى كتاباتهم المعتمدة، ولذلك أنصح اخوتي العلماء

والخطباء ومن يشاكلهم إلى المبادرة في أن يخلفوا بعدهم (ورقة علم) تكون
نافعة لهم في أخراهم، ومفيدة لمن يقرأها بعدهم.
وهذه الصفحات التي بين يديك أخي القارئ وأختي القارئة، هي من نماذج
(فاتقوا الله ما استطعتم) ولعلها تأتي بجديد أو لا تأتي، لكنني أرجو منها الثواب
والأجر، هي بمثابة وسيلة تقرب لمن كتبت حول بعض شؤونه أسأل الله أن
يجعل فيها الأجر لمن شارك من الإخوة والأخوات في تحريرها، ولوالدي ولأهلي
ولمن يقرأها.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

٢١/٣/١٤٤٢ هـ

تاروت - القطيف

السيرة الحسينية بين الإحياء والتغيب

أصل إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام ، والاحتفاء بمناسبةاتهم والحديث عن تاريخهم وفضائلهم ليس تقليداً اجتماعياً ابتكره الناس، ولا فلكلوراً شعبياً وإنما هو مستنبط ومستوحى من كلام أهل البيت عليهم السلام . والذي ورد عن عدة أئمة منهم. فمن ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام ، أنه قال للفضيل بن يسار: تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيأ أمرنا^(١). ومن ذلك ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : (من جلس مجلساً يحبي فيه أمرنا لم يمته قلبه يوم تموت القلوب)^(٢).

ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلت هذه المراسم تبقى صامدة في طول الزمان، بالرغم من الصعوبات التي اكتنفت إقامتها وحجم العداوات التي واجهتها سواءً من الحكومات التي قاومت بما تستطيع إحياء الموسم الحسيني، أو الفئات الاجتماعية والمذهبية المتعصبة والمتطرفة التي كانت في بعض الحالات أشد وأقسى على موالي الإمام الحسين عليه السلام من الحكومات المتسلطة! والحقيقة أن إحياء الموسم الحسيني هو حياة لمن يحييه! وبه يحيون ويعيشون، ولذلك فقد يتحفظ البعض على استعمال هذا التعبير: إحياء المؤمنين للقضية الحسينية أو موسم الحسين، فإن هؤلاء يقولون الصحيح أن نقول إننا نحيا بالموسم الحسيني وذكر الحسين لأننا نحياه. نحياه، فهو أشبه بالأكسجين الذي نتنفسه. وهذا هو السبب الآخر الذي يجعل هذه المواسم باقية، ومستمرة، فكل جيل يرى أن حياته الدينية والأخلاقية مرتبطة بهذا الموسم، وما يجري فيها من الذكر والمعرفة يشحن «بطاريته» الإيمانية لمدة سنة كاملة حتى يحل الموسم الآخر وهكذا!

١- الحر العاملي، وسائل الشيعة ٥٠١/١٤.

٢- المصدر ٥٠٢/١٤.

ولأنه كذلك فإن المؤمنين يرون - مع عظم فائدته ونتأجه - أن ما ينفقون فيه من الوقت والمال والجهد هو شيء زهيد وبسيط، فضلاً عن أن الإمام الحسين عليه السلام بتضحيته وعطائه للإسلام والأمة يستحق ذلك وأكثر منه! ثالث تلك الأسباب، أن إحياء القضية الحسينية هو أفضل تعبير سلمي عن الهوية الدينية، فإذا كانت مشكلة الهوية والتعبير عنها في العالم هو من المشاكل الكبيرة التي قد تجرّ إلى صراعات سياسية وربما عسكرية.

الآن في هذا العالم يتحدثون عن أحداهم المشاكل التي تعيشها المجتمعات الإنسانية ما يسمى بتحدي الهوية.

ولكي يتضح الأمر نقول بأن الهوية تُعرفُ في اللّغة: بأنّها مُصطلحٌ مُشتقُّ من الضّمير هو؛ ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وأيضاً تُستخدمُ للإشارة إلى المَعالم والخصائص التي تميّزُ بها الشخصية الفرديّة.

وربما عرفت أيضاً بالنسبة للأمم والمجتمعات، بأنها مجموع الأفكار والعقائد التي يحملها المجتمع والمميزات (من لغة، وشخصية تاريخية، وثقافة دينية أو مذهبية) وبها يتميز عن سائر المجتمعات وهي التي تعطيه صورته الخاصة بالقياس إلى غيره.

وتحديد الهوية معناه:

أنّ هذا المذهب يريد أن يبين عقائده وشرائعه والمذهب الآخر لا يقبل فيبدأ الصراع بينهما. أصحاب هذا الدين يريدون ان يعبدوا ربهم بما يحبون، والفئة التي بيدها الأمر والنهي لا تسمح لهم بذلك فيحدث اضطراب.

فئة من الناس لديهم لغة خاصة وثقافة خاصة وتاريخ خاص أنا عربي وأنت كردي وذاك فارسي وهذا تركي، كل واحد يريد ثقافته ولغته تكون المسيطرة أنا مسلم وذاك مسيحي وهذا يهودي كل واحد يريد ان يعبر عن ثقافته ومذهبه ودينه فيحدث هذا الاصطدام.

عندما يكون التعبير عن الهويات سلمياً لا تحدث هذه المشاكل .
وفي الاسلام وجدنا أنّ العبادات والممارسات الدينية هي تعبير عن هوية المسلمين . فالحج تعبير عن الأمة الواحدة والصلاة تعبير فردي وشخصي عن هوية المسلم .

والموسم الحسيني أفضل تعبير سلمي عن الهوية الامامية الشيعية ،
أنا أبكي ولا أعتدي على أحد ، أنا أحزن لكني لا أعتدي على أحد ، أنا ألبس
السواد ، أضرب نفسي وألطم على صدري وأقيم المأتم وأتكلم عن فضائل
أهل البيت وتاريخ الإمام الحسين أنا أبكي لأن عندي شحنة عاطفية على
ما جرى على آل محمد وما أصابهم فيفيض ذلك الحزن في قلبي فيتحول
إلى دمة ساخنة .

هذا التعبير عن هذه الهوية أكبر من تعبير آخر ذلك أنه في خلال عشرة
أيام تتحول الدنيا في كل مكان يوجد فيه شيعة أهل البيت عليهم السلام
إلى اعلان عن قضية الامام الحسين . وهو في نفس الوقت اعلان عن
ذواتهم ووجودهم .

السبب الرابع الداعي لإحياء هذا الموسم والسيرة أنه موسم للتغيير الذاتي
ومناسبة للمراجعة ، ينبغي ألا تتصور أنّ الذين يحضرون المناسبة هم احجار .
إن الذين يجلسون تحت منبر ويستمعون إلى خطيب إذا لم يتأثر جميعهم
فعلى الأقل سيتأثر ١٠٪ منهم ! وقد وجدنا نماذج في ذلك قد تحولوا إلى الاسلام
أو إلى مذهب آل محمد على أثر سماعه لقصة أو معرفته بموقف من مواقف
الامام الحسين وقضية عاشوراء .

فتصور أنّ هذا الموسم الذي يحضره في كل العالم الاسلامي من الإمامية
عشرات الملايين في كل سنة ويتعرضون لمدة لا تقل عن عشرة أيام من تلقي
المعارف التاريخية والفقهية والعقائدية وغيرهما وهذا يحصل في كل سنة ، لا
ريب أنه بالحساب سيكون شيئاً عظيماً جداً .



هل الموسم يصنع شحناً طائفيًا؟

هناك من المدرسة المقابلة من يعارض إحياء الشيعة الإمامية الموسم الحسيني بمبرر أن إحياء هذا الموسم يساهم في الشحن الطائفي ضد الطوائف الأخرى! لكننا نجيب عن ذلك بطريقتين، نقضية وحليّة.

أما النقض:

فإن قضية الحسين والحديث عنها ليس شيئاً جديداً فأول من بدأها نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، وبعده كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلو كان في ذكر هذه القضية تعبئة وشحن طائفي فقد فعله رسول الله وهذا غير معقول!

وقد نقل في كتب الأحاديث -وسياًتي ذكر نصوصها ومصادرها- ما كان يصنعه النبي من تذكير بقضية الحسين والبكاء على ما سيجري على سبطه الحسين عليه السلام ، وفي ذلك دعوة للمسلمين إلى القيام بنفس ما قام به النبي باعتبار أنهم مطالبون بالتأسي به ولو على مستوى الندب والاستحباب.

وأما الحل:

فأولاً:

هنا محل تساؤل: أنه لماذا يعتقد البعض في أن الحديث عن جرائم بني أمية شحن طائفي؟! هل يعتبر هؤلاء أنفسهم أحفاداً لهم؟ أو ورثة خطهم؟ فيغيظهم الحديث عن جرائم بني أمية؟ ويعتبرون الكلام موجهاً لهم؟ وإلا فإن الحديث عن مجموعة تاريخية ارتكبت جريمة بحق ذرية النبي صلى الله عليه وآله لا ينبغي أن يغيظ أحداً من المسلمين!

وثانياً:

فأين هذا الشحن الطائفي الحاصل في الموسم الحسيني؟ هل رأيت في مكان ما أن خرج جماعة من حسينية على أثر خطاب حسيني أن خرج المستمعون وهاجموا من يختلف معهم في الفكرة والمذهب؟ أو اعتدوا

على غيرهم؟ هل أطلقوا الرصاص أو فجروا غيرهم؟ إن العكس هو الذي حدث ويحدث في كل موسم! فهم الذين كان يقع عليهم الاعتداء اللفظي بالتهجم عليهم ومنعهم من إقامة هذه المراسم! وهم الذين يقع عليهم الاعتداء- قديماً وحديثاً- حتى لقد وصل الامر إلى تفجير الحسينيات ومواقع إقامة المناسبة، والهجوم بالرصاص على المجتمعين.. وما عليك عزيزي القارئ إلا الرجوع لأخبار أيام عاشوراء في أكثر من بلد مسلم لترى الاحصاءات والأعداد.

نعم هناك إشكال آخر قد يطرحه بعضهم وهو:

أنّ الحسين لا يحتاج إلى البكاء، إنما يحتاج إلى أن يفرح به باعتبار أنه في الجنة. فماذا يعني أن تبكي بحرقة وتتألم وتلطم صدرك بينما يكون الحسين عليه السلام منعماً سعيداً في الجنة؟!

وجواب ذلك:

أننا نعتقد بلا شك ولا ريب أن الحسين عليه السلام هو في الجنة بل هو سيد شبابها! لكن هذا لا ينفي استحباب البكاء عليه، والا لزم توجيه الاشكال إلى نبي الله آدم. وإلى نوح وإلى رسول الله وإلى غيرهم من الأنبياء؟ فقد ورد في الروايات أن آدم النبي قد بكى على ابنه هابيل لمدة طويلة من الزمان.. فيأتي نفس الاشكال عليه لماذا يبكي عليه والحال أنه في الجنة منعماً وسعيداً؟

بل يستفاد من بعض الروايات أنه منذ مقتل هابيل على يد قابيل فقد أصبح البكاء سنة على هابيل إلى زمان نوح أي الى سبعة أجيال وسبعة أنبياء من آدم إلى نوح عليهم السلام . بل لقد فسرت بعض الروايات سبب تسمية نوح بذلك لكثرة نوحه وبكائه . فيقال هنا نفس الكلام: لماذا تبكي وتامر بالبكاء على الحمزة^(١)؟! والحال أن حمزة في الجنة منعماً وسعيد في عليّة الشهداء؟

١- ابن سعد، الطبقات الكبرى: «وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْبُكَاءَ فِي بَيْتِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَلَى قَتْلِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَكِنَّ حَمْرَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ»، فَسَمِعَ ذَلِكَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ

وبالتالي ففي الجواب عن الإشكال أننا نعلم أن الحسين في الجنة، ولكن ذلك لا يمنع ذلك من البكاء عليه لاسيما أن النبي امر بذلك، ولاسيما أهل البيت أمروا بذلك أيضاً. بل كان البكاء والحزن عليه -بالإضافة إلى سائر الأمور- مما يوجب الوصول إلى الجنة والكون معه.

إننا نعتقد أنه كان هناك توجهان في الأمة: توجه يسعى لإبقاء سيرة الحسين عليه السلام وقضيته حاضرة في الذاكرة وقريبة من التأثير في الأمة، ويندب إلى تذكرها باستمرار والقرب منها دائماً ويرى فيها من مواضع التأسي والافتداء شيئاً كثيراً نافعا للأفراد والأمة وهذا ما كان يوجه إليه ويصر عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم.

بينما كان هناك توجه آخر سعى بمختلف الوسائل والطرق لتغيب القضية والسيرة الحسينية عن الأذهان، وإبعادها عن الحضور وقد نجح في ذلك بدرجة أو أخرى، وفي الصفحات القادمة ستجد عزيزي القارئ، عزيزي القارئ، كيف عمل هذا الخط والتوجه على إبعاد وتغيب السيرة والقضية الحسينية وما هي الوسائل التي استخدموها في ذلك، كما ستجدان في القسم الآخر شيئاً عن السيرة الحسينية نفسها وبعض الدروس المستفادة منها.

فَرَجَعَ إِلَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَسَاقَهُنَّ إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَبَكَيْنَ عَلَى حَمْرَةَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَدَعَا لَهُنَّ، وَرَدَّهِنَّ، فَلَمْ تَبْكِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ عَلَى مَيِّتٍ إِلَّا بَدَأَتْ بِالْبُكَاءِ عَلَى حَمْرَةَ ثُمَّ بَكَتْ عَلَى مَيِّتِهَا. وفي مغازي الواقدي ٢٩٠/١: لَمَّا أُصِيبَ حَمْرَةُ جَاءَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَطْلُبُهُ، فَحَالَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ الْأَنْصَارُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: دَعُوها! فَجَلَسَتْ عِنْدَهُ فَجَعَلَتْ إِذَا بَكَتْ بِكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِذَا نَشَجَتْ يَنْشُجُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَبْكِي، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا بَكَتْ بِكَى..

تغيب القضية الحسينية بتشويه المصادر

يستبطن العنوان الرئيسي قضية أخذت مسلمة وهي أن القضية الحسينية غائبة على مستوى الأمة، وأن ذلك تم بتخطيط ولم يأت اعتباطاً أو عفواً.. فهل ينبغي أن يسار بهذا النحو أو لا بد من الرجوع إلى الخلف لكي نرى ما إذا كانت بالفعل هذه القضية غائبة أو لا؟

إننا نفترض أن الحوادث الكبيرة في تاريخ الأمم تستدعي أن تحتفي هذه الأمم جيلاً بعد جيل بتلك الحوادث لكي تأخذ الأجيال عمن سبقها دروس تلك الحوادث، وتتشبع بقيمها، ولذلك جرت العادة بين أبناء البشر في كل منطقة جغرافية على أخذ بعض الأيام للاجتماع فيها واستذكار أحداثها.. وتختلف هذه الحوادث (من حروب وانتصارات أو مراسم دينية أو تأسيس دولة أو غيرها) لكنها تجتمع على أصل الموضوع.

ونعتقد أن أهم الأحداث التي مرت في تاريخ الأمة الإسلامية هي تلك التي ترتبط برسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث كانت ترتبط من جهة بالله الذي أرسل رسوله وتكتسب عظمتها من جهة المرسل كما أنها أيضاً تكتسب أهمية لجهة الرسول المصطفى وجهده الذي بذله، وأخيراً النجاح والتأسيس الذي تم على يده حتى صنع أمة هي خير الأمم.

لذلك كانت المناسبات المرتبطة بالنبي من ولادته الشريفة إلى بعثته المباركة إلى سائر شؤونه، مما ينبغي الاهتمام به من قبل كل مسلم ومسلمة، يستجلي منها دروس الحياة والفلاح، مثلما يعمق بواسطتها محبته ومودته لرسول الله صلى الله عليه وآله. ولقد حضَّ القرآن الكريم على التأمل في حياة سيد الأنبياء بقوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

١- الأحزاب: ٢١.

وتعتبر نهضة الامام الحسين عليه السلام وشهادته في كربلاء، بعد مناسبات رسول الله صلى الله عليه وآله ، أهم^(١) الحوادث التي حدثت في تاريخ الأمة، سواء كان لجهة الشخصية الفاعلة فيها وهو ابن بنت النبي وسيد شباب أهل الجنة والامام بالحق، فإن هذا كله يجعل الحدث استثنائياً^(٢).

كذلك فإن المهمة التي قام من أجلها الحسين وبذل مهجته ونفسه الزكية في ذلك كانت على مستوى الدين كله، والأمة بأجمعها ولم يختص ذلك بفترة زمنية وإنما كانت نتيجة عمله أن حمى الإسلام وصان بناءه من الانهدام إلى الأبد، وإلا لكان الدين الإسلامي لا يتجاوز في بقائه ما حصل للديانات الأخرى من اليهودية والنصرانية عندما قام طغاة تلك الأمم بالتعاون مع كذبة الأبحار والرهبان، فضيعوا دين الله الأصيل وحرفوا كتبه! فالمهمة التي نهض لها الإمام الحسين عليه السلام كانت بهذا المستوى.

وأخيراً فإن الشهادة التي حصلت له والمأساة التي حلت به، وبأهل بيته وأنصاره، بل ونسائه كانت من الشناعة والضخامة ما يعيا به فم المتكلم!

هذه الجهات الثلاث؛ تستدعي أن يكون حجم الاهتمام في الأمة بالحدث الحسيني في تخليده وذكره ودراسته ورعاية أهدافه، كبيراً ومتجدداً. فليست القضية مسألة تاريخية عابرة! وإنما هو اقتداء حاضر ومستمر متى ما حصل طاغوت في الزمان (مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله عاملاً في عباده بالإثم والعدوان) فإن على المسلمين أن ينهجوا نهج الحسين عليه السلام في التغيير عليه والانكار.

١- المحمودي، محمد جواد: ترتيب الأمالي، ٥ / ١٨٧ روي عن الإمام علي بن الحسين السجاد: أنه قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ثم قال عليه السلام: «ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغيا وظلماً وعدواناً».

٢- لعل هذا أحد الأسباب التي كان يشير فيها الإمام إلى نسبه الشريف وحسبه المنيف بالقول: أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي.. أو ليس جعفر الطيار عمّي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله في وفي أخي الحسن هذان سيدا شباب أهل الجنة؟.

والناظر لحال الأمة الإسلامية، ينبغي أن يميز بين مشهدين؛ مشهد لشيعة أهل البيت (وبشكل خاص الامامية) وهؤلاء بما وصل إليهم من أئمتهم، من لزوم احياء أمر الحسين عليه السلام يقوم بما يستطيعون، من إنفاق مالي وخطابات ونشر تبليغي وتفاعل نفسي وقلبي واستعداد روحي وأخلاقي في التخلق بخلق الحسين وأصحابه وما على الشخص الذي يريد التعرف على أنحاء هذا الاحياء إلا أن يراقب ما ينقل على الفضائيات ليرى أن الأمر أعظم من أن يوصف.

ولكننا عندما نأتي إلى الجانب الآخر وهو عامة المسلمين من غير شيعة أهل البيت وهم يشكلون الأكثرية الكبيرة في الأمة (ربما يصلون إلى ٧٠٪ من المسلمين) وهذا يعني ما لا يقل عن مليار ونصف، لا تجد غير الصمت والسكوت، فقد يمر العام بعد العام ويبلغ الشاب العشرين من العمر^(١) إن لم يكن أكثر من ذلك ولم يطرق سمعه قضية الإمام الحسين عليه السلام، ويدرس التاريخ الإسلامي فلا يرى أثراً لتلك الحادثة وآثارها، ويعيش الحياة الاجتماعية فلا يلتفت إلى شيء مثير للاهتمام مرتبط بالإمام الحسين عليه السلام. بل (بفعل فاعل) لو رأى من باب الصدفة شيئاً يرتبط بإحياء أمر الحسين فإنه لا يعتبر ذلك الشيء إسلامياً ولا يرى نفسه معنياً به!

بل وكما سيأتي تم العمل على أن تكون هذه الأيام التي استشهد فيها الامام الحسين عليه السلام أيام فرح ومسرات وأعياد لتغيب أي جانب من جوانب التفاعل الوجداني معها أو التأثير بدروسها.

ولو أردنا المقارنة مثلاً بين هذه الحادثة وبين الاحتفاء بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، في العالم بل حتى في بلاد المسلمين لرأينا أنه لا توجد جهة قياس ومقارنة لكثرة وعظمة الاحتفاء بعيد الميلاد، مقارنة بقضية الامام عليه السلام.

١- في إحدى صفحات الفيسبوك ذكر صاحبها مقتل الحسين بالرؤية الأموية - من تاريخ ابن كثير- ومع ذلك قال بعض المعلقين إن عمره احدى وعشرون سنة ولأول مرة يسمع بهذه الأحداث! وهذا نموذج عن الكثير من شباب المسلمين من غير شيعة أهل البيت.

وهذا هو ما نعتقد أنه كان بتخطيط ولم يكن أمراً اعتباطياً أو صدقياً!

لذلك تم التعبير عنه في العنوان الرئيس بأنه (تغيب) للقضية الحسينية!

وسيكون موضوع هذه الصفحات في عناوين متعددة:

١- كيف غُيبت النهضة الحسينية من خلال تشويه مصادر الواقعة

وتخفيف أحداثها؟

٢- كيف غُيبت النهضة من خلال تشويه الأفكار التي ترتبط بنهضة الحسين؟

٣- كيف غُيبت نهضة الحسين ومأساته من خلال تغيير يوم المناسبة؟

أما القول بأنه كان من خلال تخطيط وعمل فيكفي أن نورد تصريح أبي حامد

الغزالي في هذا حيث يقول: «يُحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته

وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والظعن

فيهم^(١)»! ونسأل أنه كيف يكون ذكر مقتل الحسين عليه السلام فيه إيغار

للنفوس؟ وعلى من؟ وهل كان ينبغي الصلاة والتسليم على من قتل الحسين؟

إننا نعتقد أن تم التعاضد بين السلطات الرسمية (الأموية، ثم العباسية،

ثم الأتراك ثم سلطات العصور المتأخرة) في إخفاء الموضوع الحسيني؛ كلٌّ بحسب

دوافعه ولكن يجمع الجميع أن الحسين عليه السلام هو نداء المظلومين وموضع

تأسي واقتداء الثائرين على الظلم، فانتشار شخصيته ومعرفة كلامه وأهدافه لا

يناسب هذه السلطات التي كانت تحكم الناس بغير العدل والانصاف! وسنصطلح

على هذا بالاتجاه الأموي، ولا نقصد من الاتجاه الأموي هنا أسرة خاصة، فالخط

الأموي ليس بالضرورة أسرة أو مرحلة زمنية وإنما هو اتجاه ومسار مستمر إلى

الآن، ونعتقد أنه فيما يرتبط بتغيب الموضوع الحسيني (شخصية وحادثة

ودروسا) كان له أبلغ الأثر وقد نجح في ذلك حتى الآن.

وهذا الاتجاه لم يقتصر على الجوانب السياسية والسلطوية والمنع

بواسطة القوة الجبرية، وإنما جند الاعلام المخالف، وجند مشايخ الدين من

١- الصواعق المحرقة ٢/٦٤٠.

عبدة الدنيا والدينار لنفس الغرض وسيأتي بشكل تفصيلي ما حصل .
وسوف نحاول في هذه الصفحات رصد وتتبع الأعمال التي قام بها هذا
الاتجاه في تغييب القضية الحسينية .
إننا نعتقد أن تغييب القضية الحسينية عن ذهنية المسلمين، حدث
على خطوات:

الأولى: تشويه المصادر التي نقلت الحادثة، بحيث تم «تخفيف» وقع الحادثة،
بإغفال بعض التفاصيل الشنيعة التي تهز الوجدان! وأيضاً اظهار الطرف المجرم بصورة
«ألطف» فليس هو ذلك المجرم المصمم على الذبح إلى آخر المشوار وإنما كان «ألين»
بل ربما كان في بعض الحالات في صورة دفاع عن النفس!! فكأن الأمر طبيعي!
تم اختزال الحادثة إلى حد أنها لم تأت في بعض المصادر التاريخية إلا في
صفحات قليلة! وفي هذه الصفحات حصل ما سبق أن ذكرناه!
ولأجل أن يكون المدار على هذه الصورة المخففة (والملطفة) من الحادثة،
بحيث تكون هي الأصل المعتمد فقد اعتبرت بعض المصادر التاريخية دون
غيرها على أنها هي الأساس.

لنأخذ مثالا في ذلك: مقتل أبي مخنف^(١) لوط الأزدي، فإن هذا المقتل الذي

١- لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي الغامدي ويكنى بأبي مخنف (وكنيته أشهر من اسمه) ومخنف بكسر الميم يعني من كان في أنفه ميلان وانحراف، كوفي توفي سنة ١٥٧ هـ، ولأجل هذا وصفه الرجاليون بأنه من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام بمعنى معاصرته لهما كما هو في المصطلح الرجالي، وصفه الشيخ النجاشي بأنه «شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم وكان يسكن إلى ما يرويه» وأقرله مخالفوه مذهبا بالاحاطة والتتبع وبأن عنده ما ليس عند غيره من الأخبار. وإن كان الاتجاه العام عندهم تضعيفه لأجل مذهبه! يعد من أهم المؤرخين الذين أثاروا في تلامذتهم، فيمكن عدّ هشام بن محمد بن السائب الكلبي - وهو راوي المقتل - من تلامذته وكذلك أبو الحسن المدائني، ذكروا في كتبه نحو ٥٠ عنوانا وربما يظهر من عناوينها السبب الذي جعلها تباد وتفقد؛ فمنها كتاب السقيفة، كتاب الردّة، كتاب فتوح الإسلام، كتاب فتوح العراق، كتاب فتوح خراسان، كتاب الشورى، كتاب قتل عثمان، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهر، كتاب الحكمين، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، كتاب قتل الحسن عليه السلام، كتاب قتل الحسين عليه السلام، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب أخبار زياد، كتاب أخبار المختار.. وغيرها. ولم يبق من تلك الكتب سوى ما نقل عنه من روايات في كتب أخرى كتاريخ الطبري الذي أكثر من

نقل منه الطبري أغلب مقتل الحسين عليه السلام في تاريخه.. نراه يتبخر من الساحة الثقافية^(١)! فلا توجد أي نسخة من نسخته كاملة، والموجود هو كما ذكرنا ما بقي قد دونه الطبري في تاريخه ونقله عنه.

ما هي ميزات مقتل أبي مخنف؟^(٢)

مما يجعل هذا الكتاب حرياً بالاهتمام أمور:

أولاً: أنه يعد من أوائل ما ألف في مقتل الحسين عليه السلام، ومن بين أقربها إلى الحادثة فإن مؤلفه توفي على المعروف سنة ١٥٨ هـ وهو يروي أحداث المقتل بواسطة واحدة وهو الغالب أو واسطتين وهذا القرب الزمني يعطي قيمة مهمة للكتاب.

النقل عنه. يعد في التصنيف العام من مؤرخي الشيعة وإن كان بعض الباحثين يشكك في كونه كذلك ويرى أنه شيعي بالمعنى السياسي العام. لا بمعنى كونه إمامياً. ولمن أراد التفصيل في شأن أبي مخنف ومقتله فليرجع للدراسة المفيدة التي كتبها الشيخ الغروي، وكذلك دراسة الشيخ عامر الجابري في موقع العتبة الحسينية http://www.warithanbia.com/?id=ftnref110_#651.

١- موضوع فقد النسخ مع العلم بتأليفها وبموضوعها ومؤلفها، قد يكون راجعاً إلى ما مر على الأمة الإسلامية من حروب وفتن وما يرافقها من تدمير للحضارة وأقربها المكتبات ودور العلم، وما نقل مثلاً أيام الاجتياح المغولي للبلاد الإسلامية، وهذا واضح! إلا أننا نعتقد أنه كان هناك سبب آخر لم يسلم عليه الاهتمام كما ينبغي وهو قيام السلطات السياسية الحاكمة (وأحياناً بالتشاور مع بعض علماء البلاط والسلطة) في مصادرة وإتلاف قسم من الكتب لوجود أفكار أو معلومات في هذه الكتب لا ترضى عنها السلطة، فينتهي الأمر بجمع هذه الكتب -وهو من السهل بمكان في تلك الأزمنة حيث لم تكن الطباعة موجودة- فيتم إتلاف هذه النسخ، ويضيع ما لم يتم إتلافه. وهذا موضوع مناسب أن يتوجه له الباحثون ليروا أي نوع من الكتب كانت (تفقد) نسخها! وفيما يرتبط بمقتل أبي مخنف فإن الباحثين يرون أنه كان موجوداً إلى القرن الرابع الهجري، ثم فقد بعد ذلك ولعل الفترة الزمنية التي شهدت صراعات مذهبية واضحة ومواجهات حادة تشير لنا إشارة أخرى بالإضافة إلى ما ذكرناه من عناوين كتب أبي مخنف وملاستها لقضايا حساسة، لماذا «فقد» أو أتلف هذا الكتاب وأمثاله؟

٢- لا بد من التمييز بين كتاب مطبوع باسم (مقتل أبي مخنف الأزدي) ويبدأ بالقول قال أبو مخنف: حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد.. وهذا الكتاب لا تصح نسبته إلى أبي مخنف كما اتفق عليه المحققون من العلماء. إذ جعل كاتب الكتاب الأستاذ تلميذاً والتلميذ استاذاً!! وبين ما استخلص من تاريخ الطبري عن أبي مخنف وهذا هو الذي نتحدث عنه وهو جزء من كتاب إبي مخنف الأصلي. وقد كتب العلامة الشيخ الغروي دراسة جيدة مفصلة عن المؤلف والكتاب وطبع ما جاء في الطبري وغيره مما صح عنده نسبته لأبي مخنف في كتاب مستقل جاء في طبعته الأولى سنة ١٤١١ هـ باسم (وقعة الطف) بطباعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم، في ٢٨٠ صفحة.

ثانياً: أنه قد اعتمد في المقتل طريق الرواية عن أشخاص معاصرين للحدث وشهود عيان للواقعة، فلم يسلك ما سلكه آخرون من تجميع قصة المقتل من روايات مختلفة وأشخاص متعددين، وصياغتها في ذهنه ثم كتابتها بما يشبه القصة، بحيث لا يستطيع القارئ تمييز هذه القطعة عن تلك وأنه من رواها وكيفية روايته لها! بل نجد أنه يروي عن شخص معين الرواية الخاصة حتى إذا انتهت روى غيرها عن غيره، وبالرغم من أن هذا قد يفقد الكتاب التسلسل المطلوب إلا أنه يكسبه الدقة وإمكانية محاكمة الرواية براويها ونصها! ثالثاً: لأن رواياته جاءت عن رواة مباشرين وشهود عيان لذلك كانت غنية في تفاصيلها وإحاطتها بالجزئيات، ويشير إلى هذا المعنى فلها وزن كما نقله عنه «د. بيضون» وأعظم ما صنع أبو مخنف من حيث تقدير قيمة الروايات، هو أنه جمع طائفة كبيرة من روايات متنوعة ومن أخبار عن الشيء الواحد مختلفة في مصادرها، بحيث يستطيع الإنسان أن يوازن بينها ويعرف الصحيح المؤكد منها من غيره. وأبو مخنف قد توصل بذلك إلى أن صارت الأشياء الثانوية تتوارى، لأنها لا تظهر إلا مرة واحدة، كما صارت الأشياء الأساسية لا تزال تزداد بروزاً، لأنها تتكرر في جميع الروايات.^(١)

وبالرغم من هذه الميزات المهمة لجهة المؤلف وجهة الكتاب إلا أننا مع ذلك لا نجد الحضور المتميز لرواياته في نقل مقتل الإمام الحسين عليه السلام في أغلب الكتب التاريخية التي تصدت لرواية واقعة كربلاء.

بل بالعكس وجدنا أن رجاله ومحدثي المدرسة الرسمية طعنوا في المؤلف؛ فقد قال يحيى بن معين: «ليس بثقة»، وقال مرة: «ليس بشيء»، وقال أبو حاتم الرازي: «متروك الحديث»، وقال الدارقطني: «ضعيف».

وقال ابن عدي -بعد أن نقل رأي يحيى بن معين في أبي مخنف-: وهذا الذي قاله ابن معين يوافق عليه الأئمة؛ فإن لوط بن يحيى معروف بكُنيتة

١- بيضون؛ د. لبيب موسوعة كربلاء ٣٦/١.

وباسمه. حَدَّثَ بِأَخْبَارِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ، وَلَا يَبْعُدُ مِنْهُ أَنْ يَتَنَاوَلَهُمْ، وَهُوَ شِيعِي مُحْتَرَقٌ صَاحِبُ أَخْبَارِهِمْ.

وفي ميزان الاعتدال: لوط بن يحيى أبو مخنف أخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره.

وفي الضعفاء قال: لُوطُ أَبُو مَخْنَفٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى، حَدَّثَنَا عَبَّاسُ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى قَالَ: أَبُو مَخْنَفٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَيْسَ بِثِقَةٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبَّاسُ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى قَالَ: أَبُو مَخْنَفٍ، وَأَبُو مَرْيَمَ، وَعَمْرُو بْنُ شِمْرٍ لَيْسُوا هُمْ بِشَيْءٍ..^(١)

كما ذكره الذهبي في (المنتقى) من منهاج السنة عن الشيخ أحمد بن تيمية تحت المعروفين بالكذب!

قال عنه ابن كثير: وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنّه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنّفين في هذا الشأن ممّن بعده.

وحيث أنهم جعلوه (شيعياً) فقد انطبق عليه ما ينطبق على غيره، من أن القاعدة في هؤلاء عدم الاعتماد على رواياتهم لتشيّعهم! فكيف إذا وصف بأنه شيعي محترق!

ومن الطبيعي أنهم مع إسقاط المؤلف بهذا النحو فبالتبع لا بد من إسقاط الكتاب والروايات الواردة فيه.^(٢)

وكأن هذا الاتجاه لم يكتف في التاريخ بتضييع النسخ الأصلية ومصادرتها، فتعقب بعض ما بقي منها موجودا ليقضي عليه.

١- العقيلي المكي، محمد بن عمرو: الضعفاء الكبير ٤/١٨.

٢- في كتاب صحيح وضعيف تاريخ الطبري لمحمد بن طاهر البرزنجي، بمجرد ان يمر مؤلفه على رواية في سندها أبو مخنف يعقب عليه بالقول: في سندها لوط بن يحيى التالف الهالك.. ومعنى هذا أن كامل مقتل الحسين عليه السلام في تاريخ الطبري لا يعتمد عليه!! وبالطبع سينطبق على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير نفس المقاس لأنه اعتمد اعتمادا كبيرا على مقتل أبي مخنف إما من خلال الطبري أو غيره.

إحلال بدائل مشوهة:

ولأن هذه الفترات التاريخية والأحداث التي وقعت لا يمكن أن تغفل بالكامل فلا بد من رواية بديلة تحل محل تلك الروايات الأصيلة، وهذا الذي تم تقديمه للعالم الإسلامي واعتماده باعتباره هو الرواية التي تتبناها الحكومات ورجال الخلافة والسلطة وهي التي تُطبع على حساب الخزينة العامة وتُدْرَس في المناهج وتُقَص في وسائل الاعلام وتُلْقَى في خطب الجمعة إن كانت هناك ضرورة لها.

بعض الكتب التاريخية تناولت مقتل الحسين بشكل لو أغفلته بالكامل لكان أفضل، مثل تاريخ خليفة ابن خياط الذي لم يتسع إلا لصفحتين!! نعم صفحتان من الكتاب ٢٣٤ و ٢٣٥ فقط وإذا أردت الدقة فهي ٢٢ اثنان وعشرون سطراً.^(١)

نعتقد أنه تم بدلاً من ذلك اعتماد ما سنصطلح عليه روايات الخط الشامي من المؤلفين، فكان كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البغدادي^(٢) وتاريخ

١- الشيباني، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ٢٣٤.

٢- هو محمد بن سعد بن منيع البصري ولادة (البغدادي) توفي سنة ٢٣٠ هـ، ويعرف بكتاب الواقدي وصاحبه، فعنه أخذ وأكثر وعليه تتلمذ، ومع أن الاتجاه العام في مدرسة الخلفاء يضعف استاذ الواقدي (محمد بن عمر بن واقد المدني) بكلمات قوية إلا أنه بنفس المقدار يوثق محمد بن سعد ويثني عليه، ينمي في ولائه للعباسيين. وأما على المستوى الشيعي فهناك رأيان في شأنه؛ الأول يعتمد على ما قاله في شأنه ابن النديم؛ وهو ما يظهر من الشيخ عباس القمي في كتابه الكنى والألقاب ٣٠٦/١ حيث وصفه « بأنه أحد الفضلاء الاجلاء، كان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتب » والشيخ عبد الله المامقاني بنحو أوضح في تنقيح المقال ١٢٠/٣ حجرية، فإنه بعد أن نقل كلام ابن النديم وهو أن ابن سعد « كان ثقة مستورا عالما بأخبار الصحابة » استنتج (أن توثيقه المطلق يكشف عن كونه إماميا عدلا). والثاني من الأقوال: ما ذهب إليه الشيخ محمد تقي التستري في قاموس الرجال ٢٨٥/٩؛ فإنه استظهر كونه عاميا بل رأى أنه ناصبي شديد، وعلق على مقالة الشيخ المامقاني بالقول: « ما ذكره غلط عظيم.. إلى أن يقول وكيف يكون إماميا عدلا وهو عامي عنيد وناصبي شديد كما لا يخفى على من راجع طبقاته فإنه بدل أمر النبي بسد الأبواب إلا باب أمير المؤمنين عليه السلام بباب أبي بكر الذي كان من أخبار وضعته البكرية كما اعترف به ابن أبي الحديد. وقال في غزوة تبوك مع كون استخلاف النبي لأمر المؤمنين فيها اجماعيا كما أقربه الطبري أن النبي استخلف محمد بن مسلم، وقال: هو أثبت عندنا من قال استخلف غيره! أراد بذلك إخفاء قول النبي في المتواتر لأمر

دمشق لابن عساكر، وتاريخ الإسلام للذهبي،^(١) وكتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي.^(٢)

المؤمنين أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي! ولم يقنع بما فعل فزاد في الجعل (أن النبي استخلف أبا بكر الصديق يصلي بعسكره) فأى معنى للاستخلاف مع حضوره بنفسه وعدم عروض مرض له؟ انتهى كلام التستري. أقول: إني أحتمل أنه شكل الخط الوسط الذي أخذ من الواقدي (التشيع العام بمعنى مدح أسرة النبي، مع عدم التركيز على ما يرتبط بولاية وإمامة أمير المؤمنين) وتعامل مع العباسيين في قضية خلق القرآن بل عمل لهم في القضاء، وأخذ من الخط السني العام قضية التفضيل والاعتقاد بعدالة الصحابة وتصحيح خلافة الخلفاء، وحاول أن يوازن في المسائل الحرجة مثل قضايا بني أمية وما شاكلها، فهو لا يشدد النكير على معاوية لئلا يستثير الخط الرسمي، وفي نفس الوقت لا ينزهه مثل يزيد، وكان يمارس التقية ليس فقط في خلق القرآن كما قالوا عندما دعي للاقرار بما يعتقد المأمون العباسي فأجابهم لذلك، وإنما كان كما أظن يمارس التقية بالنسبة للأطراف كلها. مع أن التقية من مرتكزات الشيعة، ولم يكن منهم! فهو أقرب للحالة البراجماتية في هذا الجانب. ويذكر في هذا بما قاله بعضهم عن البخاري صاحب الصحيح من أنه حاول أن يجمع من سنة النبي ما لا يختلف فيه أتباع مدرسة الخلفاء فكان محل اجماع لهذا السبب! ١- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ولد في دمشق وتوفي فيها سنة ٧٤٨ هـ، تعلم لدى الشيخ أبي الحجاج المزي والشيخ أحمد بن تيمية وغيرهما، ولكن كان هذان أكثر تأثرا فيه حيث جمع بينهم الاهتمام في نشر المذهب الحنبلي والاتجاه السلفي وكان كثير التأليف لكن كتب الذهبي والتي أوصلها بعضهم إلى مائتي كتاب، كان ثلثها مختصرات لأمهات الكتب التاريخية المؤلفة قبله، فقد اختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ نيسابور لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وتاريخ مصر لابن يونس، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة، والتكملة لوفيات النقلة للمندري، وأسد الغابة لابن الأثير. ويرى باحثون أن هذا الاختصار لم يخل من «نخل وتصفية» روايات تلك الكتب مما يخالف توجهات الذهبي ويخل بالمعنى أحيانا مثلما ذكر عن ابن سعد في قوله «كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون رجلا رضي الله عنه، فلما ولي هو أمسك عن ذلك / بينما في الأصل عن ابن سعد اسم علي عليه السلام مذكور. فللدفاع عن بني أمية أفسد الخبر! يعتبر ابن كثير وابن رجب الحنبلي وعبد الوهاب السبكي من تلامذته. كما يعتبر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وسير أعلام النبلاء من أهم كتبه. وكما سبق أن ذكرنا يلحظ الدفاع عن الاتجاه الأموي والرسمي في كتبه، نعم لم يكن بنفس الدرجة التي كان عليها ابن تيمية والذي قيل إن الذهبي وجه له رسالة ناقدة قوية! بالرغم من أن الذهبي قد اختصر كتاب ابن تيمية منهاج السنة في كتاب له بعنوان منهاج الاعتدال!

٢- هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، توفي سنة ٧٧٤ هـ، مُحدِّث ومفسر وفقه، يعتبر من أهم تلامذة الشيخ أحمد بن تيمية كما يشير إلى ذلك في كتبه، وكتبه تعد من أهم مصادر الاتجاه السلفي إلى اليوم، لا سيما في ما لم يؤلف فيه ابن تيمية كالتاريخ أو تمام التفسير، وبالرغم من أن الأشاعرة والسلفية يتنازعانه إلا أن الناظر في كتبه لا يخطئ الأثر السلفي الواضح فيها، كما لا يخطئ فيها الدفاع عن مدرسة الخلفاء بقوة، ولذلك فلا يتوقف في عدم السماع والأخذ من شخص صادق وثقة إذا كان لديه نقد على الخليفين كما صرح بذلك في قوله عن ابن عقدة كان (يُمَلِّي مَثَالِبَ الصَّحَابَةِ - أَوْ قَالَ: الشَّيْخَيْنِ -

وسنعرض إلى ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من كتاب طبقات ابن سعد البغدادي ونتوقف عند بعض ما عرضه في تلك الترجمة لأهمية هذا النص وكونه يتكرر أحياناً مع اختصار أو بدونه - في سائر الكتب التي عرضت لقضية مقتل الحسين عليه السلام ، وكأنه أصبح النموذج المرضي في مدرسة الخلفاء وعند أتباع السلطة الحاكمة .

نقول هذا بأسف لأنه حلّ على علاته وإشكالاته، محل مقتل الامام الحسين عليه السلام الذي ألفه أبو مخنف وقد سبق أن ذكرنا بعض ميزاتهِ . وسنعمد على النسخة التي طبعتها مؤسسة آل البيت بتحقيق المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي .

إننا نلاحظ التركيز في هذا الكتاب وفيما سيعتمد بعده من الناحية الرسمية من مؤسسات الخلفاء على عدد من الأفكار نراها في المقاتل: ^(١)

١. فمن ذلك التركيز الفج على أن أصحاب النبي والتابعين (نصحوا) الحسين بأن لا يخرج، «فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خيرا!! ونسأل ابن عمر متى كانت بيعة يزيد (صالح ما دخل فيه الناس)؟ ومتى كانت هي (الجماعة) وهل بالفعل رأى الحسين في أبيه عبرة في خذلان الناس له؟ أو أن أبا الحسين كان المثال الأسمى لتطبيق تعاليم الدين؟

فَتَرَكْتُ حَدِيثَهُ لِأَحَدْتُ عَنْهُ بِشَيْءٍ.. (هذا مع أنه قال قبل هذا ناقلاً عن (الدارقطني: أجمع أهل الكوفة أنه لم ير من زمن ابن مسعود إلى زمان ابن عفة أحفظ منه) البداية والنهاية ١٥/١٥٩. مع ميل واضح وصريح للأسرة الأموية، فهو القائل (كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل الا ذلك، وقد اذلوا الكفر وأهله، وامتألت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون الى قطر من الأقطار الا اخذوه..) البداية والنهاية ٩/١٠٤. له من الكتب: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وطبقات الشافعية، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، والسيرة النبوية، وله رسالة في الجهاد..
١- نلاحظ أثر ذلك في مقتل ابن كثير الدمشقي، في كتابه البداية والنهاية الذي يكاد يكون نسخة ملخصة من طبقات ابن سعد! وكذلك الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام سير أعلام النبلاء.

وهكذا في نقله عن أبي سعيد الخدري: غلبني الحسين على الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك! والزم بيتك، فلا تخرج على إمامك! - هذا إن صح عن أبي سعيد الخدري فإننا لم نجد في مصدر آخر قبله - ولا تساعد عليه سيرة أبي سعيد، فمتى كان يزيد (إمام) الحسين؟!

وكذلك ما زعمه ابن سعد في أن «جابر بن عبد الله قال: كلمت حسيناً، فقلت: اتق الله! ولا تضرب الناس بعضهم ببعض! فوالله ما حمدتم ما صنعتم، فعصاني! وهذا ينطبق عليه ما سبق فإننا لا نعتقد أن جابراً الأنصاري يتحدث بهذا المنطق ولم يذكر مصدره من أين جاء بهذا الكلام؟! وطريقة جابر وانتماؤه^(١) لأهل البيت عليهم السلام يمنع أن يتحدث بطريقة أن لا تضرب الناس بعضهم ببعض! أو أنه يقول: فعصاني!

وأعجب من الجميع هذه الـ (عمرة بنت عبد الرحمن) التي «كتبت إليه تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة! وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه».

التفت عزيزي القارئ «عمرة» التي لا يفترض أن لها في العير أو النفير فإذا بها «تأمره بالطاعة»، لم يبق سوى هذه أن تأمره وتنهاه!^(٢) ولم ينس أن يذكر عمرو بن سعيد الأشدق في نصيحته الحسين! بل وحتى يزيد! «فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق»، «فقال له ابن عباس: والله إنِّي لأظنُّك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إنِّي لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان».^(٣)

بهذه الطريقة تم عرض حركة الامام الحسين عليه السلام، لا باعتبار

١- لمعرفة قوة انتماء جابر الانصاري والتزامه خط أهل البيت عليهم السلام يراجع كتابنا رجال حول أهل البيت عليهم السلام .

٢- الحسين الذي هو حجة الله على خلقه، والذي هو سيد شباب أهل الجنة، والذي هو إمام قام أو قعد! أصبحت العمرة تأمره وتنهاه!! فيا موت زرا إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

٣- هذه الكلمات جاءت في ترجمة الإمام الحسين لابن سعد من ص ٥٧ إلى ٥٩.

أنه خرج (لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي)،^(١) ولا باعتبار أن (يزيد رجل فاسق فاجر شارب الخمر عامل بالفجور ومثلي لا يبايع مثله). و(إنا أهل بيت النبوة بنا فتح الله وبنا يختم). كل هذا تم التجاوز عنه لتتلخص القضية عند ابن سعد في أن الأصحاب وغيرهم (نصحوا) الحسين بعدم الخروج لكنه (عصاهم) فكان نتيجة ذلك أن (قتل).

٢. نلاحظ أن ابن سعد في طول هذه الترجمة التي بلغت ٩٦ صفحة وخصوص المقتل الذي بلغ ٤٣ صفحة، لم يذكر أياً من خطبه سوى عدة أسطر من مخاطبة الحسين عليه السلام لجيش عمر بن سعد (لا تعجلوا حتى أخبركم خبري، والله ما أتيتكم حتى أتني كتب أمثالكم بأن السنة قد أميتت، والنفاق قد نجم، والحدود قد عطّلت، فاقدّم لعلى الله تبارك وتعالى يصلح بك أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأتيتكم فإذ كرهتم فإنا راجع عنكم، وارجعوا إلى أنفسكم فانظروا هل يصلح لكم قتلي أو يحلّ لكم دمي؟! ألسنت ابن بنت نبيكم ابن ابن عمه، وابن أول المؤمنين إيماناً، وأوليس حمزة والعباس وجعفر عمومتي، أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيّ وفي أخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة. فان صدقتموني والأ فاسألوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدري وأنس بن مالك وزيد بن أرقم. ومع ملاحظة كثرة خطب الإمام عليه السلام ووصاياهم بدءاً من خروجه من المدينة المنورة ثم بقائه في مكة وخطابه فيها، وكلماته الكثيرة في الطريق، وهكذا خطبه المتعددة في يوم عاشوراء، نتساءل ما الذي يدعو ابن سعد لذكر قول فلان وفلان للحسين من منافسيه أو مخالفيه أو حتى مبغضيه بتفصيل حتى لقد ذكر في مورد رسالة يزيد لابن عباس كلاماً مفصلاً وقصيدة طويلة! بينما ضاق الأمر عن كلمات الإمام الحسين عليه السلام والتي كانت تبين بوضوح

١- راجع في فصل السيرة الحسينية الدوافع التي حركت الإمام الحسين عليه السلام للقيام بتلك النهضة.

أهداف نهضته وغاية حركته! أنه وهو يتحدث عن (مقتل الحسين) كان عليه أن يتحرى خطب الإمام وكلماته بينما لا نجد أنه ساق حتى عشرة بالمائة من تلك الكلمات والخطب! فجاء المقتل مشوهاً من هذه الناحية، وكأن الأحداث كانت تجري والحسين صامت لا يتحدث ولا يقول شيئاً ولا يبدي موقفاً! ولذلك وجدنا أن بعض الذين اعتمدوا عليه التفتوا إلى هذا الخطأ أو (تعمد الخطأ) فحتى وهم ينقلون عن ابن سعد لكنهم نقلوا من مصادر آخر بعض خطب الحسين عليه السلام بما يتبين معه موقفه! كما صنع ابن عساكر في تاريخ دمشق.

٣. التركيز على أن بيعة يزيد كانت (من الناس) وأن هناك استثناء هو الحسين! وكأنه في ذلك خارج على الاجماع، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن من ضمن شروط المهادنة بين الحسن عليه السلام ومعاوية أن يكون الحكم للحسن فإن قضى الحسن فللحسين، ولا يحق بالتالي لمعاوية أن يعهد بها إلى يزيد! فتم تجاهل هذا واعتبار أن تولية معاوية ابنه أمر طبيعي وعادي فإذا خالفه أحد يكون مقصراً وخاطئاً! هذا مع أنه لم تتم هذه إلا تحت بريق السيوف في مسجد رسول الله في المدينة! وحملة اغتيالات شملت أهم الشخصيات الموجودة في تلك الفترة وقد تحدثنا عنها في فصل السيرة الحسينية. كما نجده في هذا النص قالوا: لَمَّا بايع معاوية بن أبي سفيان ليزيد بن معاوية كان حسين بن علي بن أبي طالب ممن لم يبايع له.

وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية كل ذلك يأبى... فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم، مرة يريد أن يسير إليهم ومرة يجمع الإقامة.^(١) وأسوأ ما في هذا النص اظهار الامام

١- لاحظ عزيزي القارئ هنا تصوير الإمام الحسين شخصاً متردداً مرة بهم بالنهضة وأخرى يتركها، زعم القائل إنه أقام على ما هو عليه من الهموم مع أن ذلك تكذبه الوقائع التاريخية فإن كلمة الإمام الحسين عليه السلام كانت واحدة وهو أنه ليكن كل منكم جلساً من أحلاس بيته يعني مثلما أن الفراش ثابت في المنزل فلتكونوا هكذا! وتعليل ذلك بأن بينه وبين معاوية عهداً وميثاقاً هو الذي عقده الامام الحسن عليه السلام.

الحسين عليه السلام على أنه في حالة من التردد والهموم، مرة يريد أن يسير وأخرى يجمع على الإقامة، وهذا من الكذب الصريح الذي لا شاهد تاريخي له. وقد ذكرنا مواقف الامام الحسين عليه السلام الثابتة في فصل السيرة، فهو في أيام معاوية صرح لمعاوية ولغيره بأنه ملتزم بالهدنة وبما عاهد عليه أخوه الحسن، وأما بعد معاوية فكان مختلفاً إذ قال (يزيد رجل فاسق فاجر شارب الخمر.. ومثلي لا يبايع مثله) فأين هي الهموم التي يزعمها ابن سعد؟

٤. الزعم بأن يزيد كان قد أخبر واليه الوليد بن عتبة بأن أباه عهد إليه بالرفق بالحسين واستصلاح أمره، كما ذكر في الطبقات « فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن اويس العامري إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي، فإن أمير المؤمنين عهد إليّ في أمره الرفق به واستصلاحه » وهذا مخالف تماماً لما نقله باقي المؤرخين ولا سيما المؤرخ الثبت أبو مخنف، ونقله عنه الطبري، وابن الأثير، كما نقله ابن أعثم، حيث جاء عن أبي مخنف بعد الرسالة العامة « وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام»^(١)، فأين هذا من الرفق والاستصلاح؟

٥. ومن نكات الزمان!! ما ذكره في كتابه^(٢) من (توصية) مروان بن الحكم لعبيد الله بن زياد بالحسين فإنه ابن فاطمة! وما أحد أحب إليه من الحسين! ويحذره بأن لا يهيج على نفسه ما لا يسده بشيء! يعني بقتله أو إيدائه!

١- الطبري، محمد بن جرير تاريخ الطبري ٢٥٠/٤.

٢- ابن سعد: ترجمة الإمام الحسين ٦٢: كتب مروان إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الحسين بن علي قد توجه إليك وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباللهم ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين! فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره، والسلام. وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص: أما بعد، فقد توجه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق، أو تسترق كما تسترق العبيد.

العجيب أنه لتوه قد نقل قبل صفحات بأن مروان الذي كان يدأب على لعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان قد اشتبك لفظيا مع الحسين وتسابا، فقال له مروان: إنكم أهل بيت ملعونون!! (خلافا للقرآن الذي جعلهم أهل بيت مطهرين من الرجس تطهيرا)! فكيف يقول هذا الكلام هنا ويقول ذلك الكلام هناك؟

وَألم يلتفت ابن سعد وهو الذي ذكر أنه ينقل عن جماعة منهم أبو مخنف بوسائط!! فهل نسي أن أبا مخنف قد ذكر (كما في الطبري) بأن الوليد الذي أراد أن ينهي المواجهة بينه وبين الحسين بسلام.. واجهه مروان بأن يكتف الحسين ثم يطلب منه البيعة فإن أبي فليضرب عنقه، وإلا فإن مروان نفسه سيضرب عنق الحسين!! فهل من يكون هكذا في وقاحته مع الحسين سباً وشتماً وتهديداً ورغبةً في القتل، ينصح ابن زياد قائلاً له: بأنه ما من أحد أحب إليه من الحسين؟ وهكذا حال عمرو بن سعيد الأشدق الشامت المتشفي بقتل الحسين، والذام له علناً أمام الناس في الخطبة! لكن التناقضات لا حدود لها عند ابن سعد في ترجمته! وهي التي سنراها تنتقل في الكتب من بعده!

٦. وإذا كان هؤلاء من مروان وأضرابه بهذه الرقة والحنان في شأن الحسين عليه السلام، فماذا يقول ابن سعد في شأن عمر بن سعد الزهري؟ لقد كان مجبوراً لأنه لو لم يذهب لقتال الحسين لكان قد ضرب ابن زياد عنقه!

الغريب أنه لم يذكر هذا أي مؤرخ قبله! وغاية ما ذكره بين مجمل ومفصل أنه كان سيعزله عن ولاية الري ويحرمه من الرئاسة وأما التهديد بالقتل فلم يذكره أحد! إلا عند ابن سعد حيث قال: «.. وقد كان استعمله قبل ذلك على الري وهمدان، وقطع ذلك البعث معه، فلما أمره بالمسير إلى حسين تأبى ذلك وكرهه واستعفى منه، فقال له ابن زياد: أعطي الله عهداً لئن لم تسر إليه وتقدم عليه لأعزلك عن عملك واهدم دارك واضرب عنقك! قال: إذن أفعل!»!

إن المؤرخين يذكرون أنه لما استعفى طلب منه التنجى عن أمر الري! فاستمهلته ليلته ونقلوا على لسانه الشعر المشهور، الذي انتصر فيه أخيراً جانب الدنيا على الدين، ولم يكن هناك تهديد بالقتل إلا إذا كان الحرمان من الرئاسة يعني بالنسبة له الموت.

٧. وفي الوقت الذي ينفي فيه المؤرخون الأثبات ما زعم من أن الإمام الحسين عليه السلام قد عرض على عمر بن سعد أن يذهب إلى بعض الثغور ليجاهد أو يأتي يزيد فيضع يده في يده، ينفون كل ذلك بما قاله شاهد العيان الصادق عقبة بن سمعان مولى الرباب: «صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس». (١)

يخالف ذلك ابن سعد فيثبت ما هو منفي، وأنهم أصروا على أن يضع يده بيد ابن زياد لا بيد يزيد، فلم يقبل الحسين. (٢)

ليس هذا فحسب بل يزعم بأنه عندما بلغ ابن زياد ذلك، همّ أن يخلي عن الحسين، وقال ما عرض لشي من عملي - يعني لم يهددني بشيء -

سبحان الله فأين إذن رسائله وأوامره لعمر بن سعد بأن إذا قتل الحسين

فليوطيء الخيل صدره وظهره؟ كما نقله أكثر المؤرخين؟

١- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ٤/٣١٣.

٢- «فلما رأى الحسين عمر بن سعد قد قصد له فيمن معه قال: يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله، ما لنا ولكم! ما هذا بكم يا أهل الكوفة؟! قالوا: خفنا طرح العطاء، قال: ما عند الله من العطاء خير لكم، يا هؤلاء دعونا فلنرجع من حيث جئنا، قالوا: لا سبيل إلى ذلك، قال فدعوني أمضي إلى الري فأجهد الديلم، قالوا: لا سبيل إلى ذلك، قال: فدعوني أذهب إلى يزيد بن معاوية فأضع يدي في يده، قالوا: لا، ولكن ضع يدك في يد عبيد الله بن زياد! قال: أما هذه فلا، قالوا: ليس لك غيرها. وبلغ ذلك عبيد الله، فهمّ أن يخلي عنه، وقال: والله ما عرض لشيء من عملي، وما أراني إلا مخل سبيله يذهب حيث شاء.

٨. الكذب الصريح على لسان الإمام السجاد عليه السلام :

هكذا يأتي ابن سعد فيقول: قال علي بن حسين، وكأنه كان جالسا بجانبه يحدثه! ثم ينقل قصة لا أصل لها ولا فرع! وإنما هي من مختلقات الزبيريين^(١)، وهم تقاسموا مع العباسيين تشويه التاريخ الإسلامي لا سيما ما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام .

«قال علي بن حسين: فغيبني رجل منهم وأكرم نزلي واحتضني وجعل يبكي كلما خرج ودخل حتى كنت أقول: ان يكن عند أحد من الناس وفاء فعند هذا، إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم.

قال: فدخل والله عليّ وهو يبكي وجعل يربط يدي إلى عنقي! وهو يقول: أخاف! فأخرجني والله إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها».

وبالتتبع يتبين أن ابن سعد قد نقل هذه الفرية من الزبير بن بكار أو من عمه

١- ابن الجوزي، المنتظم: ٣٤٤/٥: أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال: أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: أخبرنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: كان علي بن الحسين الأصغر مع أمه، وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً، فلما قتل الحسين قال عمر بن سعد: لا تعرضوا لهذا المريض، قال علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم فأكرم منزلي واختصني وجعل يبكي كلما دخل وخرج، حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد خير فعند هذا. إلى أن نادى منادي عبيد الله بن زياد: ألا من وجد علي بن الحسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم. قال: فدخل عليّ والله وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي ويقول أخاف. وأخرجني إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر. فإن أول ما في هذا الخبر أنه من غير إسناد إذ بين شهادة الإمام السجاد سنة ٩٥ هـ وبين موت مصعب بن عبد الله الزبيرى ٢٣٦ هـ نحو ١٤٠ سنة، فكيف يتحدث عن الواقعة بعنوان قال علي بن الحسين؟ وكيف لم يلتفت قائل الخبر إلى أن علي بن الحسين السجاد هو المسؤول عن النساء والأطفال بعد أبيه الحسين عليه السلام وأنه لا يمكن أن يغيب عنهن ولا أن يغبن عنه هذه المدة؟ والإمام جالس!! معه مرتاح في الأكرام! وأنه إن كان عند أحد وفاء فعند هذا!! الخبر غير صادق والكذب فيه فحج غير متقن!

مصعب^(١)، الذي (أحيا أم علي السجاد وجعلها معه في كربلاء!!) بالرغم من اتفاق المؤرخين على أنها ماتت في نفاسها به.. وكيف لم يلتفت لهذه القضية أبو مخنف الأزدي مع رواته الكثيرين^(٢) الحاضرين في الحادثة؟ ثم من العجيب أن يصدقها صانعها وألا يلتفت إلى الخلل الموجود فيها فإن السجاد وهو مسؤول عن ركب الاسارى - باعتباره أكبر الذكور الموجودين - لا يمكن أن يغيب عن النساء من كربلاء إلى الكوفة. فلا مسؤولو الجيش الأموي يسمحون بذلك، ولا النساء والأسارى سياتركون القضية هكذا وكأنه ضائع! أو أن الإمام السجاد نسي أن وراءه من النساء والأطفال من يحتاجون إليه فكان مع هذا الذي غيبه مرتاحاً ومكرم الوفادة.. حتى قال الإمام إن يكن عند أحد من الناس وفاء فعنده! إلى أن نادى منادي ابن زياد.. وبذل فيه (ثلاثمائة) درهم ولا يخفى جانب التحقير والتوهين! فهذا المبلغ لا يشتري به حتى العبد المعوق! لكن نقول: لعنة الله على الكاذبين!

٩. أين رؤوس شهداء كربلاء؟

وحتى لا يتورط ابن سعد في موضوع تشهير الرؤوس وحملها من بلد إلى بلد حتى وصلت إلى الشام فإنه لم يعد الوسيلة في دفنها (في كتابه) وحينئذ

١- قال السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه أبو هريرة ص ١٢٢ في شأنهما ما يلي: «الزبير» ابن بكار ممن عرف بالعداوة لعلي وأهل البيت وهو الذي استحلفه رجل من الطالبين بين القبر والمنبر الشريفين فحلف كاذباً فرماه الله بالبرص وكان ينال من العلويين ومن جدهم علي. فأجمعوا على قتله فهرب منهم إلى عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب فسأله ان يكلم المعتصم في تأمينه فلم يجد عنده ما أراد إذ لم يكن عمه على رأيه في مكاشفة العلويين ذكر ذلك ابن الأثير في سيرة المعتصم من تاريخه الكامل. اما أبوه بكار فقد كان من المكاشفين للرضا في النصب والعداوة فدعا عليه الرضا فسقط من قصره فاندق عنقه، وأما جده عبد الله ابن مصعب فهو الذي أفتى هارون الرشيد بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن، فقال: اقتله يا أمير المؤمنين وفي عنقي دمه، فقال الرشيد: ان عنده صكاً مني أعطيته فيه الأمان، فقال عبد الله بن مصعب: لا أمان له يا أمير المؤمنين وعمد إلى يحيى فانتزع الصك منه قهراً ومزقه بيده عداوة ورثوها عن جدهم، ورثها عدو عن عدو ومن عبد الله بن الزبير حتى انتهت إلى الزبير بن بكار، وبها نال الحظوة عند المتوكل فاختره لتأديب ولده الموفق..»

٢- ذكر الشيخ الغروي اليوسفي في مقدمة كتابه واقعة الطف (مقتل أبي مخنف) أن أبا مخنف الذي روى عنه الطبري في تاريخه ٦٥ حديثاً مسنداً، قد رواها بالمباشرة وبالواسطة عن ٣٩ راوياً، وقد وضع الغروي قوائم تفصيلية ستاً بأسماء الرواة الوسائط بين أبي مخنف والأحداث.

لا يبقى من معنى للحديث عن حملها في البلدان أو أن رأس الحسين عليه السلام قد قرعت ثناياه في مجلس ابن زياد أو يزيد.. الغريب أنه نفسه ينقل هذا وذاك! ولا أعلم هل يلتفت إلى التهافت بين النقلين والخبرين؟ قال: «وأمر عبيد الله بن زياد بحبس من قدم به عليه من بقيّة أهل حسين معه في القصر، فقال ذكوان أبو خالد: خل بيني وبين هذه الرؤوس فأدفنها ففعل فكفّنها ودفنها بالجبانة، وركب إلى أجسادهم فكفّنها ودفنهم.

وكان زهير بن القين قد قتل مع الحسين فقالت امرأته لغلام له يقال له شجرة: انطلق فكفّن مولاك، قال: فجئت فرأيت حسيناً ملقى، فقلت: اكفن مولاي وأدع حسيناً! فكفّنت حسيناً، ثم رجعت فقلت ذلك لها، فقالت: أحسنت». إذن في رأي ابن سعد: قد أحسن الأمويون عندما كفّن ذكوان الأجساد ودفنها، وعمد إلى الرؤوس فدفنها في الجبانة! وجاء شجرة كما قال وكفن الحسين!!

فإذا كان قد تم دفن الرؤوس مرتين!! فما معنى قوله بعد ذلك «وقدم برأس الحسين محضر بن ثعلبة العائدي - عائذة قريش - على يزيد»؟ وما معنى قوله بعد ذلك «وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامل له يومئذ على المدينة»؟

١٠. صورة ليزيد الحنون

ولا ينسى ابن سعد في نهاية المطاف أن يعرف الناس بالصورة الحنونة ليزيد بن معاوية، والذي زعم أنه لو كانت الأمور بيده لما حصل للحسين ما حصل وإنما السبب في ذلك هو ابن زياد!! (تقييد القضية ضد غائب)». وقالت له سكينه بنت حسين: يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا! فقال: يا بنت أخي، هو والله عليّ أشدّ منه عليك! وقال: أقسمت بالله لو أنّ بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه، ولكن فرقت بينه وبينه سمية! وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، فرحم

الله أبا عبد الله عجلَّ عليه ابن زياد، أما والله لو كنت صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه! ولوددت أني أتيت به سلماً».

وهذا لم يكن إلا غيضاً من فيض مما جاء في هذا الكتاب الذي كما قلنا سيصبح القاعدة الأساس التي سيعتمد عليها كتاب التاريخ الرسمي^(١) والذي سيعتمد باعتباره النص الذي ينبغي الأخذ منه، ولا يخفى على القارئ الفطن ما الذي تنتهي إليه الأفكار التي ذكرت في هذا الصفحات والتي تتشوه معها نهضة الحسين عليه السلام بمقدار ما تتحسن فيه صورة الأمويين. ويا ليت بقي ما جاء به ابن سعد في كتابه، وإنما رأينا أن من جاء بعده اعتمده كقاعدة فيما يتوافق معه في الأفكار ثم زاد ونقص، بحيث صرنا كلما ابتعدنا سنوات عن مقتل ابن سعد نتوقع زيادة في الجرعة الأموية في المقاتل حذفاً وتغييراً وتبديلاً وزيادة! وأمامك بعض النماذج من المقاتل والتراجم التي تؤكد الحقيقة التي ذكرناها.

ترجمة الحسين ومقتله في تاريخ ابن عساكر

أخذت ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر^(٢) عدداً كبيراً من الصفحات بلغ ١٥٠ صفحة؛ فقد بدأ فيها من صفحة ١١١ وانتهى في صفحة ٢٦١، فيما كان ما يفترض فيه المقتل يبدأ من صفحة ٢٠٥. وسوف نسجل الملاحظات التالية سريعاً:

- ١- يلحظ الأثر فيما كتب بعده، سواء في ترتيب المقاتل أو في معلوماتها وتفصيلها بل في الأفكار -في الجملة- التي تستهدفها فالناظر لترجمة الحسين عليه السلام في تاريخ دمشق لابن عساكرت ٥٧١ هـ ومختصره لابن منظور يلاحظ ذلك، ومثلها في البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي.
- ٢- علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي توفي ٥٧١ هـ، له كتب كثيرة لكن أهمها تاريخ مدينة دمشق الذي قيل إنه كان مشروع حياته حيث ابتدأ فيه منذ شبابه وإلى شيخوخته، والكتاب طبع في ٧٠ مجلداً بالطبع الحديث (مع مستدركاته ٨٠ مجلداً) ووصف من قبل رجالي مدرسة الخلفاء بأنه؛ كبير العلم، غزير الفضل، حافظ، ثقة، متقن، دين، خير، حسن السمات، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، صحيح القراءة، مثبت..

١. لا تخرج الترجمة بل المقتل عن الخط الأموي الشامي الذي ذكرنا شيئاً عن أفكاره التي يبثها ويركز عليها من رفع المسؤولية عن يزيد بن معاوية وإلقائها على ابن زياد الذي تكررت أحاديث الترجمة عن أنه قرع راس الحسين عليه السلام ، بروايات متعددة وأسانيد كذلك لكل منها .

٢. كذلك فإنه لم يأت على ذكر أي من فظاعات الجيش الأموي في قتل الحسين عليه السلام بل لم يأت على (مقتل الحسين) فلا ذكر فيه لأحداث يوم عاشوراء أصلاً. ولذلك قد لا يصح أن نطلق عليه من هذه الجهة مقتلاً بالرغم من أنه ينقل من مقتل محمد بن سعد كما صرح بذلك بدءاً من صفحة ٢٠٥!

٣. وحيث أن الرسالة تقرأ من عنوانها فقد عنون الترجمة بقوله: وقد على معاوية وتوجه غازياً إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية .

وحيث كانت البداية كذلك فمن الطبيعي ألا يذكر قتل يزيد إياه ولا تسيير رأسه الشريف ونساءه إليه في الشام! بل سينقل ما لا تصدقه الحقائق من وفود الحسين على معاوية وإكرامه إياهما بالمال الوفير، وكل هذه العناوين لا مصداقية لها .

٤. وأما ما هو واضح الوضع والكذب على الإمام الحسين عليه السلام والذي وصفه بأنه حديث منكر ولا يرى إسناده متصلاً إلى الحسين؛ ولا أعلم ماذا كان الهدف من نقله في الترجمة مع كونه غير متصل الإسناد وواهي المعنى ومنكراً، فهو ما نقله عن أقسم كاذباً بأنه رأى الحسين بعينه وسمعه بأذنه يصدق قول معاوية بأنه خال المؤمنين وأنه من شيعة آل محمد إلى آخر الكذبات! ومثله الحديث الآخر الذي رواه عن الحسين عليه السلام عن جده كما زعم في الترجمة ولم يعلق عليه والذي يقول فيه: لا تسبوا فلانا وفلانا فإنهما سيذا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ..

مع أنه مما تضافرت روايات الأئمة على كذب هذا الحديث ووضعه على رسول الله صلى الله عليه وآله .

٥. تكرار أحاديث أن رأس الحسين عليه السلام قد أدخل على ابن زياد وأنه ضربه بعود، أو فرق بين أسنانه به وأمثال ذلك بمناسبة ذكر شبه الحسين عليه السلام بجده رسول الله صلى الله عليه وآله . والحديث المفصل عن أن العراقيين هم الذين قتلوا الحسين بينما يسألون عن دم البعوض! بالطبع هذا لا بد أن يضاف إلى ما كتبه ابن عساكر في فضائل الشام وأهلها في مقدمة كتابه وأنها البلدة المقدسة وأن منها يبعث كذا وكذا إلى الجنة والناس لما يحشروا وغير ذلك. ولا بد أن نلاحظ أن الإطار العام المعروف عن الشام أنها أموية في مقابل أن العراق شيعي وعلوي وينتج ذلك ما سيقال فيما بعد من أن الذين قتلوا الحسين هم أهل العراق، وأما يزيد بن معاوية والأمويون فلم يصنعوا شيئاً أبداً!

٦. احتوت الترجمة على ما ظاهره مدح الحسين وواقعه ذم الحسن عليهما السلام، وفي حديث آخر بالعكس فقد كُذِبَ على أمير المؤمنين بقوله: أما الحسن فلا يغني في الحرب حباله عصفور! مع أن الثابت في حرب الجمل شجاعة الإمام الحسن، وأنه طعن الجمل. وفي حديث آخر ذم الحسين بلسان المدح فالحسن يمدح الحسين بشدة قلبه وأنه لم يؤت ذلك ويتمنى لو كان له ما للحسين من شدة القلب، بينما يتمنى الحسين أن يكون له بعض ما للحسن من بسط لسانه من الفصاحة والبلاغة! وهذه ظاهرها مدح وباطنها ذم في كلا الإمامين.

وينقل حديثاً مكذوباً عن تهاجر الحسنين ثلاثة أيام (ومن المعلوم أن هجر المؤمن أخاه ثلاثة أيام يوجب براءته منه كما نقلوا)! وأن الحسن كتب إلى الحسين يعيب عليه إعطاء الشعراء قال فكتب إليه الحسين إن خير المال ما وقى العرض!!

٧. لاحظنا أنه نقل عن ابن سعد مقتله وصرح بذلك، وحافظ على أفكاره الأساسية من أنه الناس بايعوا يزيد وامتنع الحسين ثم اعتراضات الصحابة عليه ويرد عليه ما سبق أن قلناه في مقتل ابن سعد البغدادي، لكنه يغير قدر الامكان فيما لا يناسب آراءه ولو أدى لتشويه مقالة الحسين مثل نقله: «ألا وإن البغي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهاث منا الذلة يأبي الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، فإنها قد تغيرت عند ابن عساكر لتصبح: «ألا وإن البغي قد ركن بين اثنتين بين المسألة والذلة» وهذه الجملة لا معنى لها! كما انه استثنى كما قلنا سبع صفحات من مقتل ابن سعد فيها تفاصيل مقتل الامام الحسين عليه السلام، كما لم يتعرض إلى حمل نسائه والرؤوس إلى الكوفة ومنها إلى الشام، ولا إلى ما نقله ابن سعد في أكثر من حديث عن كون الرأس قد حمل إلى يزيد وأنه كان يضرب ثناياه وقد اعترض عليه أبو برزة الأسلمي، وأنه كان يتمثل بأبيات ابن الزبير السهمي.. فهذا كله لم يذكر في ترجمة ومقتل الإمام الحسين لابن عساكر.

٨. كل ما سبق تم التغاضي عنه وإغفاله لكن الخبر الكاذب الذي أشرنا إليه أكثر من مرة، ما زعموه عن أن الحسين عليه السلام خيرهم بين أن يسلموه إلى يزيد أو أن يبعثوه إلى الثغور ليقاتل أو.. الخ، لم ينس ابن عساكر أن يذكره ويؤكد عليه كذلك إذا تم التغاضي عن ذكر يزيد في المقتل وكأنه لم يكن موجوداً في تلك الفترة الزمنية، إلا أنه لم ينس ما زعم كذباً من أن يزيد أوصى ابن زياد أن يرفق بالحسين!

مقتل الامام الحسين عند ابن كثير الدمشقي

النموذج الآخر للبدائل المشوهة في المصادر التاريخية لمقتل الحسين عليه السلام؛ ما ذكره ابن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية والذي تحول بالتدريج إلى (قرآن) للاتجاه السلفي فيما يرتبط بالتاريخ الإسلامي ولا يزال ويشهد لذلك عظم الاهتمام به، تحقيقاً وتعليقاً وشرحاً ودراسات.

وعند النظر إلى هذا المقتل الذي جاء بعنوان: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الامارة وكيفية مقتله والرسالة كما يقولون تقرأ من عنوانها، فسبب خروج الحسين من مكة هو طلب الإمارة ليس إلا! وجاء في سبعين صفحة (من ١٦٠ إلى ٢٣٠)، وبالطبع لا يتسع المقام لعمل دراسة مفصلة فيه وإنما هي ملاحظات سريعة بمقدار ما تخدم ما نحن فيه من الموضوع.

بعض ما نلاحظه على مقتل ابن كثير:

١. انه اعتمد في معظمه في المقدمات على مقتل الحسين عليه السلام الوارد في طبقات ابن سعد ويرد عليه ما سبق من الملاحظات الأصل، لكنه فيما يرتبط بتفاصيل المقتل والقتال والشهداء وماذا قالوا من الرجز وخطب الامام الحسين عليه السلام، رأى أن طبقات ابن سعد فقيرة للغاية في هذا، فاستعان بمقتل أبي مخنف الأزدي بالرغم من أن له موقفاً عاماً منه، وله موقف خاص بالنسبة إلى بعض رواياته.

أما موقفه العام فقد بينه بقوله: «وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفيما ذكرنا كفاية، وفي بعض ما أوردناه نظر، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يتراعى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن ممن بعده والله أعلم.»

فمن الواضح أنه يعترف كغيره بأن غير أبي مخنف ليس لديه، وربما لا يريد أن يكون لديه، تفاصيل المقتل لكي لا تتبين شناعة جرائم الطرف الأموي والحال أنهم في صدد التخفيف منها وإنكارها إن استطاعوا.

لكن سيبقى هذا المقتل من دون توصيف أبي مخنف بلا لون ولا طعم ولا

رائحة مثلما صنع ابن تيمية^(١) في شرحه لمقتل الحسين بما يضحك الثكلى!
ويبين سقم معرفته التاريخية أو أغراضه النفسية.

لكن ابن كثير وهو مأسور بمشكلة الشيعة ومعياً بطريقة استاذة وشيخه
ابن تيمية لم يستطع أن يصنع انسجاماً بين كلام ابن سعد في الطبقات وبين
روايات أبي مخنف كما هي في الطبري وقد نقل عنه، فلكل من الرجلين منهجه
وطريقته في عرض الأحداث وماذا يريد أن يخدم فيها؟ فجاء مقتل ابن كثير
متضارباً يقول كلاماً في البداية لكي يخالفه في النهاية ويسوق كلاماً هنا
لينقضه هناك وهكذا^(٢).

٢. كانت العقدة الشيعية تمثل الشبح الذي يطارد ابن كثير فكلما رأى
مناسبة لضرب الشيعة والرافضة لا يتركها تذهب بل يؤكد ما يعتقد فيهم
حتى لو كانت من الكذبات المفضوحة، فلا يهم لأنه يكتب لمن لا ينتظر منه
دليلاً فقد قال^(٣): «ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث
كثيرة كذباً فاحشاً، من كون الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم وما
رفع يومئذٍ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس

١- قال في كتابه رأس الحسين ص ٢٨ فلما ذهب الحسين رضي الله عنه، وأرسل ابن عمه عقيل (١)
إليهم، وتابعه طائفة. ثم لما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة، قاموا مع ابن زياد، وقتل عقيل (مرة أخرى
قتل عقيل (١) وغيرهما. فبلغ الحسين ذلك، فأراد الرجوع، فوافه سرية عمر بن سعد، وطلبوا منه أن
يستأسر لهم، فأبى، وطلب أن يردوه إلى يزيد بن عمه، حتى يضع يده في يده، أو يرجع من حيث جاء، أو
يلحق ببعض الثغور، فامتنعوا من إجابته إلى ذلك، بغيا وظلماً وعدواناً. وكان من أشدهم تحريضا عليه:
شمر بن الجوشن. ولحق بالحسين طائفة منهم وقع القتل حتى أكرم الله الحسين ومن أكرمه من أهل
بيته بالشهادة، رضي الله عنهم وأرضاهم. «ويكفي هذا النص ليتوج قائله بلقب شيخ الإسلام!! ففيه
من الخلل والخلط ما لا يحتاج لبيان.

٢- من ذلك قوله: البداية والنهاية، ج ٨، ابن كثير، ص ١٨٦ .. وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام
أئمة هذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب قال أبو مخنف عن أبي جناب، عن عدي بن
حرملة، عن عبد الله بن حرملة، عن عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين.. «ومن الواضح
أن أبا مخنف شيعي وإن كان بالمعنى العام. كما سبقت الإشارة إليه. بل كما وصفه ابن كثير نفسه!

٣- ابن كثير، البداية والنهاية ٢١٩/٨.

كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقمة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً، وأمطرت السماء دماً أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذٍ، ونحو ذلك. وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل المعافري: أن الشمس كسفت يومئذٍ حتى بدت النجوم وقت الظهر، وأن رأس الحسين لما دخلوا به قصر الامارة جعلت الحيطان تسيل دماً، وأن الأرض أظلمت ثلاثة أيام، ولم يمس زعفران ولا ورس بما كان معه يومئذٍ إلا احترق من مسه، ولم يرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلا ظهر تحته دم عبيط، وأن الإبل التي غنموها من إبل الحسين حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم. إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء»^(١).

وأسوأ من ذلك الكذبة الصلعاء المجلحة التي ما سبقه فيها غير شيخه ابن تيمية عندما قال ابن كثير: وهذا يرد قول الرافضة إنهم حملوا على جنائب

١- لا تحتاج إلى ذكر كثير من المصادر غير الشيعية التي ذكرت كل ما ذكر أعلاه، فيكفي ما جاء في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ مدينة دمشق حيث ذكر عدداً غير قليل من الروايات حول بعض الظواهر الغيبية التي رافقت مقتل الحسين عليه السلام، وما حصل لمن شارك في قتله، وكذلك ما ذكره في كتاب الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، ص ١٩٦ وهو في شدته على الشيعة والتشيع لا يقصر عن ابن كثير فهو يقول في كتابه ذاك: «ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً أن السماء اسودت اسودادا عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط. وأخرج أبو الشيخ أن الورس الذي كان في عسكرهم تحول رماداً وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافيتهم حين قتله. وحكى ابن عيينة عن جدته أن جملاً ممن انقلب ورسه رماداً أخبرنا بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارت مثل العلقم وأن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت ولم يرفع حجر في الشام إلا رؤي تحت دم عبيط.. وأخرج عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً. ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء. وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعتوا خرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دماً. زاد أبو نعيم فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً.. وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جاء برأس الحسين إلى دار زياد سألت حيطانها دماً.. وقريب من ذلك نقله الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ١٥/٥ وهو من هو في شدته على الشيعة والتشيع!

الإبل سببا عرايا، حتى كذب من زعم منهم أن الإبل البخاتي^(١) إنما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم لتستر عوراتهن من قبلهن ودبرهن»^(٢).

سبحان الله!! هلا جئت لنا باسم واحد ممن تسميهم الرافضة ممن يقول بذلك؟ فهذه كتبهم وسيرهم ومقاتلهم وأنت تزعم أن لديهم مبالغات وكذبا كثيرا في المقتل فهلا جئت بمصدر واحد يذكر هذه الفرية؟

والحقيقة أنه لم ترد هذه الكلمات (والزيادة عليها من عند ابن كثير) إلا فيما ذكره سائل (وقد يكون سائلا مفترضا) لابن تيمية في الفتاوى، وقد ذكره أيضاً في كتابه رأس الحسين (وهذا يجعلنا نشكك في وجود سائل حقيقي) ففي كتابه رأس الحسين قال «وأما ما يرويه من لا عقل له يميزه ما يقول، ولا له إمام بمعرفة المنقول: من أن أهل البيت سبوا، وأنهم حملوا على البخاتي، وأن البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان: فهذا الكذب الواضح الفاضح لمن يقوله. فإن البخاتي لا تستر امرأة، ولا سبي أهل البيت أحد، ولا سبي منهن أحد»^(٣).

وجاء ابن كثير ليرقص على هذه النعمة، ومن أجمل الجواب ما أجاب به العلامة الأميني رضوان الله تعالى عليه حيث قال «لا أحسب أن في الشيعة معتوها يزعم أن الأسنمة الموجودة في الإبل بخاتها وعرايها منذ كونت حدثت بعد واقعة الطف، الشيعة لا يقول ذلك وإنما يأفك بهم من أفك، وهو يريد الوقعة فيهم بإسناد التافهات إليهم، ولا يعتقد الشيعي أن حرائر النبوة وإن سلبن الحلبي، والحلل، والأزر، والأخمرة، مزين في السبي عراة، واستقبلهن شيء من مظاهر الخزي، فإن عطف المولى لهن كان يأبى ذلك كله.

نعم: انتابتهن محن ونوائب وكوارث وشدائد في سبيل جهادهن كما انتابت رجالهن في سبيل جهادهم، وكلما ينتاب المجاهد بعين الله وفي سبيله

١- يقسمون الإبل إلى قسمين؛ عراب وبخاتي، والعراب هي الإبل المشهورة عند العرب، بينما البخاتي هي الإبل ذات السنامين.

٢- ابن كثير: البداية والنهاية ٢١٣/٨.

٣- ابن تيمية؛ أحمد: رأس الحسين ص ٣٦ ومثله في مجموعة الفتاوى ٥٠٦/٤.

فهي مآثرة له لا مخزاة فإنهن شاركن الرجال في تلك النهضة المقدسة التي أسفرت عن فضيحة الأمويين ومكائدهم ونواياهم السيئة على الدين والمسلمين، وإضمارهم إرجاع الملأ الديني إلى الجاهلية الأولى»^(١).

٣. ضمن هذا الاتجاه الأموي يبدأ ابن كثير قصة مقتل الحسين عليه السلام بجملة من الأفكار؛ منها أن الحسين كان مخالفاً للحسن عليهما السلام في الموقف من بني أمية والصلح وأن الحسن أراد لذلك أن يسجن أخاه الحسين!^(٢). وضمن نفس الأفكار التي يشيعها أتباع الخط الأموي ليس فقط أن الإمامين كانا منسجمين مع معاوية بن أبي سفيان بل كان هو في طرف الاحسان لهما والإكرام والعطاء المالي السخي!^(٣) وأنه أعطاهما في يوم واحد مائتي ألف! وأعجب من ذلك قوله إنه بعد وفاة الحسن كان الحسين يقد على معاوية كل سنة فيعطيه ويكرمه! يعني أنه خلال هذه المدة ذهب إليه عشر مرات! ولا أعلم هل كان ذلك لتهنئته على اغتياله الإمام الحسن أو على مباركته له بمحاولاته استئصال شيعة أبيه؟!^(٤)

٤. كذلك لا ينسى ابن كثير أن يورد ما ذكره ابن سعد - بالتفصيل الممل - عن (نصح) الصحابة ونظرائهم للحسين بل (الناس) ألا يخرج فإن في خروجه الفتنة، فقال «ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه

١- الأميني؛ عبد الحسين: الغدير ٣/ ٢٥٧.

٢- اقرأ وأعجب! سيد شباب أهل الجنة يريد أن يسجن سيد شباب الجنة الآخر كرامة لبني أمية!! هذا مع أن الصحيح هو موقفهما في غاية التكامل إلى الدرجة التي التزم فيها الإمام الحسين بما عقده أخوه الحسن عليهما السلام حتى بعد شهادة الحسن المجتبي لمدة عشر سنين! فهل من يفعل هذا يحتاج إلى سجن (ابن كثير)؟

٣- ابن كثير: البداية والنهاية ١٦١/٨ «.. فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراما زائدا، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، ويعطيتهما عطاء جزيلا، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند... ولما توفي الحسن كان الحسين يقد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد، في سنة إحدى وخمسين..»

٤- في فصل السيرة الحسينية تجد تفاصيل موقف الإمام الحسين عليه السلام من معاوية بن أبي سفيان.

منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم»^(١).

٥. من غرائب ابن كثير أنه بينما يرى عبيد الله بن زياد أهلاً لأن يخطب خطبة بليغة^(٢) بقوله: «وقد كان عبيد الله قبل أن يخرج من البصرة بيوم خطب أهلها خطبة بليغة ووعظهم فيها وحذرهم وأنذرهم من الاختلاف والفتنة والتفرق، وذلك لما رواه هشام بن الكلبي وأبو مخنف»^(٣) نراه يستكثر على الامام الحسين عليه السلام ما جاء في خطابه لأهل البصرة من قوله: «إلى أشرف أهل البصرة فيه أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وورثته وأحق الناس به وبمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق فرحم الله وغفر لنا ولهم، وقد بعثت إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، فتسمعوا قولي وتطيعوا أمري، فإن فعلتم أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله» ويراه من صناعة بعض رواة الشيعة وأنه كلام مطرز، فقال معلقاً على الرواية التي نقلها أبو مخنف: «وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر، والظاهر أنه مطرز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة»^(٤).

٦. كما ذكرنا فإن ظاهرة التعثر والاضطراب في هذا المقتل ترجع إلى عوامل متعددة؛ منها النقل من نظامين وفكرتين لا تنسجمان؛ مقتل أبي مخنف

١- ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٢/٨.

٢- قد ذكرنا في فصل السيرة الحسينية ما صرح به المؤرخون من أن ابن زياد كان من المشهورين باللحن وكان يرتضخ لكنة فارسية.. لكن ابن كثير يرى من الطبيعي أن يخطب خطبة بليغة أما الحسين الذي هو ابن أبيه وقيل فيه لو وقف عامة نهاره يخطب لما عي أو حصر.. يرى ابن كثير تلك الرسالة كثيرة عليه ١.

٣- ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٠/٨.

٤- نفس المصدر والصفحة

الأزدي، ومقتل ابن سعد البغدادي، ومنها غلبة العقيدة على الرواية التاريخية فإن ابن كثير يكتب التاريخ وفي ذهنه تثبيت آرائه وأفكاره ونفي ومعارضة أفكار غيره، بغض النظر عن أن الرواية التاريخية تساعده أو تعارضه، فهو يختار الروايات التي تساعده وإن كانت ضعيفة ولا قرائن عليها ويستبعد الروايات التي تخالفه في المعتقد حتى لو كانت أسانيدھا تامة والقرائن عليه كثيرة! فخذ هذا المثال فإنه في أول المقتل مع أنه نقل عن الزبير بن بكار وهو عنده معتمد «أنه كتب يزيد^(١) إلى ابن زياد: إنه قد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت أنت به من بين العمال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترق العبيد وتعبد، فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه».

وأضاف ابن كثير قائلاً: قلت: والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام كما سيأتي^(٢).

لكنه فيما بعد هذا بنحو ثلاثين صفحة يقول «وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا، على قولين، الأظهر منهما أنه سيره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة فالله أعلم»^(٣) فلا نعلم أي الصفحتين نصدق؟

ونحتمل أن ابن كثير قد تورط ما بين (رأي واعتقاد) شيخه ابن تيمية وبين الروايات الكثيرة المتظافرة والقرائن الكثيرة المتوفرة على أن رأس الحسين عليه السلام قد حمل إلى الشام وأنه نكته يزيد بن معاوية بعود الخيزران، فماذا يصنع؟ هل ينفي رأي شيخه أو ينفي الروايات؟ لا سيما وأن رأي ابن تيمية جازم قاطع متجاوز لكل الروايات والمؤرخين من الفريقين، فماذا يصنع؟ إن ابن تيمية لا يمانع أن يلغي مقتل الأزدي والطبري وابن سعد

١- في طبقات ابن سعد أن الذي كتب هو عمرو بن سعيد الأشدق.

٢- ابن كثير: البداية والنهاية ١٧٨/٨.

٣- نفس المصدر ٢٠٩/٨.

والبلاذري وابن الجوزي وغيرهم لأجل شخص سمّاه، وقد نعته الذهبي بأنه متهم في نقله! ويكفي لمعرفة مستوى وثاقته وصدقه دعواه «إجماع الذين صنّفوا في مقتل الحسين» على أن الرأس لم يغترب، ولو لم يكن في كل كلامه إلا هذه لكفت في عدم الاعتماد عليه، جاء به ابن تيمية ليستدل به على أن الرأس لم يغترب!^(١) أي لم يُسَفَّر إلى الشام.

وقال ابن تيمية مكذباً حمل الرأس ونكت يزيد ثناياه بقضيب بأنه لم ينقل بإسناد معروف، وإنما هو إسناد منقطع وقد عارضه ما هو أثبت وأظهر!^(٢) ولأن الأمر أكبر من أن يرقع فقد اكتفى (محقق الكتاب) وهو من تلامذته الفكريين بنقل ما عن ابن جرير الطبري في هامش الكتاب، من إثبات ما نفاه ابن تيمية! ولم يقل شيئاً!! وكذلك نقل كلام المسعودي في مروج الذهب بنفس المؤدى.

والحقيقة إنني أتعجب من حجم التناقض بل العناد في شخصية هذا الرجل فهو من جهة يمدح محمد بن سعد صاحب الطبقات - كاتب الواقدي كما سماه - فيقول: «ومن المعلوم: أن الزبير بن بكار، صاحب كتاب الأنساب، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، صاحب الطبقات ونحوهما من المعروف بالعلم والثقة والاطلاع: أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلوا به من المجاهيل والكذابين، وبعض أهل التواريخ الذين لا يوثق بعلمهم ولا أصدقهم، بل قد يكون الرجل صادقاً، ولكن لا خبرة له بالأسانيد»^(٣)، ثم لا ينظر لتحقيق هذه المسألة التي نفاها بضرر قاطع إلى ما قاله من رآه أعلم وأصدق وأهل ثقة واطلاع، فلو كلف نفسه لينظر إلى ترجمة الامام الحسين في طبقات ابن سعد لرأى فيه هذا النص: «وقدم برأس الحسين محفز بن ثعلبة العائذي - عائذة قريش - على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحق الناس

١- ابن تيمية: رأس الحسين ٢٥.

٢- نفس المصدر: ٣٤.

٣- نفس المصدر: ٢٦.

وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز أحمق وألأم، لكنّ الرجل لم يقرأ كتاب الله «تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّز من تشاء وتذلّ من تشاء». ثم قال بالخيزرانة بين شفتي الحسين وأنشأ يقول:

يفلقن هاما من رجال أعرّة

علينا وهم كانوا أعق وأظلما

والشعر لحسين بن الحمام المري، فقال له رجل من الأنصار- حضره-: ارفع قضيبك هذا فإني رأيت رسول صلى الله عليه وآله يقبل الموضع الذي وضعته عليه.

قال: أخبرنا كثير بن هشام، قال: حدّثنا جعفر بن برقان، قال: حدّثنا يزيد بن أبي زياد، قال: لما أتى يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي جعل ينكت بمخصرة معه سنّه ويقول: ما كنت أظنّ أبا عبد الله يبلغ هذا السنّ!^(١) فإذا كان ابن سعد كما وصفته، فهلا قبلت كلامه؟ وأين الاسناد المنقطع؟ وأين الروايات المعارضة التي هي أكثر وأظهر؟

مقتل الذهبي^(٢) في كتابه تاريخ الإسلام

١. نلاحظ عليه: كأنه استكثر على الامام الحسين عليه السلام وأصحابه في مقتلهم وما حدث على نسائه أن يخص لكل هؤلاء أكثر من ١٥ صفحة من كتابه تاريخ الإسلام الذي جاء في ٥٢ مجلداً! وأما نفس المقتل فلم يزد فيه على خمسة أسطر!^(٣) إن صح أن يسمى ما كتبه (مقتلاً)!

١- ترجمة الإمام الحسين ومقتله من طبقات ابن سعد ص ٨٢

٢- مرت ترجمته فيما سبق.

٣- الذهبي، تاريخ الإسلام ٩/٥ «.. وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً، وقتل عامة أصحابه حوله، وذلك في يوم الجمعة يوم عاشوراء، وبقي عامة نهاره لا يقدم عليه أحد، وأحاطت به الرجالة، فكان يشد عليهم فيهمزهم، وهم يتدافعونه، يكرهون الإقدام عليه، فصاح بهم شمر: ثكلتكم أمهاتكم ماذا تنتظرون به قطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته، ثم انتزع الرمح وطعن في بواني صدره، فخر رضي الله عنه صريعاً، واحتز رأسه خوئي الأصبجي، لا رحمه الله ولا رضي عنه». هذا كل ما قدر الذهبي على روايته من يوم عاشوراء!!

ويُعد كما أرى من أسوء ما كتب حول حادثة كربلاء وما تلاها، فلك أن تتصور أن شخصاً يريد أن يكتب عن كل الحادثة في خمسة عشر صفحة، لا شك يخرج القارئ بشيء غير واضح عما حدث ولماذا حدث ما حدث؟! وكيف حدث ما حدث!؟

لا سيما مع عدم ترتيب لاعتماده الأخبار المتقطعة فأحياناً تجد خبراً عن رأس الحسين وأين صار؟ بينما هو حتى الآن لم يتحدث عن الواقعة والقتل! ٢. يبدأ الحوادث بالإشارة إلى ما أورده ابن سعد في الطبقات، ثم يأتي بنفس الكلام والمقدمات حتى لتكاد تكون بالنص فيما يرتبط (بنهي الصحابة) الحسين عن الخروج، وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن مقتل الحسين في طبقات ابن سعد ونذكر بأن التركيز على هذه الجهة في كل المقاتل (المختصر منها والمفصل) يستبطن في داخله إدانة للحسين الذي (عصى) نصح الناصحين، وأصر على الخروج! ومن الطبيعي أن من يقرأ المقتل ويرى حشد الأسماء بطريقة توحى بموقف معاند وأنه كان ينبغي أن يسمع كلامهم! خصوصاً مع إغفال وترك خطب الامام الحسين وكلماته التي تبين مواقفه وسبب خروجه والأخطار التي كانت تتهدد الإسلام بولاية يزيد وما قاله عليه السلام من أنه (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة بوال مثل يزيد) لقد تم تجاهل كلمات الحسين عليه السلام التي تبين أهدافه ومنطلقاته حتى وصيته المشهورة التي أوصى بها أخاه محمداً بن الحنفية (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي) لكنهم بدل ذلك يروون أن محمد بن الحنفية لم يخرج مع الحسين ومنع أبناءه من الخروج!! وذلك لكي يزعموا أن (خطأ) الحسين في موقفه كان واضحاً حتى لبعض أهل بيته! ٣. التأكيد على ما كذبه شاهد العيان الرئيس عقبة بن سمرعان، من أن الحسين طلب منهم أن يسمحوا له بواحدة من ثلاث: كما زعم الذهبي ناقلاً

عن أبي معشر نجيح^(١) عن بعض مشيخته، إن الحسين قال لعمر بن سعد: يا عمراختر مني إحدى ثلاث: إما أن تتركني أن أرجع، أو أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكّم فيما أرى، فإن أبيت فسيرني إلى الترك، فأقاتلهم حتى أموت عن أن يسير إلى ثغر من الثغور أو يسلم يده في يد يزيد..^(٢) فأول ما في هذا الخبر هو أبو معشر وتجد وصفهم له بالضعف بل الكذب في الهامش، وهو ينقله عن بعض مشيخته الذين لا نعلم من هم؟ ثم يعتمد عليه الذهبي في مسألة بغاية الأهمية كالتي ذكرت وكأنّ الحسين عليه السلام متهاكك على أن يقبلوا منه أي واحدة من الخصال التي لا ريب أن الحسين يرفضها كلها، وقد كذبها عقبة بن سمرعان مولى الحسين عليه السلام بما أشرنا إليه في فصل السيرة الحسينية.

٤. التأكيد من قبل مؤرخي الخط الرسمي للخلافة والشامي على وجه التحديد على تأسف يزيد وحزنه بل بكائه على الحسين لما وصل الأسارى للشام! واعتمادهم في ذلك على ما رواه الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسن المخزومي قال: لما أدخل ثقل الحسين على يزيد ووضع رأسه بين يديه بكى يزيد وقال:

نفلق هاما من رجال أحبة إينا وهم كانوا أعق وأظلما^(٣)

ولأنه يتكرر في كل هذه المصادر فمن المهم الإشارة إلى أن من يسمى بمحمد بن الحسن المخزومي ويلقب بزبالة والذي اعتمد عليه الزبير بن بكار قد وصف عند الرجالين^(٤) تارة بالكذاب وأخرى بأنه ليس بثقة وهكذا.

١- جاء في سير أعلام النبلاء عنه: قال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو داود والنسائي: ضعيف. وقال يزيد: سمعت أبا جزء بن طريف يقول: أبو معشر أكذب من في السماء والأرض!! وفي الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني: كان يجي لا يحدث، عن أبي معشر المدني ويستضعفه جدا ويضحك إذا ذكره.

٢- الذهبي، تاريخ الإسلام ٩/٥.

٣- نفس المصدر ص ١٨.

٤- الجرجاني، عبد الله بن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ١٧١/٦: محمد بن الحسن بن زبالة



ولا نعلم هل أن من البكاء نكت ثنايا الحسين عليه السلام؟^(١) وهل من البكاء قوله لزينب: إنما خرج من الدين أبوك وأخوك؟^(٢)

إن من ميزات هذا الخط (الشامي) رفع المسؤولية عن يزيد إلى الحد الذي جعلوه يبكي على الحسين، ورفعوا عنه جريمة ضرب رأس الحسين بالقضيب، وتحميل ذلك لابن زياد مثلما رأينا في (جهاد) ابن تيمية لنفي مسؤولية يزيد! وهكذا هنا التهالك على رواية الزير بن بكار وإثبات أن الذي ضرب الرأس هو ابن زياد، وينفرد في هذه المسألة الخط الشامي المسكون بالاتجاه الأموي عن سائر المؤرخين حتى عند من يعتمدون عليه كابن سعد الذي ثبت في مقتله ضرب يزيد رأس الحسين في أكثر من رواية، لكنهم (يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)^(٣).

فمن جهة هم يسعون قدر الإمكان إلى تغيب الفضاعات والجرائم التي ارتكبتها الجيش الأموي، وتخفيف شناعة ما تم ارتكابه في أهل بيت النبي وسيد شباب أهل الجنة على وجه الخصوص ولذلك فهم لا يعرضون بشكل تفصيلي لما جرى على الحسين وأهل بيته، وإنما يختصرون الحدث ببضع كلمات كما فعل الذهبي في مقتل الحسين عليه السلام، وفي المقابل يؤكدون على حزن يزيد وبكائه على ما حصل ويلقون باللوم على ابن زياد!

المخزومي مديني، حدثنا محمد بن علي حدثنا عثمان سألت يحيى بن معين عن محمد بن الحسن بن أبي الحسن المخزومي بن زباله فقال: ليس بثقة.. حدثنا ابن حماد وعبد الرحمن بن أبي بكر قالنا ثنا عباس عن يحيى قال ابن زباله ليس بثقة كان يسرق الحديث واسمه محمد بن الحسن مديني وكان كذابا..

١- الطبري ٤/٣٥٦.

٢- المصدر ٣٥٣.

٣- سورة يوسف: آية ١٠٥

مقتل البلاذري^(١) في أنساب الأشراف

١. يمكن اعتباره من أفضل ما دونه مؤرخو مدرسة الخلفاء في مقتل الحسين لجهات متعددة؛ منها أنه جاء مفصلاً في ٨٩ حديثاً و٨٧ صفحة، وهذا مكن المؤلف من إعطاء المقتل حقه من التفصيل، كما أنه جاء مرتباً بشكل تفوق في هذا على مقتل الطبري (أبي مخنف) وعلى ابن سعد وسائر مقاتل الأخرى بحيث يستشعر القارئ أنه يسير خطوة خطوة من بداية الخروج من المدينة بل قبلها أيام معاوية، إلى أن رجع ركب الأسارى إلى المدينة. وبشكل سريع يمكن الإشارة إلى أهم المحطات التي ذكرها البلاذري، فقد بدأ حديث ١ إلى ١٣ حول صلح الحسن وآراء الشيعة فيه وما قاله من اعتراضهم عليه واستنارتهم الحسين للنهضة بعد وفاة الحسن وإصرار الحسين على الالتزام بالميثاق مادام معاوية موجوداً.

ومن حديث ١٤ إلى ١٨ حول وفاة معاوية وخروج الحسين من المدينة إلى مكة ومجيء كتب أهل الكوفة وارساله مسلماً بن عقيل للكوفة.

١- أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي توفي سنة ٢٧٩ هـ أخذ عن المدائني وابن سعد البغدادي، وعمل في بلاط الخلفاء العباسيين؛ المتوكل والمستعين والمعتز، وصفه بعض الباحثين بأنه ممثل للتطور الجديد ممن «كان عملهم انتقاء المادة بعد النقد واستفادتهم من المصادر المختلفة ككتب الإخباريين، وكتب الأنساب وغيرها» وبالرغم من اتصاله بالخلفاء العباسيين إلا أن هذا لم يؤثر بشكل واضح في كتابته. يعتقد أنه تجاوز المناطق المحرمة التي تتجنب من قبل مؤرخي مدرسة الخلفاء: كما يلحظ الناظر في نقله لخبر السقيفة والخلافة وما جرى فيه بل لقد نقل خبراً يفيد اغتيال عمر بن الخطاب لسعد بن عباد، ونقل حادثة اعتدائه على فاطمة الزهراء وأكثر من رواية شديدة في معاوية منها أنه يموت على غيرملة النبي! وربما يكون لهذا السبب وأمثاله فإنهم وإن مدح في كلمات الرجاليين بحسن التصنيف وسعة العلم، إلا أنه لم يتم توثيقه بشكل صريح. بل ربما طعن فيه لمحتوى ما نقل في كتبه من أحاديث كما قال ابن عدي: حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقها عليها أحد، ومثالب لغيرهم مناكير، ونسبوه إلى التشيع. نعم وثقه الدارقطني لكن لا مطلقاً فقال: ثقة، لكنه يخطئ على معمر في أحاديث. إلا أن الشريف المرتضى من أعلام الإمامية قد وصفه بالوثاقة والضبط في كتابه الشافي عند احتجاجه على القاضي عبد الجبار بقوله: «أما كون أبي بكر في جملة جيش أسامة فظاهر، قد ذكره أصحاب السير والتواريخ، وقد روى البلاذري في تاريخه وهو معروف بالثقة والضبط وبرئ من ممالأة الشيعة ومقاربتها..» يعتبر كتاباه: أنساب الأشراف، ومعجم البلدان من الكتب المهمة في موضوعهما.

ومن حديث ١٩ إلى ٢٤ استعان بما ذكره ابن سعد وغيره من ذكره نصيحة الاصحاب ألا يخرج إلى العراق.

وحديث ٢٥ حول خروج الحسين من مكة واشتباك شرطة عمرو بن سعيد الاشدق معه ثم قضية قيس بن مسهر الصيداوي والقبض عليه ثم التحاق زهير بن القين مع الحسين في الطريق، والتقاء عسكر الحسين بجيش الحربن يزيد الرياحي حيث سقاهم الحسين وخيولهم.

تعرض إلى وصول الحسين إلى كربلاء، ثم وصول عمر بن سعد وبمناسبة ذلك عرض إلى نزاعه الداخلي ومشورة الاقربين له في ترك مقاتلة الحسين وأنه اختار ملك الري، ولم يأت على ما ذكره غيره خطأ من أن ابن زياد هدهه بالقتل.

أشار أيضاً إلى تفاصيل تحشيد ابن زياد لحرب الحسين واستدعاء قادة الكوفة من شيبث بن ربعي واسماء بن خارجة والحسين بن نمير وكثير بن شهاب وعمرو بن الحجاج وغيرهم لبعثهم لكربلاء.

أشار إلى دعوة حبيب بن مظاهر ليلة العاشر الأسديين لنصرة الحسين، ونتيجة ذلك، كما اشار إلى منع الماء عن أصحاب الحسين قبل ثلاث من عاشوراء، وإلى قيام العباس وبني هاشم بجلب الماء من الشريعة تحت قوة السيف.

كذلك ذكر ما جاء به شمر من رسالة التصعيد من ابن زياد وتهديده بأن يعزل من الجيش، ونداءه العباس وإخوته بالقول: اين بنو اختنا؟

كما تحدث عن ليلة عاشوراء وعرض الحسين عليهم أن يتفرقوا وثباتهم على نصرته وذكر بعض أقوالهم في ذلك، وأخيراً عرض إلى ذكر المقتل بدءاً بصباح يوم عاشوراء ناقلاً عن الحسين مقطوعاً من خطبته الأولى الاحتجاجية، وانتقال الحر الرياحي إلى صف الحسين وكلامه مع جيش عمر بن سعد، ثم شهادته.

وكان ذكره تفاصيل المعركة بنحو جيد من حيث أسماء أنصار الحسين
المقاتلين ورجزهم وشعرهم.

ثم مقتل آل أبي طالب من العباس واخوته وعليّ الأكبر وأبناء الحسن
وآل عقيل وأخيرا مقتل الحسين بما نجده في اللهوف والارشاد وغيره من
التفاصيل المحزنة مما لا نجد ذلك في طبقات ابن سعد ولا غيره.

٢. بالرغم من ما ذكرنا من النقاط الايجابية في مقتل البلاذري إلا أنه لا
يعني خلوه من الأخطاء فقد وقع كغيره في ما زعم من أن الحسين «ناشدهم
الحسين أن يسيروه إلى يزيد فيضع يده في يده فأبوا إلا حكم ابن زياد»^(١).

ومثله حديث آخر أنهم قالوا أن الحسين عندما اجتمع مع عمر بن سعد
قال لهم: «اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أن أضع يدي في
يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأيي فيّ وإما أن تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين
فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعليّ ما عليه»^(٢) وهو ما سبق أن ذكرنا خطأه
والمصدر الباطل الذي أشاعه، نعم قد أضاف البلاذري قوله «ويقال انه لم
يسأله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط.

٣. إثباته تسيير الرؤوس إلى الشام وضرب يزيد رأس الحسين بالقضيب فإنه
بعدهما نقل ما تمثل به يزيد (نفلق هاما..). ذكراً في عدة أحاديث أنه وضع رأس الحسين
أمامه قال أخيراً: «وجعل يزيد ينكت بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين
يديه فقال أبو برزة الأسلمي أتنتك ثغر الحسين؟ لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً!
ربما رأيت رسول صلى الله عليه وآله يرشفه أما أنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وشفيعك
ابن زياد، ويجيء الحسين وشفيعه محمد، ثم قام (وخرج من مجلس يزيد)^(٣).

١- البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف ١٧٣/٣ وقد علق عليه محقق الكتاب الشيخ المحمدي
بأن الحديث ضعيف السنن غير جامع لشرائط الحجية، فما تفرد به ساقط، ولولم يكن فيه إلا سعدويه
سعد بن سعد الجرجاني لكان كافياً لسقوطه عن درجة الاعتبار والحجية، قال البخاري: لا يصح حديثه.

٢- نفس المصدر ١٨٢/٣.

٣- نفس المصدر ٢١٥.



٤. باستثناء ما سبق ذكره فإن القارئ يلحظ بوضوح أن المقتل فيه قدر كبير من الانصاف ونقل الصورة القريبة من الحقيقة، كما يلحظ موقف التعظيم والاحترام للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في هذا المقتل.

الأفكار المشبوهة وتغيب النهضة الحسينية

كان من أشكال تغيب القضية الحسينية عن ذاكرة المسلمين وتقليص حضورها فيهم تفسيرها بحزمة خاطئة من الأفكار، بحيث بدل أن تكون مثلاً أعلى يحتذى في البطولة والفداء ونصر الدين ومقاومة المنكر، تتحول إلى محل سؤال: هل هي مشروعة أو غير مشروعة؟ وهل كان ينبغي أن يقوم الحسين بما قام به أو كان ينبغي أن يترك ذلك؟ هل عادت بالنفع أو المضرة عليه وعلى الأمة؟ وبالطبع ستنتهي كل تلك الأجوبة إلى الجانب السلبي!

وهذا الجانب قد يكون أكثر تأثيراً من الجانب السابق وهو تشويه مصادر الواقعة، وسبب ذلك أن تشويه مصادر الواقعة إنما يتعامل معه المتخصصون والباحثون في التاريخ، لكنهم هنا في تشويه النهضة الحسينية من خلال بث الأفكار الخاطئة يتعاملون مع عامة الناس.

وذلك أن الحدث مهما كان إنما يراد منه الفكرة التي تستنتج منه، وتستفاد من حصوله وهو ما يسميه القرآن الكريم العبرة، فقصاص القرآن سواء كانت عن الانبياء والمرسلين أو عن الطغاة والفاستين أو عن عامة المجتمعات إنما يراد منها فكرة القصة وعبرة الحادثة (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)^(١).

ونشير في هذه الصفحات إلى بعض الأفكار المشبوهة التي بثها الاتجاه الأموي والرسمي^(٢) في الأمة حول نهضة الحسين عليه السلام:

١. الزعم بأن حركة الامام الحسين كانت من أجل السيطرة على الحكم: سوف نأتي على ذكر بعض المصادر والكلمات التي قيلت في هذا الصدد،

لكن نشير إلى الهدف من بث هذه الفكرة.

١- يوسف: ١١١.

٢- أشرنا أكثر من مرة إلى أننا عندما نتحدث عن الاتجاه الأموي لا نقصد الدولة الأموية فقط وإنما الخط الممتد منها وإلى أيامنا ممن يحمل فكرها وسياستها.

إن تجاوز الحقيقة والتعامي عنها في أهداف النهضة الحسينية والتي كانت لطلب الإصلاح في الأمة، ورفع المنكر الأموي عنها، مما تحدثنا عنه في فصل السيرة الحسينية، وتحويل القضية إلى حركة من أجل السيطرة على الحكم ليس إلا، سينتهي إلى القول بأنه ما دام الأمر هكذا، فلماذا أتعاطف وأتفاعل معها؟ ولماذا أحزن وأبكي على شخص قام لأجل السلطة والرئاسة والدنيا فقتل؟

سيكون حاله حال سائر الأشخاص الذين طلبوا الرئاسة والدنيا فلم يتهياً لهم أن يحصلوا عليها ما الفرق بينه وبين غيره حتى يختص بكل هذا الاهتمام؟ بل يقال على أثر ذلك كما قيل: مثلما أن الحسين قام لأجل السيطرة على الحكم ولأجل الإمارة فإن دفاع يزيد وابن زياد عما كان في يدهم منها هو دفاع مشروع، وقضاؤهم على الحسين كان أمراً طبيعياً! بل هو المدان في هذه الحالة! وعندما تتحول المسألة من كونها نهضة لإنقاذ الإسلام، ومحاربة الانحراف إلى حركة سياسية لأجل السيطرة على الحكم، تنتقل من خانة القيم والشهادة إلى خانة السياسة وألعابها وأدواتها! في الحالة الأولى المنطق السائد فيها هو: هَوْن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله! وشعارها: رضا بقضائك وتسليماً لأمرك! وبيانها الأساس: إنا على الحق.. فلا نبالي وقعنا على الموت أم وقع الموت علينا! من هنا نفهم لماذا كانت كلمات الامام الحسين عليه السلام حول أهداف نهضته وبواعثها كثيرة ومتعددة الأساليب وفي مختلف المناطق (المدينة، مكة، الطريق إلى كربلاء، في كربلاء) حتى لو فات البعض في مكان يسمعونها في مكان آخر ولو لم تُنقل في مكان أو بواسطة أشخاص تنقل في مكان آخر بواسطة آخرين وهكذا مثل قوله عليه السلام في المدينة (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي فمن قبلي بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ أصبر). و-إنما- هي أداة حصر كما يقول علماء اللغة العربية، بمعنى لهذا السبب ليس إلا، وتراه

في كربلاء يقول (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول الخصام ولكن لنري المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)،^(١) فليست القضية لأجل السيطرة على الحكم والرئاسة أو في طلب الامارة! وقد يكون تفسير النهضة الحسينية بهذا النحو المادي والسياسي الدنيوي مفهوماً إذا جاء من دراسات المستشرقين الذين تناولوا هذه الفترة التاريخية بالبحث والدراسة، فإنهم يتعاملون مع كل هذه القضايا بعيداً عن دائرة المقدس ومنطلقات القيم الروحية.. لكننا لا نستطيع تفهم أن يقوم بهذا مؤرخون مسلمون هم أنفسهم يقدمون قبل مقتل الحسين عشرات الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الحسين عليه السلام وأنه سيد شباب أهل الجنة وأن رسول الله رُؤي في المنام باكياً وأن جبرئيل أو ملك القطر قد نعى الحسين لرسول الله وأتيا له بتربة من قبره وأن النبي بكى على إثر ذلك! بل وقد نقلوا من الروايات ما نقلوا في الأمور الكونية التي حصلت بعد شهادة الحسين من الدم العبيط في الأرض وأمثال ذلك.

ما الذي يجعل الكون يتفاعل لأجل مقتل شخص خرج للسيطرة على الحكم والتمتع بميزات الرئاسة ثم لم يستطع ذلك؟ هل يستحق مثل هذا بكاء من النبي أو نعيّاً من ملائكة السماء أو تفاعلاً من الكون؟

كأحد الشواهد على هذا الاتجاه فإن العنوان الذي جعله ابن كثير الدمشقي لتاريخ مقتل الحسين في كتابه البداية والنهاية كان بهذا النحو: قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الامارة وكيفية مقتله. الأسوأ من فكرة أن خروج الحسين وبالتالي مقتله كان في طلب الامارة والرئاسة والصراع على السلطة ما سيأتي من ترقّي (ولا رقي في ذلك) بعض أتباع الاتجاه الأموي في المسلمين ليشير بالصراحة أو بالمواربة إلى أن:

١- الوافي ١٥/١٧٩.

٢. خروج الحسين كان خروج بغّي علي إمام للمسلمين!

والذي قال هذه الفكرة بالصرّاحة كان ابن العربي المالكي^(١) في كتابه العواصم من القواصم، فإنه رأى أن الذين خرجوا لقتاله قد خرجوا لذلك بفكرة واجتهاد في الدين ومعرفة بالأدلة الشرعية! ومنها أن خروجه كان فتنة على الأمة - في نظر ابن العربي وابن زياد ويزيد - وتفرقة لوحدها وأن ذلك يدخل تحت كلام النبي في أن من يفعل ذلك يجب أن يقتل بالسيف كأننا من كان! وهكذا الجيش الذي خرج لقتاله، فلم يخرج أولئك الناس إلا بمثل هذا، ولم يقتلوا الحسين لأنهم طامعون في المال أو خائفون من عقوبة ابن زياد وإنما لأنهم كانوا مجتهدين ولهم أدلتهم في لزوم الوحدة!

ومن خلال كلامه فهم غير واحد من العلماء والمؤرخين أنه ينتهي إلى القول بأن الحسين إنما قتل بسيف جده رسول الله، فقالوا إنه قال ذلك^(٢)، وهو وإن

١- محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر بن العربي المالكي توفي سنة ٥٤٣ هـ في المغرب. وتفقه على أبي حامد الغزالي. وهو غير محبّي الدين بن عربي المشهور بالتصوف الذي توفي في دمشق سنة ٦٣٨ هـ أي بعد نحو قرن من وفاة سابقه. بالإضافة إلى اختلافات بينهما كثيرة. أشهر كتبه كتاب العواصم من القواصم والذي نصب فيه نفسه محاميا عن الدولة الأموية وتنزيه خلفائها بما لم يدعه نفس أولئك وأجهد نفسه لإنكار حقائق التاريخ الثابتة عند المؤرخين لأجل «تبرئة» أولئك الحكام من مفاصلهم. كما حاول أن ينزه الصحابة «فيما شجر بينهم»! ولتجاوز حقائق التاريخ فقد تعرض لهجوم من كثير من العلماء ممن نقدوا كتابه ومنهجه.

٢- قال عبد الرؤوف المناوي في فتح القدير شرح الجامع الصغير ٢٤٦/٥ «.. من مجازفات ابن العربي أنه أفتى بقتل رجل عاب لبس الأحمر لأنه عاب لبسة لبسها رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل بفتياه كما ذكره في المطامح وهذا تهور غريب وإقدام على سفك دماء المسلمين عجيب وسيخاصمه هذا القتيل غدا وبيوء بالخزي من اعتدى وليس ذلك بأول عجرفة لهذا المفتي وجراته وإقدامه فقد ألف كتابا في شأن مولانا الحسين رضي الله عنه وكرم وجهه وأخزى شأنه زعم فيه أن يزيد قتله بحق بسيف جده نعوذ بالله من الخذلان..» ولأن المعنى الذي ذكره ابن العربي هو ما استفاده الكثير من كلامه، ومنهم ابن خلدون حيث قال في مقدمته: «وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سمّاه (العواصم من القواصم)، ما معناه أن الحسين قُتل بشرع جده، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل! ومَن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء؟! ولذلك لا نرى معنى واضحا لقول ابن حجر إن شيخه أبا الحسن الهيثمي كان يغض من ابن خلدون لأنه نسب لابن العربي قوله عن الحسين إنه قتل بسيف جده.. فهو وإن لم يقل ذلك بالحرف والنص فقد قاله بالمعنى والمؤدى، وهذا ما يفهم من كلامه!

لم يقل هذا بالنص والحرف لكن هذا المعنى واضح في كلامه، قال - عامله الله بما يستحق - في حق الإمام الحسين عليه السلام « ما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن. وأقواله في ذلك كثيرة: منها قوله صلى الله عليه وآله «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان». فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله. ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين وسعه بيته أو ضيعته أو إبله - ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق، وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر - لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذره النبي صلى الله عليه وآله وما قال في أخيه ورأى أنها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه؟ قادة هذا الاتجاه الأموي هم على قسمين؛ من يعلن الأمر بالصراحة؛ تخطئة الحسين بوضوح وعلان أن الإمام الشرعي هو يزيد بن معاوية^(١)، وخروج الحسين عليه خروج بغي وفتنة والموقف الطبيعي هو أن يقتل الخارج الباغي الممزق للأمة، وهذا هو توجيه النبي وهو معنى أن الحسين قتل بسيف جده كما قال ابن العربي المالكي.

والقسم الثاني يرى هذه المقالة فجة، وهي أوقح من أن تُقبل بهذه الصيغة، فيتم تخفيفها بالنحو التالي: يزيد بايعه الناس بعد تولية أبيه إياه فهو إمام شرعي، وانفرد الحسين وخمسة نفر بعدم البيعة، فهم مخطئون في ذلك، ثم خُدع الحسين بشيعته وأهل الكوفة، ولم يستمع إلى نصح

١- (ويكفي في الرد على هذه المقالة ما قاله قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون»: من الاعتقادات العامية، التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة، أن يقولوا أن يزيداً كان على الصواب، وأن الحسين أخطأ في الخروج عليه، ولو نظروا في السير لعلموا كيف عُقدت له البيعة، وألزم الناس بها، ولقد فعل في ذلك كل قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته، فقد بدت منه بواد كلها توجب فسخ العقد، من رمي المدينة، ورمي الكعبة بالمجانيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثنيته بالقضيب، حمله الرأس على خشبة، وإنما يميل جاهل بالسيرة، عامي المذهب، يظن أنه يغيب بذلك الرافضة...



الصحابة، فكان من الطبيعي أن تقاومه الدولة بعد أن حاولوا معه بالرفق فلم يستجب! فكان أن قتله عبيد الله بن زياد أو قتله شيعته من أهل العراق! لكننا نترحم على الحسين فهو ابن بنت رسول الله وهو كذا وكذا لكننا لا نفعل كما يفعل الشيعة والروافض من البدع في إظهار الجزع الذي هو غير جائز.. إلى آخر هذه المعزوفة.

ويظهر ذلك بصياغة أوضح في كلام ابن كثير «.. وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تدم الأمة كلها بكما لها وتتهم على نبيها صلى الله عليه وآله، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون في الدنيا وأخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرغبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه. وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله أعلم..»^(١)

١- ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢١/٨

٣. فكرة التأول والتأويل

من جملة ما تمسك به أتباع النهج الأموي موضوع تأول قتلة الحسين، وأنهم ما خرجوا إليه إلا بتأويل، ومعنى ذلك الصريح: أنهم خرجوا لقتله بحجة شرعية في رأيهم وبدليل بين أيديهم يهتدون به.. لا أنهم قتلوه بدوافع دنيوية أو مادية أو لأجل السلطة! وهذا كما يشمل القادة كيزيد وابن زياد، يشمل عامة المقاتلين كما يظهر من كلماتهم بأنه ما خرج الناس لقتاله إلا بتأويل وتأول! وقد صرح بذلك ابن العربي كما تقدم ذكره وأشار إليه بخجل ومواربة ابن كثير! وهنا نقول إنه لا مجال لهذا اللت والعجن!! فإن الحسين عليه السلام صارحهم بل حاكمهم بالقول:

أيها الناس انسابوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عنده؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيदा شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!

ثم قال الحسين عليه السلام: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أي ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة؟! فأخذوا لا يكلمونه^(١).

١- المقدم، عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام ٢٣٨

فبعد كل هذا التوضيح بل المحاكمة، أي معنى باطل يبقى للحديث عن التأويل والتأويل؟! أمامهم هو يقول أنا ابن بنت رسول الله وهذا نسبي حتى لا يحتاج أحد بعدم معرفة الشخص! ويقول هؤلاء يقتلونني ظلماً من غير جرم حتى لا يأتي متمحل مخذول فيما بعد ليقول أنت شققت عصا الأمة وفرقتها فنقتلك بسيف جدك! من يقول هذا الهراء؟! يقال له: تأوّل قاتلوه عليه فقتلوه! ثم تأوّلوا فقطعوا رأسه! ثم تأوّلوا أيضاً فداسوه بجوافر الخيل! ثم تأوّلوا فسبو نساءه من بنات رسول الله! ثم تأوّلوا فحملوا رأسه ورؤوس أصحابه إلى الشام ثم تأوّلوا فقرعوا ثناياه أمام الناس بالخيزران! ثم تأوّلوا فهدموا داره! ماذا بقي لم يتأوّلوه؟! ٤. ومن الأفكار التي يبثها أتباع النهج الأموي في تشويه صورة النهضة الحسينية وبالتالي تغييبها عن ذهن الأمة كمثال أسمى، أنها كانت ذات نتائج ضارة بالأمة ولم يكن فيها نفع!

وهذه الفكرة يتم التعبير عنها بأساليب مختلفة إذ لما كانت من السوء في دركات، كان كل درك يحتاج لتعبير خاص به:

فعندما يأتي ابن تيمية ليتحدث عن هذه الفكرة (تخطئة الامام الحسين وحركته!) يقول:

«.. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْخُرُوجِ لِمَصْلَحَةِ دِينٍ وَلَا مَصْلَحَةِ دُنْيَا، بَلْ تَمَكَّنَ أَوْلِيَاكَ الظَّلْمَةُ الطُّغَاةُ مِنْ سَبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى قَتَلُوهُ مَظْلُومًا شَهِيدًا، وَكَانَ فِي خُرُوجِهِ وَقْتُهُ مِنَ الْفَسَادِ مَا لَمْ يَكُنْ حَصَلَ لَوْ قَعَدَ فِي بَلَدِهِ، فَإِنَّ مَا قَصَدَهُ مِنْ تَحْصِيلِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ شَيْءٌ، بَلْ زَادَ الشَّرُّ بِخُرُوجِهِ وَقْتُهُ، وَنَقَصَ الْخَيْرُ بِذَلِكَ، وَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِشَرِّ عَظِيمٍ»^(١).

وهذا نحو من التعبير يستعمل فيه التليبس والمواربة حتى لا يقال هو يهاجم الامام الحسين، فلقد اعتبر هؤلاء بما حصل لابن العربي حينما عبر بنحو استفاد منه أن الحسين قتل بسيف جده فصارت صدمة لمن يقرأ ذلك

١- الحراني: أحمد بن تيمية: منهاج السنة ٤/٥٣١.

الكلام فاضطر بعض هؤلاء لأن يعبروا عن آرائهم بنحو لا يكون مباشراً، وهنا هذا الذي حصل فالقارئ ينتهي إلى هذه المجموعة من الآراء: خروج الحسين لا مصلحة دنيوية ولا دينية فيه (يعني هو خروج عبثي لا يترتب عليه فائدة ولا أجر) وكان ينبغي عليه أن يقعد في بلده إذ لو قعد هناك لما حصل قتله! بل إن هذا الخروج زاد في الفساد الموجود حينئذ ونقص من الخير و صار سبباً لشر عظيم!! ماذا تفهم عزيزي القارئ من هذا الكلام؟ ثم لا بأس لتغطية هذه السوءات أن يقال: فقتلوه مظلوماً شهيداً!!

وهناك دَرَكٌ أسوأ من هذا وقع فيه الشيخ محمد الخضري^(١) « حين قال: وعلى الجملة فإنّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا، الذي جرّ على الأمة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران في القلوب، فيشتدّ تباعدها. غاية ما في الأمر أنّ الرجل طلب أمراً لم يهيأ له، ولم يعد له عدته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه، وقبل ذلك قتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين ومن يبشّع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيحاً، وقد ذهب الجميع إلى ربّهم يحاسبهم على ما فعلوا، والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهي: أنّه لا ينبغي لمن يريد عظام الأمور أن يسير إليها بغير عدتها الطبيعيّة، فلا يرفع سيفه إلا إذا كان معه من القوّة ما يكفل النجاح أو يقرب من ذلك، كما أنّه لا بدّ أن تكون هناك أسباب حقيقيّة لمصلحة الأمة، بأن يكون جور ظاهر لا يحتمل، وعسف شديد ينوء الناس بحمله، أمّا الحسين فإنّه خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف»^(٢)

١- محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ محمد الخضري بك. توفي ١٣٤٥هـ، تخرج من كلية دار العلوم من جامعة القاهرة وعين مدرسا للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، وفيها القى محاضراته حول الدولة الاموية والعباسية والتي ستصبح كتابا فيما بعد، له كتب منها (أصول الفقه) و (تاريخ التشريع الإسلامي) وغيرها..

٢- الخضري، محمد، الدولة الأموية ص ٣٢٢ .

ونحن هنا لا نقول شيئاً كثيراً ولكن نعتقد أن من يخطئ الإمام الحسين عليه السلام «خطأً عظيماً» لا ريب أنه لا يلتقي معه في نهج واحد ولا في نتيجة واحدة فإذا كان الحسين سيد شباب أهل الجنة فماذا يكون مكان من يخطئه خطأً عظيماً ويرى الحسين قد جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف إلى يومنا هذا؟! ولا غرابة في ذلك فيمن تكون النزعة الأموية عنده طاغية إلى حد لا يستطيع فيه أن يجامل كما صنع من سبقه ممن نقلنا كلماتهم، فإذا كان بعض أولئك يترضون أو يترحمون فلا مجال عند هذا الرجل لمثل ذلك^(١) في رأي هذا «الخضري»: الحسين أخطأ خطأً عظيماً، بينما يزيد لم يظهر منه ذلك الجور والعسف، الحسين ومن كتب عنه هم الذين زرعوا ألفة الأمة وسببوا لها الاختلاف! بينما بنو أمية وأتباعهم هم الذين حفظوا وحدتها، الذي يريد الحق والإصلاح لا ينبغي له أن ينهض فيه! إنما من يملك القوة من الظلمة والغشمة وأصحاب القوة هم الذين ينبغي أن يتحركوا! رأيت عزيزي القارئ كيف يحشر المرء في ركاب بني أمية حتى وهم بعيدون عنه بأكثر من ثلاثة عشر قرناً؟ ويحاسب بذنوبهم لحبه لهم ويشترك في أعمالهم وجرائمهم وإن لم يعاصرهم؟ إن هذا الرجل هو من مصاديق حديث رسول الله كما رواه عنه جابر (من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم)^(٢).

١- قال الباحث الإسلامي الشيخ زكي الميلاد في مقال له في مجلة الكلمة العدد (١٠١) السنة الخامسة والعشرون، خريف ٢٠١٨م/١٤٤٠هـ: «.. خصَّ الخضري المحاضرة الرابعة والثلاثين للحديث عن عهد يزيد بن معاوية، معرّفًا به، ومتطرّقًا للحوادث التي حصلت في عهده إلى وفاته، مبتدئاً من حادثة الحسين ومقتله. وقد تتبعت في هذه المحاضرة عدد المرات التي تكرّر فيها اسم الحسين، فوجدت أنها وصلت إلى اثنتين وثلاثين مرة، وفي جميع هذه المرات لم يترحم عليه أبداً، ولم يسلم عليه أو يترضى عنه، وظلّ يكرّر الاسم مجرداً عن أية صفة، لا صفة الإمام ولا صفة الشهيد، ولا صفة السبط، فتارة يذكره باسم الحسين، وتارة باسم الحسين بن علي..»

٢- السيوطي، جلال الدين: الجامع الكبير ٤٠٢/٨ «من أحبَّ عمَل قوم -شراً كان أو خيراً- فهو كمن عمَله. وفي الجامع الصغير ٥٥٣/٢: من أحب قوما حشره الله في زمرةمهم. وفي مستدرک الحاكم ١٨/٣ مثله، وفي مصادر الإمامية كثير أحدها: السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة ٤٣٤/١٣ ما عن

وإن جئت إلى كلمات محب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي والذي أعاد طباعته ونشره وتوزيعه (وكان ينبغي أن يظل كلام ابن عربي مطموراً فما يساء إلى الإسلام بنشره في أيام توضع فيها الشرائع لقمع الحكام وإلزامهم حدود الأدب، ولكن الإسلام المتعب من كيد أعدائه، يقوم فريق من بنيه بنشر هذه السخافات دعاية له) كما قال المرحوم الشيخ محمد الغزالي في تعليقه على قيام الخطيب بإعادة طباعته ونشره!

ولقد كانت إساءات الخطيب إلى حركة الإمام الحسين عليه السلام في تعليقاته أسوأ من الأصل وأقل أدباً مع الإمام عليه السلام من ابن العربي وأدنى إدراكاً لفهم أهداف النهضة الحسينية من إدراك صاحبه ابن العربي. ويكفي لفهم نزعتهم الأموية أن نرى أنه بعث من العدم هذا الكتاب الذي كان ينبغي طمره تحت التراب.

ولولا أننا رأينا القرآن الكريم أحياناً ينقل ضلالات أعداء الأنبياء والشرائع لبيان كيف يسيء الإنسان إلى أدنى المستويات أو يؤمن بما ينبغي أن يخجل من نسبته إليه، لا لتلويث صفحات القرآن وإنما للرد عليهم والتحذير منهم ومن هذا المستوى، لولا ذلك لنزهنا هذه الصفحات عن ذكر تلك الأسماء وما نفثته نزعاتهم الأموية.

هنا لا بد أن نشير إلى أهمية الزيارات وكونها تعيد تعريف الإمام وما قام به، وذلك عندما يقول الزائر (أشهد أنك قد أقيمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين..) وحتى يتبين الموقف من أمثال هؤلاء فإن الزيارات تجعلهم في صف القتلة المجرمين (فلعن الله أمة قتلتك - أي هذه قد مضى زمانها - ولعن الله أمة

عطية العوفي قال خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر حسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (إلى أن قال) يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم.



ظلمتك - وهذه كانت ولا تزال فإن من يصف الحسين بما سبق ذكره - لا ريب ظالم له، - ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به - وهؤلاء حتى لو لم يقولوا شيئاً كما قال من ذكرناهم ولكن رضوا بما حصل ولم ينكروه فإنهم داخلون في هذا اللعن).

٥. تبرئة يزيد من قتل الحسين عليه السلام :

تكاد كلمة أصحاب الاتجاه الأموي تتفق على تبرئة يزيد من قتل الحسين، لماذا؟ ثم من قتله إذن؟

أما لماذا فقد أشار غير واحد من الباحثين إلى أن إثبات قتل يزيد للحسين عليه السلام وما تلا ذلك من قطع الرؤوس وسبي النساء، سيرتقي بالسؤال عن المجرم الحقيقي إلى من ولاه وسلطه على رؤوس المسلمين وفي هذا من نقض نظرية مدرسة الخلفاء ما لا قبل لهم به، وقد صرح بهذا بعضهم عندما منع من لعن يزيد حتى وإن ثبت قتله للحسين عليه السلام خوفاً من ترقى اللعن إلى معاوية! وهو كما قالوا (سُدُّ الصحابة!!) وأظرف من ذلك ما قاله العلامة الميلاني «إنه ليس تحامياً عن أن يُرتقى إلى الأعلى فالأعلى فقط، بل ثلثاً ينزل إلى الأسفل والأسفل، إنهم بتحاميهم عن يزيد ومعاوية يريدون الإبقاء على حكومات الجور في أزمنتهم أيضاً؛ ولذا رووا أنه لما سأل الخليفة الناصر عبد المغيث الحنبلي عن سبب منعه من لعن يزيد، أجابه بأنه: لو فتحنا هذا الباب لزم لعن خليفتنا - يعني الناصر - وعزله عن الخلافة»^(١) فيزيد بن معاوية لم يقتل الحسين عليه السلام في رأيهم! من الذي قتله؟ هنا تُشتت الأجوبة والكلمات فتارة يقال: الذين قتلوه هم شيعة، وأخرى إن الذين قتلوه هم أهل الكوفة أو أهل العراق، حتى لقد صارت هذه الحكاية التي قد تكون مختلقة من الأساس وكأنها آية قرآنية محكمة.

١- الميلاني، السيد علي: من هم قتلة الحسين؟ نسخة الكترونية.

1=http://www.al-milani.com/library/lib-sec.php?secid

أن أحدهم سأل شخصاً تارة يقال هو ابن عباس وأخرى ابن عمر، وما دام الأمر مختلفاً من الأساس فلا يهم من يكون المسؤول، سأله عن دم البعوضة أظاها أو نجس، فسأله ابن عباس أو ابن عمر أو غيرهما (ممن صنع القصة) من أي مكان هو فإذا به ومن باب الصدفة يكون من أهل العراق! فقال له: متعجباً يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين بن علي!!

فالذي قتل الحسين ليس يزيد ولا ابن زياد ولا عمر بن سعد الزهري القرشي ولا حرملة بن كاهل الأسدي ولا ولا، وإنما هم أهل العراق! مع ملاحظة أن أهل العراق في تلك الأزمنة كانوا معروفين بتشييعهم لأهل البيت بخلاف أهل الشام الذين هم شيعة بني أمية!

بدل أن يقول هؤلاء بما قاله الحسين لأعدائه ومقاتليه (يا شيعة آل أبي سفيان)، فإذا بهذا العنوان يختفي ليكون القتلة هم أهل العراق وأهل الكوفة! وشيعة الإمام الحسين على وجه الخصوص!

ومن الأمثلة على نفي أي مسؤولية ليزيد في موضوع قتل الإمام الحسين يقول ابن تيمية: «وَجَرَّتْ فِي إِمَارَتِهِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ؛ أَحَدُهَا: مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَهُوَ لَمْ يَأْمُرْ -يَعْنِي يَزِيدَ- لَمْ يَأْمُرْ بِمَقْتَلِ الْحُسَيْنِ، وَلَا أَظْهَرَ الْفَرْحَ بِمَقْتَلِهِ، وَلَا نَكَّتْ بِالْقَضِيْبِ عَلَى ثَنَائِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَلَا حَمَلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إِلَى الشَّامِ، لَكِنْ أَمَرَ بِمَنْعِ الْحُسَيْنِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَبَدَفِعِهِ عَنِ الْأَمْرِ وَلَوْ كَانَ بِمَقْتَالِهِ؛ فزَادَ النَّوَابُ عَلَى أَمْرِهِ^(١)..»

ويكفي في الجواب على هذا الكلام ما قاله سبط ابن الجوزي^(٢)،

١- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٤١٠-٤١٣.

٢- يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط أبي الفرج بن الجوزي ولد ببغداد واستوطن دمشق وتوفي فيها سنة ٦٥٤ هـ. و"قزأوغلي، بكسر القاف وسكون الزاي، ثم همزة مضمومة وغين ساكنة ولام مكسورة وياء: لفظ تركي، ترجمته «ابن البنت» أي «السبط». عرف بالوعظ والأدب. وله الكثير من الكتب أهمها، تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة - ط» في ذكر الأئمة الاثني عشر. ولم يكن هذا ميزته إنما كانت ميزته أنه كان مع تسننه - مذهبا - محبا لعلي بن أبي طالب وأهل بيته بريئا من الاتجاه الأموي، وهذا الذي

وبعضه منقول عن جده صاحب المنتظم: «وقال جدي: ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد والشمر على قتله وحمل الرؤوس اليه، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنياه وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها وإنشاده أبيات ابن الزبيرى: (ليت أشياخي ببدر شهدوا) ورده الرأس إلى المدينة وقد ظنّ أنه تغيرت ريحه وما كان مقصوده إلا الفضيحة واطهار رائحة الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟ أليس بإجماع المسلمين أنّ الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون؟ وكذا قول يزيد: لي أن أسبيكم لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين قولاً يقنع لقائله وفاعله باللعنة، ولو لم يكن في قلبه احقاد جاهلية وأضغان بدرية لاحترم الرأس لما وصل اليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله.

جعل أعيان ذلك الاتجاه يرفضون توثيقه لأنهم لو فعلوا ذلك سيتورطون فيما ينقل من الروايات، فالأفضل أن يقال بعدم وثاقته بل بأنه رافضي!! كما فعل الذهبي في ميزان الاعتدال حيث قال «وما أظنه بثقة فيما ينقله، بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض!!» أما ابن تيمية فقد قال في منهاج السنة عنه، إنه يصنف بحسب ما يستلم من المال!! قال «يحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وكان يصنف بحسب مقاصد الناس يصنف للشيعنة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك!!». وكأنهم استكثروا على عالم حنبلي أو حنفي المذهب أن يروي فضائل ومناقب آل محمد وأن يتبرأ من بني أمية مع أنه إنما أخذ هذا الاتجاه من جده لأمه أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي صاحب المنتظم (توفي سنة ٥٩٧ هـ) الذي كان لا يخفي محبته لأهل البيت عليهم السلام وبراءته من بني أمية وبالذات يزيد وقد صنف كتاباً مهماً أسماه: الرد على المتعصب العنيد المانع عن لعن يزيد. رد فيه على عبد المغيث بن زهير الحنبلي الذي دافع عن يزيد وبرأه من جرائمه. ونقل عنه سبطه في التذكرة فقال: سمعت جدي ينشده في مجالس وعظه ببغداد سنة ٥٩٦ هـ: أهوى علياً وإيماني محبته * كم مشرك دمه من سيفه وكفا (تقاطر) إن كنت ويحك لم تسمع فضائله * فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

قلت والذي يدل على هذا انه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة
وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه
وسكر ليلة وقال للمغني غن ثم قال يزيد بديهاً:

اسقني شربة تروي فؤادي ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغني وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسينا ومبيد الأعداء والحساد

وقال ابن عقيل: ومما يدل على كفره وزندقته فضلاً عن سبه ولعنه
أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد.
فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

علية هاتي واعلني وترنمي بذلك أي لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان قدما سمي بها إلى أحد حتى أقام البواكيا^(١)

ثم مر في ذكر أشعاره التي تعرب عن عدم اعتقاده بالرسالة والقيامة،
وقال بعدها: قلت: ولما لعنه جدي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام
الناصر وأكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدي
(ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود). وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم:
أن جماعة سألوا جدي عن يزيد فقال: ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين في
السنة الأولى قتل الحسين في الثانية أخاف المدينة وأباحها وفي الثالثة رمى
الكعبة بالمجانيق وهدمها، فقالوا: نلعنه، فقال: فالعنوه.

وقال جدي في كتاب (الرد على المتعصب العنيد) قد جاء في الحديث:
لعن من فعل ما لا يقارب عشر معشار فعل يزيد، وذكر الأحاديث التي
ذكرها البخاري^(٢)

١- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص ٢٦٠.

٢- المصدر ص ٢٦١.

ومن ذلك الدفاع المستميت عن يزيد بن معاوية ما قاله أبو حامد الغزالي^(١) كما نقله عنه ابن كثير وغيره، فإنه في نفس الوقت الذي حرم فيه لعن يزيد ورأى أن من يلعنه فهو ملعون، رأى أن الترحم عليه مستحب! نسأل الله أن يحشره يوم القيامة مقرّونا إلى يزيد بن معاوية! ولا ريب أن هذا هو الذي يحصل فإن (المراء مع من أحب) والذي يرى لعنه حراماً ولعنه ملعوناً ويرى الترحم عليه مستحباً هو محب له. فإنه سئل عن صرح بلعن يزيد: هل يحكم بفسقه أم هل يكون ذلك مرخصاً فيه وهل كان مريداً قتل الحسين رضي الله عنه، أم كان قصده الدفع وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ يُنعم (أي الغزالي المفتي) بإزالة الاشتباه مثاباً، فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن مسلماً فهو الملعون» وفي تمة تلك الفتوى أضاف: «وَأَمَّا التَّرْحُمُ عَلَيْهِ فَجَائِزٌ؛ بَلْ مُسْتَحَبٌّ؛ بَلْ نَحْنُ نَتَرَحَّمُ^(٢) عَلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عُمُومًا فِي الصَّلَوَاتِ»^(٣)

١- أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (بتشديد الزاي) الطوسي توفي سنة ٥٠٥ هـ كان صوفي الطريقة، شافعي الفقه أشعري العقيدة لازم أبا المعالي الجويني (الملقب بإمام الحرمين)، فأخذ عنه معظم العلوم، ثم رحل إلى بغداد مدرسا ومفتيا أيام الوزير السلجوقي، ثم اتجه للتصوف واعتزال الناس وفي هذا التوجه ألف كتابه المشهور (إحياء علوم الدين). يرى باحثون بأنه كان لالتصاقه بالعباسيين والسلاجقة فقد هاجم الاسماعيلية والشيعة نظرا للصراع السياسي بين الدولتين حيث كان الفاطميون في مصر وجامعهم الأزهر المعروف، فألف في تأييد السلاجقة بأمر المستظهر بالله (كتاب المستظهرية) ودم الاسماعيلية (فضائح الباطنية) ولا نعلم هل كان تنزيهه لبني أمية ويزيد على وجه الخصوص وفتواه بعدم جواز لعنه وإنما استحباب الترحم عليه هل يأتي في هذا السياق أو لا حيث أن السلاجقة على وجه الخصوص كانت توجهاتهم متعصبة فيما يرتبط بالتاريخ الاسلامي. كذلك لا نستطيع التأكد من أن هذا الانسياق التام مع الحالة السياسية (العباسية والسلجوقية) هو الذي جعله يتوقف عن التدريس قائلًا إن نيته فيه لم تكن خالصة لله.. كما قال في كتابه المنقذ من الضلال، وقد ألف عددا كبيرا من الكتب؛ من أهمها إحياء علوم الدين كما تقدم والمستصفي في علم اصول الفقه، وتهافت الفلاسفة، والوسيط في فقه الإمام الشافعي..

٢- اللهم اشهد إنا لا نفعل ذلك.

٣- ابن كثير، البداية والنهاية ط هجر ١٦/٢١١.

٦. إنه لا ينبغي فعل ما يفعله الشيعة (والروافض) من قراءة مقتل الحسين عليه السلام فإنه «يحرّم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والظعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة، ولعل ذلك لخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة والدنيا كما لا يخفى^(١)» كما نقلوا هذا التحريم عن الغزالي.

الطريف في الأمر أنّ هؤلاء يجرمون لعن يزيد باسمه، ويقولون إذا أردت أن تلعن فالعن من قتل الحسين من غير تسمية ومن أباح المدينة ومن قصف الكعبة وهكذا، لماذا؟ لما سبق أن ذكرناه في النقطة السابقة.

ولا ريب أن هذا التحريم ما دام هكذا «يحرّم على الواعظ وغيره» سيّشمل النبي^(٢) صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب^(٣) فقد قرأ -ولو باختصار- مقتل الامام الحسين عليه السلام، وبالتالي ففي رأي الغزالي ومن هله وطبل لرأيه ناقلاً إياه مستعينا به، في رأي هؤلاء يكون النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام -حاشا قدسهما- قد ارتكبا الحرام.

وأعجب ما ذكر من «كراهية القهستاني: لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض»^(٤) فهل نذكر

١- الصواعق المحرقة ٢/٦٤٠.

٢- ابن أبي شيبة، أبو بكر: مصنف ابن أبي شيبة ٧/٤٧٧: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: دَخَلَ الْحُسَيْنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَا جَالِسَةٌ عَلَى الْبَابِ، فَتَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُ فِي كَفِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا يُقَلِّبُهُ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى بَطْنِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُكَ تُقَلِّبُ شَيْئًا فِي كَفِّكَ وَالصَّبِيُّ نَائِمٌ عَلَى بَطْنِكَ وَدُمُوعُكَ تَسِيلُ، فَقَالَ: «إِنَّ جَبْرِيلَ آتَانِي بِالتُّرْبَةِ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْهَا، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي يَقْتُلُونَهُ»

٣- المصدر السابق ٤٧٨: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَافَرَ مَعَ عَلِيِّ، وَكَانَ صَاحِبَ مَطَهْرَتِهِ حَتَّى حَاضَى نَبِيَّوًى وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صَفِّينَ فَنَادَى: صَبْرًا أبا عَبْدِ اللَّهِ، صَبْرًا أبا عَبْدِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: مَاذَا أبا عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لِعَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ؟ أَعْضَبَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: «قَامَ مِنْ عِنْدِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ يُقْتَلُ بِسَطِّ الْفُرَاتِ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي أَنْ فَاضَتْ».

٤- حقي، إسماعيل: روح البيان ٤/١٤٣.

مثلاً كيفية قتل معاوية بن أبي سفيان الصحابي سعد بن أبي وقاص الزهري كما نقل مؤرخون؟ أو قتله عبد الرحمن بن أبي بكر في طريق مكة؟ (بالجنود من العسل)؟ أو قتله الامام الحسن بن علي عليهما السلام؟ وماذا نصنع إذا لم يكن لبعض الصحابة مقتل حيث أن هؤلاء ماتوا على فرشهم «كما يموت البعير»؟.

إن أتباع الاتجاه الأموي يعلمون أثر قراءة المقتل الحسيني واستقطابه سائر المسلمين إلى منهاج الحسين عليه السلام ، واستهجانهم ما فعل بنو أمية في ذلك ، بل ترقيقهم بعد ذلك إلى الأعلى مما يهدم أسس المدرسة الأموية فلذلك حرموا وقبحوا كل شيء يرتبط بالحزن وذكر المصيبة حتى لقد دخلوا في النيات فهذا ابن كثير وغيره يقول إنه «لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء»^(١) فبينما يقول سلفه الغزالي إنه لا يمكن العلم بأن يزيد قتل الحسين مع أنها حادثة تاريخية تثبت بالروايات والقرائن فمثل هذه القضية التاريخية يشكك في إمكان معرفتها الغزالي وهذا ابن كثير يدخل في نيات الشيعة فيرى أن أكثر ما يظهرونه من الحزن هو تصنع ورياء مع أن موضوع الرياء هو من أفعال القلوب التي لا يعلم بها إلا خالقها . ومن عجب احتجاجهم للمنع من قراءة مقتل الحسين بأن من هو أفضل منه لا يتخذ من قبل الشيعة مأتماً ، فلا رسول الله يتخذ يوم وفاته مأتماً ولا أبوه وهو أفضل منه اتخذ يوم مقتله مأتماً إلى آخر ما قال^(٢) . وهذا الكلام لا يرد على شيعة أهل البيت وإنما على غيرهم الواقعيين في التقصير بشأن النبي صلى الله عليه وآله ووصيه ، ولا يرد على الشيعة فإنهم يتخذون يوم وفاة النبي في الثامن والعشرين من صفر في كل سنة يوم عزاء وحزن ومأتم ويتخذون يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان يوم شهادة أمير المؤمنين

١- ابن كثير، البداية والنهاية ط هجر ١١/٥٧٩.

٢- نفس المصدر والصفحة.



علي يوم ماتم وحرز وعزاء، فإما أن يكون ابن كثير لا يعلم بذلك فهو يدل على عدم تتبعه لقضية لا تحتاج لكثير عناء لاكتشافها وإن كان يعلم ويكتم الحق فما هي منه ببعيد.

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

تغيب القضية الحسينية بتغيير مناسبة عاشوراء

المسار الثالث الذي قام به الاتجاه الأموي من أجل تغيب القضية الحسينية هو تغيير مناسبة عاشوراء؛ ذلك إنه من المفترض أن يكون يوم عاشوراء يوم حزن بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو كذلك على أهل بيته وهذا واضح^(١)، وما يُحزن الرسول ينبغي أن يكون محزناً للمسلمين، ولا يعقل أن يكون شيئاً أو يوماً محزناً للرسول صلى الله عليه وآله بينما يفرح المسلمون في ذلك اليوم ولأجل ذلك الشيء ويتعطرون ويحتفلون فيه مسرورين ويبقون يومهم ذاك في الزينة واللهو فرحين!

لكن هذا هو الذي حدث في كثير من بلاد المسلمين ولا تزال بعض هذه البلاد إلى يومنا تقوم بنفس ما سبق، وهذا يشير إلى الإثم الذي ارتكبه أصحاب هذا النهج إذ لم يكتفوا فقط بإظهار الفرح بما يحزن الرسول في زمانهم ولأنفسهم، وإنما استمرت هذا (البدعة السيئة) إلى أيامنا، وسيكون عليهم وزر من عمل عليها كما هو على العامل.

لقد سعى رؤوس هذا الاتجاه لمحو الحادثة من الذاكرة الإسلامية وإلغاء المناسبة من التقويم الشعبي لدى المسلمين في الأماكن التي كانوا فيها متمكنين ولديهم قدرة على ذلك - سياسية أو دينية أو اجتماعية - فإن المؤرخين ينقلون أن من أسباب إخراج العقيلة زينب بنت علي عليها السلام من المدينة المنورة بعد رجوع ركب الأسارى كان بسبب تذكيرها الناس بواقعة كربلاء وما جرى فيها؛ وهو الأمر الذي لم يتحمله والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق فأخرجها من المدينة.

بل لقد ذكروا أن من أسباب عمران منطقة الكاظمية أن الخليفة القادر بالله العباسي (توفي ٤٢٢ هـ) كان قد أصدر قانوناً بأن لا يعقد مأتم الحسين

١- قد مر في صفحات سابقة وسيأتي في أخرى أحاديث تصرح بحزن الرسول وبكائه على الحادثة مع أن بينه وبينها أكثر من خمسين سنة!



في بغداد ومن أراد أن يعقده فليذهب إلى قبر موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فكان المؤمنون يأتون إلى هذا المكان من أول محرم إلى نهاية صفر وهكذا بالتدريج صارت هذه المنطقة عامرة وكبيرة بينما كانت في الأصل عبارة عن مقابر.

لقد منع السلاجقة عندما جاؤوا بعد البويهيين (٤٤٧هـ) الممارسات التي ترتبط بمقتل الإمام الحسين عليه السلام من قراءة المقتل وإقامة العزاء ولا سيما في بغداد بعدما كان الناس يمارسونها أيام البويهيين، وهكذا الحال بالنسبة للأيوبيين في مصر حيث تشددوا في منع كل المظاهر التي ترتبط بالموضوع الحسيني والتي كان الفاطميون قبلهم يقومون بها ويشيدونها من العزاء والاطعام وقراءة المقتل. فكان هذا أحد الأساليب التي اتبعوها في تغييب المناسبة.

وكان هناك مسار آخر في تغييب مناسبة القضية الحسينية هو تحويلها إلى مناسبة فرح وسرور واحتفال وانتصار، وينبغي إظهار آثار الفرح والسرور بلبس ملابس الزينة والتنوق والتفنن في الأطعمة اللذيذة، والتوسعة على الأهل والعيال، وبالتدريج اتخذته عيداً من الأعياد.

كذلك اعتبار هذا اليوم من الأيام المباركة التي تنزل فيها رحمة الله وبركاته ففيه يزيد الرزق، ويستحب الصيام للشكر!

وعملت ماكنة التزوير عملها فإذا بهذا اليوم فيه كل الخيرات^(١)، ففيه خلق الله الخلق وأنجى نوحاً من الطوفان وأنجى موسى من فرعون بل حصل الخير لكل الأنبياء فيه! وبناء عليه لا بد من الفرح والسرور واتخاذ الزينة والاحتفال فهو يوم انتصار (ولا تخفى محاولة الربط بين انتصار الأنبياء وانتصار يزيد!!).

١- العجيب أن بعض الزيارات المروية عن المعصومين قد استبقت الحدث لتشير إلى وقوعه (اللهم إن هذا يعني يوم عاشوراء. يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد اللعين بن اللعين على لسانك ولسان نبيك ..)

ونحن نلاحظ أن الدول التي حكمتها أسر شيعية أو تتصل نسبا بأهل البيت عليهم السلام تعرضت إلى تغيير المناسبة أكثر من غيرها، وذلك لمحو أي أثر من الآثار الشيعية التي خلفها وجود ممارسات لهذه الدول. فلنأخذ الأمثلة التالية:

المغرب العربي

من المعروف أنه قد حكم الأدارسة من أحفاد الامام الحسن المجتبي عليه السلام ، بلاد المغرب العربي ومع حكمهم فمن الطبيعي أن تسود الثقافة المرتبطة بأهل البيت ولو على مستوى المودة وإحياء ذكرهم - هذا بالرغم من أنه يقال إن المذهب السائد آنذ كان المذهب المالكي. ودعم هذا الاتجاه فيما بعد سيطرة الفاطميين على بعض أقسام المغرب العربي وهم أيضا كانوا يظهرن المراسم الحسينية كما سيأتي عند الحديث عن مصر.

إلا أننا نرى في المغرب^(١) - وإلى زماننا هذا - وجود عادات تنتمي إلى الاتجاه

١- وفي مقال لمجلة العرب نشر بتاريخ الأحد ١٠/١٠/٢٠١٧ نسخة الكترونية <https://alarab.co.uk> جاء فيه ما يرتبط بموضوعنا: يبدأ المغاربة منذ مطلع شهر محرم ودخول السنة الهجرية الجديدة بهذه الجملة -عواشر مبروكة.. علينا وعليك-، مهنيين بعضهم البعض احتفالا بيوم عاشوراء الذي يحظى باهتمام خاص لدى الناس في الشارع المغربي. وتصادف عاشوراء أو العواشر كما يسميها المغاربة اليوم العاشر من شهر محرم حسب التقويم الهجري. ويتميز الاحتفال بعاشوراء في المغرب بطقوس وعادات خاصة تتوارثها الأجيال، ومازال إحيائها قائما حتى اليوم في معظم المدن والقرى.. وتحرص فئة كبيرة من المغاربة مع حلول عاشوراء، على تزيين موائد الأكل المغربية بأصناف مختلفة ومتوارثة من الطعام، كالفواكه المجففة والحمص والتمور. ويتم استقبال الضيوف، كما تُوزع الأطعمة ذاتها على الأطفال في بعض الأحياء الشعبية تحت مسمى حق بابا عيشور. ولا يكتمل الاحتفال عند المغاربة دون طبق الكسكس المغربي بالقديد (لحم مملح) الذي يحتفظ به منذ عيد الأضحى خصيصا لطهيته في هذا اليوم، وطبق الرقيسة بالدجاج (طعام من خبز مفتوت ومرق). ويبرز في البوادي المغربية والأحياء الشعبية طقس احتفالي مبهج، يتمثل في إيقاد شعالة (شعلة) عاشوراء. وللشباب طقوس أيضا، إذ يشعل بعضهم النار باستخدام أغصان الأشجار، على وقع ترديد أهانج شعبية من قبيل "عيشوري عيشوري دليت عليك شعوري"، في جو احتفالي يجتمع فيه الأطفال بكثرة. ويشهد يوم عاشوراء الذي يسميه المغاربة ب"يوم زمزم"، معارك مرحة لتبادل الرش بالماء، وينخرط فيها أهل الأحياء الشعبية؛ رجالا ونساء وأطفالا.. وتتمثل ملابس شخصية بابا عيشور



الأموي في اتخاذ يوم عاشوراء يوم عيد وزينة وفرح وسرور^(١). ومن الطبيعي أنه عندما يدعى أبناء المجتمع إلى حزن في يوم يعتبرونه يوم عيد وسرور وبهجة لن يقبلوا باختيار الحزن..

ونحن نعتقد أن هذا من مكر وخبث من خطط لتحويل هذا اليوم الحزين والأليم على قلب النبي إلى يوم فرح وعيد، وأخفى عنوان العيد والفرح أنه لقتل الحسين، لكن بقي العيد والفرح والسرور عند الناس وهم لا يعلمون لماذا يفرحون في هذا اليوم!

وفيما رأى بعض الباحثين أن هذا كان من أثار الدولة الأموية في الاندلس رأى آخرون أن الحكومات المتعصبة ضد التشيع والتي أعقبت سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب كان لها الدور الأساس في تحويل هذه المناسبة الأليمة على النبي إلى مناسبة فرح اجتماعي وعيد شعبي.

في سرور ففضاض يظهر أسفله الخف (حذاء) التقليدي، ويغطى بالقفطان فالسلهام الأنيق (العباءة)، في حين تلو رأسه قبعة عالية مزركشة، إضافة إلى المحفظة والعاكاز ويبقى عاشوراء في المغرب يوما مميزا بالنسبة إلى الأطفال، بعد أن توارث المغاربة اقتناء الدمى والألعاب لأطفالهم كمظهر من مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة. وقال كريم الغندوري، بائع ألعاب أطفال بالعاصمة الرباط، إن غالبية الآباء يفضلون اقتناء مسدسات الماء لأطفالهم الذكور في هذه المناسبة. أما الإناث فيفضلون الدمى، في حين تُقبل النساء على شراء الآلات الإيقاعية التقليدية، مضيفا أن «كل الآلات الموسيقية مصنوع محليا ويرغب الناس في شرائه خاصة في عاشوراء».

١- في مقال في مجلة هسبرس نسخة الكترونية - www.hespress.com/internation-al/html.93848/ عن عاشوراء في الجزائر جاء في ما يرتبط بموضوعنا: «ومن الأطباق المشهورة في الجزائر في هذه المناسبة «الكسكس بالدجاج» و«الرشطة بالدجاج» و«الشخشوخة بالدجاج»، وهي تختلف بين مدينة وأخرى... وتعتبر مدينة وادي سوف الصحراوية أشد المناطق تمسكا بعاشوراء، حيث تبدأ الاحتفالات من أول أيام محرم إلى العاشر منه. وفي مناطق أخرى من الجزائر، تقوم النسوة بتخضيب أيديهن بالحناء فرحا وابتهاجا، وتعتمد العجايز والمسنيات إلى جمع الفتيات العازبات ليلة التاسع من محرم ومزج الحناء بقليل من حناء السكر وماء الزهر ويضعنها في أيديهن وسط تهليلات نسوية ومدائح يذكرن فيها خصال النبي الكريم، ثم يربطنها بقماش لون فاتح كالوردي أو الأخضر كبادرة خير عليهن، ثم يطلبن منهن عدم غسلها إلى أن يحين موعد السحور فيزلنها بماء دافئ ممزوج بماء الورد يلقيه في حديقة المنزل وبعد ذلك يجلسن ليذكرن الله ويستغفرن ألف مرة كي يدركهن فضل اليوم العظيم.

عاشوراء في مصر

استطاع الفاطميون أن يسيطروا على مصر بعد المغرب العربي واستمروا في حكمهم من ٢٩٧ هـ إلى ٥٦٦ هـ عندما قضى صلاح الدين الأيوبي على دولتهم مؤسساً بذلك دولة الأيوبيين، ونظراً لإنتهاء الفاطميين إلى المذهب الاسماعيلي، فقد أشاعوا ما يعتبرونه شعائر يرتبط بمراسم الحزن على الامام الحسين عليه السلام، ولأجل هذا فقد كانت يتم التعطيل في يوم عاشوراء وتعلن الدولة الحداد والعزاء بدءاً من الحاكم إلى عامة الناس ممن كان ينسجم مع الدولة الفاطمية ويتفاعل مع أحزان أهل البيت عليهم السلام. ويظهر من بعض المؤرخين أن من أوائل من أسس بناءً خاصاً للمراسم الحسينية بهذا الاسم كان في زمان الفاطميين كما أشار لذلك وقال السيد مير علي في (مختصر تاريخ العرب): «وكان من أفخم عمارة القاهرة في عهد الفاطميين الحسينية وهي بناء فسيح الأرجاء تقام فيه ذكرى مقتل الحسين في موقعة كربلاء وأمعن الفاطميون في إحياء هذه الشعائر وما إليها من شعار الشيعة حتى أصبحت جزءاً من حياة الناس»^(١).

ويشير المقرئزي إلى ما كان عليه الحال في أيام الفاطميين وما صار إليه بالصد أيام الأيوبيين من إظهار الفرح مشيراً إلى قضية مهمة وهي أن الأصل في ذلك كان عادة أهل الشام التي أسسها لهم الحجاج زمان بني أمية وخصوصاً أيام عبد الملك مما يفسر لنا ما مر في زيارة عاشوراء (اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية..) فيقول في كتابه الخطط عن الأيام التي كان يعظمها الفاطميون: «يوم عاشوراء: كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن، وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني، فانظره. وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير، فلما زالت

١- ذكره الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الشيعة في الميزان ١٦٣ ولم يتيسر لي الحصول على كتاب مختصر تاريخ العرب!



الدولة (يعني الفاطمية) اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء، يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء، وحزن فيه على الحسين بن عليّ، لأنه قتل فيه، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء، يوم سرور، وتبسط. ^(١)

تغيير المناسبة بالصيام لأجل موسى بن عمران

ربما كان تغيير المناسبة بتحويلها إلى عيد وأفراح وحلويات وما شابه يخاطب أكثرية المجتمع من النساء والشباب والأطفال، لكنه قد لا يخاطب أهل العبادة والورع والتدين فهؤلاء ليس من شأنهم مثل تلك الألعاب والأمور، فما العمل؟ هنا تم تغيير المناسبة ولكن بشكل آخر يتناسب مع «عبادتهم» ف قيل إنه يوم صيام لأجل انتصار موسى بن عمران النبي على فرعون فهم يصومون شكراً لله على ذلك!!

سبحان الله!! هم يتركون الاقتداء بالنبي محمد الذي يحزن في مثل هذا اليوم، بينما يفرحون ويشكرون الله لأجل موسى بن عمران! لقد عبر الأئمة المعصومون عليهم السلام عن صوم عاشوراء بأنه صوم ابن مرجانة^(٢) وأنه صامه الأعداء من آل زياد وأنه يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله .

١- المقرئزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ٢/٤٣٧.

٢- قد يقول قائل إنه من المعلوم أن هؤلاء لم يكونوا أهل صيام وتطوع فكيف يقال إنهم صاموه؟ والجواب على ذلك هو أنهم جعلوه سنة وأمروا بصيامه، وهذا مثل أن يذهب يزيد إلى الحج مع أنه يقول في شعره ما يقول مما يدل على إنكاره البعث والجزاء وأنه لم يكن من أهل هذه الامور لكن الذهاب إلى الحج والحضور إلى الصلاة وما شابه ذلك لازم لأجل استقامة السلطان، وحسب تعبير المعاصرين هو «عدة الشغل».

وبمثل هذا الحديث المروي عن الامام الرضا عليه السلام ^(١) وعن باقي الأئمة المعصومين سيتضح لنا حال ما جاء في بعض كتب مدرسة الخلفاء من أحاديث (لا تصح) عن النبي صلى الله عليه وآله في شأن صوم عاشوراء أنه صامه أو أمر بصومه أو أن سبب ذلك هو أنه رأى اليهود يعملون ذلك فعمله مثلهم.. الخ هذه القائمة.

وما جاء في بعض الروايات من طرقتنا لو تمت سنداً، ولا يتم أكثرها، فإنها محمولة على التقية أو الإمساك عن الأكل والشرب مواساة إلى العصر، وأما الصوم لاسيما إذا كان بعنوان العبادة والشكر لله فإنه يندرج ضمن عنوان صوم

١- الكليني، الكافي، ٤/١٤٦، عنه، عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: حدثني جعفر بن عيسى أخوه قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم عاشورا وما يقول الناس فيه، فقال: عن صوم ابن مرجانة تسألني، ذلك يوم صامه الأعداء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يوم يتشأم به آل محمد صلى الله عليه وآله ويتشأم به أهل الإسلام واليوم الذي يتشأم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله عز وجل فيه نبيه وما أصيب آل محمد إلا في يوم الاثنين فتشأمتنا به وتبرك به عدونا ويوم عاشورا قتل الحسين صلوات الله عليه وتبرك به ابن مرجانة وتشأم به آل محمد صلى الله عليهم، فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان حشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما. وعنه، عن محمد بن عيسى قال: حدثنا محمد بن أبي عمير، عن زيد النرسي قال سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن صوم يوم عاشورا فقال: من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد، قال: قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟ قال: النار أعادنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار. وعنه، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن أبان، عن عبد الملك قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعا وعاشورا من شهر المحرم فقال: تاسوعا يوم حوضر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكريل واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدده أهل العراق - بأبي المستضعف الغريب - ثم قال: وأما يوم عاشورا فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريحا بين أصحابه وأصحابه صرعى حوله [عراة] أفصوم يكون في ذلك اليوم؟! كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرياتهم وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام، فمن صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوط عليه ومن ادخر إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقا في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك..



ابن مرجانة، والبدعة الأموية التي جعلوها سياسة عامة وصل أثرها كما قال المقرئزي إلى أيام الأيوبيين يعني بعد أكثر من أربعة قرون ونصف من الزمان.

كلمة حول صوم عاشوراء

بالرغم من أن بحثنا ليس في الأصل حول صوم عاشوراء من الناحية التاريخية أو الفقهية فقد كتبت كتب في هذا الشأن^(١) لكننا هنا نشير باختصار إلى ما يرتبط برأي شيعة أهل البيت عليهم السلام في هذا الصوم المتروك والمكروه بل الذي عبر عنه المعصومون بأنه «صوم ابن مرجانة» وبأنه «يوم يتشأم به آل محمد (صلى الله عليه وآله) ويتشأم به أهل الإسلام» وبأن من «صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد» وبأنه «ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة» وبأن «من صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب» وسنشير إلى بعض المناقشات مع ما ذكر أتباع المدرسة الأخرى وفي اعتقادنا ضمن التأثر بالنهج الأموي في ذلك، بعلم أو بغير علم.

١. إنهم يقولون إن النبي قد صامه في مكة وأن العرب كانت تصومه، وفي نفس الوقت يقولون إن النبي قد صامه في المدينة على أثر أنه عندما هاجر رأى اليهود يصومون في هذا اليوم فسأل عن سبب ذلك فقالوا له: لأن النبي موسى انتصر على فرعون فهم يصومون شكر الله، فقال النبي كما في الرواية نحن أحق بموسى فصامه، والسؤال إن كان النبي يصومه في مكة قبل الهجرة فلا معنى للسؤال في المدينة بعد الهجرة عن شيء كان يفعله ويمارسه وهو الصيام.

٢. من الثابت تاريخياً أن النبي إنما قدم إلى المدينة في شهر ربيع الأول فهل انتظر تسعة أشهر حتى رأى اليهود يصومونه؟ أو أن رواة الحديث ظنوا أن النبي قدم أول محرم وبعد عدة أيام رأى اليهود يصومونه فسألهم؟ والحال أن

١- منها صوم عاشوراء للشيخ جعفر السبحاني، ومنها صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية للشيخ نجم الدين الطبسي.

جعل محرم بداية للسنة الهجرية إنما كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وكان في عهد عمر بن الخطاب!

٣. هل يعتقد القائلون بسؤال النبي اليهود عن صوم عاشوراء أنه لم يكن عارفاً بتشريعات الدين اليهودي؟ والحال أنه جاء بالقرآن مهيمناً على ما سبقه من الكتب ومن سبقه من الأنبياء وهو القائل لعدي بن حاتم أنا أعلم بدينك منك؟ وهو ما نعتقد أنه يعلم بما كان لدى الأنبياء من قبله ويفوقهم بما علم خاصة! فإذا كان صوم عاشوراء مشروعاً في الديانة اليهودية ومستحباً فيها فالمفروض أن النبي يعلمه، فما معنى السؤال عنه؟

٤. يظهر من تلك الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله رأى عمل اليهود حسناً ورأى أنه أولى بفعله منهم! والسؤال أنه متى كان النبي صلى الله عليه وآله يتحرى موافقة اليهود؟ إننا نجد في القرآن عكس ذلك ونلاحظ شدة مخالفته إياهم - لتحريفهم كتابهم وشريعتهم -! لقد لاحظنا الموقف الحازم في النهي منه صلى الله عليه وآله لتعلم الثقافة اليهودية واستنساخ كتبهم ما ذكره عبد الرزاق في مصنفه: «عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ كِتَابًا سَمِعَهُ سَاعَةً، فَاسْتَحْسَنَهُ فَقَالَ لِلرَّجُلِ: أَتَكْتُبُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاشْتَرَى أَدِيمًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَنَسَخَهُ فِي بَطْنِهِ وَظَهَرَهُ، ثُمَّ أَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُهُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَلَوْنَ، فَضْرَبَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيَدِهِ الْكِتَابَ، وَقَالَ: تَكَلَّمْتَ أُمِّكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرَى إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُنْذُ الْيَوْمِ وَأَنْتَ تَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ فَاتِحًا وَخَاتِمًا، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَقَوَائِحَهُ، وَاخْتَصِرَ لِي الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا، فَلَا يُهْلِكَنَّكُمْ الْمُتَهَوِّكُونَ»^(١) وبنحو آخر في مسند أحمد: «عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ

١- مصنف عبد الرزاق الصنعاني ١١٢/٦.

مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَغَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَوْنَ»^(١) فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».^(٢)

٥. هل يوجد صوم لليهود في يوم عاشوراء لأن الله نصر موسى على فرعون؟ بحيث أنهم يصومونه وقد صامه النبي في المدينة كما تقول هذه الروايات باعتبار إن النبي أولى بموسى منهم؟ إن روايات المدرسة الرسمية تثبت ذلك لكن الحقائق العلمية لا تساعد عليه!

وذلك أن التقويم اليهودي المرتبط بالمناسبات الدينية هو التقويم الشمسي مع بعض التعديلات التي يتخصص بها الأحرار، والصوم الذي يسمى عندهم (كيبور) بمعنى صوم الكفارة وهو المقصود هنا إنما يقع في العاشر من شهر تشرين (تشري) وهو الذي يقع في فصل الخريف دائماً ولا يتغير بخلاف الأشهر القمرية المتغيرة بحسب السنوات فقد يقع محرم في سنة في الصيف ولكن بعد عشرين سنة يكون في فصل آخر، وهذه ميزة الأشهر القمرية بخلاف الشمسية التي هي ثابتة من حيث الفصول. فلا يمكن أن يكون مثلاً حزيران (جون) في فصل الشتاء! كما لا يمكن أن يكون يناير مثلاً في فصل الصيف.. وبالتالي فقد تمر عشرات السنين ولا يتطابق يوم عاشوراء (بحسب التقويم القمري) مع العاشر من شهر محرم.

وقد أشار آية الله السبحاني في كتابه صوم عاشوراء إلى هذه النقطة بشكل مفصل لمن أراد مراجعته ننتخب منه بعض فقراته، واستشهد لعدم تطابق اليومين بأقوال الفلكيين، فإنه في إشارته إلى عدم تطابق ما قالته الروايات من أنه رآهم يصومون يوم عاشوراء قال: «وقد تنبه بعض الفلكيين من

١- متهوكون يعني متحIRON وسائرون على غير هدى.

٢- حنبل، أحمد: مسند أحمد ٣٣/٣٤٩.

المسلمين إلى ذلك الخطأ الراجح على السنة العوام أعني الفلكي الطائر الصيت أبو الريحان محمد البيروني حيث قال: إن عاشوراء هو عبراني معرب يعني عاشور وهو العاشر من تشري اليهود الذي صومه صوم «الكبور» وأنه اعتبر في شهور العرب فجعل في اليوم العاشر أو أول شهورهم كما هو في اليوم العاشر من أول شهور اليهود.

ثم نقل الرواية من أن النبي صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة، وقال: وهذه الرواية غير صحيحة لأن الامتحان يشهد عليها (ضدها) وذلك لأن أول المحرم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من شهر تموز سنة ٩٣٣ للاسكندر. فإذا حسبنا أول سنة اليهود في تلك السنة كان يوم الأحد الثاني عشر من أيلول ويوافق اليوم التاسع والعشرون من صفر: ويكون يصوم العاشر يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع وقد كانت هجرة النبي في النصف الأول من ربيع الأول.

ثم قال في فقرة أخرى «لو قلنا بأن النبي صام يوم عاشوراء لدى وروده المدينة فإنما صادف عاشوراء اليهود وهو اليوم العاشر من شهر تشري ولا صلة له بعاشوراء المحرم الذي نحن بصدد دراسته».

وأضاف «بعنوان وشهد شاهد من أهلها، بعد تحرير ما مر عليك وقفنا على مقال للباحث الفلكي الدكتور صالح العجيري أكد فيه أن الحسابات الفلكية أثبتت أن هجرة النبي حدثت يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هجرية، المصادف ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية الموافق ١٠ من شهر تشرين سنة ٤٣٨٣ عبرية وهو يوم الكبور عاشوراء اليهود، كما جاء في مقال نشره في صحيفة الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ ١٠ محرم ١٤٢٩ هـ...»^(١).

٦. لو كان هذا الصوم من المستحبات التي أوصى بها النبي، ولا سيما مع ما ذكر في الثواب عليه في بعض روايات مدرسة الخلفاء لكان أول من يلتزم به

١- السبحاني؛ جعفر: صوم يوم عاشوراء من ص ٣٢ إلى ٣٩.



عترته وذريته وهم الذين جعلهم عدل القرآن في حديث الثقلين المعروف، ولا ريب أنهم يتحرون سنته ويتبعون منهاجه، فإننا لا نجدهم قد اشاروا إلى صوم هذا اليوم إلا بما تقدم من الوعيد على من صامه، وعنونا الصوم فيه بعنوان صوم ابن مرجانة، وصرحوا بالنهي عنه؟ فكيف يتفق أمره بالتمسك بالثقل الأصغر ولزوم متابعة العترة وفي نفس الوقت يحصل التضاد بين أمره بصوم عاشوراء ونهيهم عن ذلك؟

الحق هو أن الاتجاه الأموي ضمن تغييبه للقضية الحسينية من حاضر الأمة وذاكرتها عمل على تغيير هذه المناسبة فتارة يعطي لها طابع العيد والزينة والأفراح!! كما ذكرنا، وأخرى لمن يريد التطوع والتعبد يعطي لها عنواناً آخر هو الصوم شكراً لله لأجل انتصار بني اسرائيل على فرعون، وفي كلا الحالتين يحقق ما يريد وهو أن يغفل المسلمون عن النهضة الحسينية بحيث لا تذكر هذه النهضة العظيمة ولا قائدها ولا يتم الارتباط به، وهم بذلك يحققون ما يريدون سواء كان بهذا الطريق أو ذاك.

تحقيق السيرة الحسينية: الخدمة الكبرى

تتعدد مظاهر الخدمة الحسينية وتتمدد على مساحة كبيرة في المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام ولو أن شخصا أراد أن يحصي هذه الخدمات والفعاليات وأنماط التعبير عن الولاء والانتماء للإمام الحسين عليه السلام ، لكان ذلك من الأمور الصعبة عليه .

إن من أنحاء الخدمة مثلاً: إقامة المجالس الحسينية والمآتم على اختلاف أشكالها ومستوياتها وأصنافها العمرية، وتنويعات حضورها من رجال ونساء. وكذلك مواكب العزاء بمختلف أصنافها، وأشكالها، ودرجاتها، ومضاييف الإطعام بأشكالها المتنوعة والإسهام بطرقه المختلفة في خدمة الناس، وكذلك لاننسي ما يرتبط الفنون المرتبطة بالجانب البصري كالتمثيل والتشبيه والمسرحيات وإقامة صور مصغرة للواقعة. وبرامج الزيارات للإمام عليه السلام وما يتخللها من فعاليات، هي تعبير من تعابير الولاء والانتماء له عليه السلام وتتعنون أيضا بأنها خدمة في شأن من شؤونه .

ومن قضايا الخدمة ذات الأهمية الكبيرة، مع أنها يقل الالتفات إليها وتشجيع القائمين عليها، ما يرتبط بالتحقيق في السيرة الحسينية وتوثيق أحداثها لتكوين صورة أقرب إلى حقيقة ما وقع، واستلهام الدروس والعبر منها، وهذه الخدمة تعتبر من الخدمات الكبيرة التي ندعو المجتمع المؤمن إليها، لتشجيع القادرين علميا على القيام بها، ودعم الجهود المبذولة فيها بالدعم المادي والمعنوي. إن التحقيق في سيرة المعصومين فيما يرتبط بمجتمعنا الشيعي يكتسب أهمية استثنائية لكون سيرة المعصوم وقصص حياته، مما يترتب عليها أحكام أخلاقية أو إلزامية شرعية، وسيرة الإمام الحسين عليه السلام تتميز ببعض الجهات على سير سائر المعصومين عليهم السلام في بعض الجهات وإن كانت تشترك معهم في بعضها الآخر.

١. إن السيرة الحسينية تتلى في كل سنة على الأقل عشرة أيام في المجتمعات الشيعية هي أيام عشرة المحرم، وتذكر طوال السنة في المناسبات المختلفة، وهذا ما لا يحصل لسيرة أي معصوم من المعصومين عليهم السلام، مع أفضلية بعضهم بالنسبة للحسين عليه السلام فإذا كانت هذه السيرة تذكر وهي محققة وموثقة فإن تأثيرها العلمي والعملية سيكون أفضل بكثير مما لو كانت من غير تحقيق.

٢. إن هذه السيرة مع كونها محققة ستكون بعيدة عن التناقض والتهافت، بخلاف ما لو لم تكن كذلك. وبالتالي ستبين الشخصية الحقيقية الناصعة للإمام عليه السلام فإن ذلك لا يتيسر إلا من خلال النقل السليم للأحداث. بينما يحصل التشويه غالباً على أثر نقل الأخبار والوقائع غير المحققة، ولو أخذنا مثلاً على ذلك، فإن مؤرخي وكتّاب بني أمية عندما أرادوا أن يقدموا صورة الإمام الحسين عليه السلام لا بما هو نائل شهيد قد وطن نفسه على القتل من أجل صلاح أمة جده، وإنما بصورة شخص تورط بعدما حوضر ثم ظل يفتش عن مخرج وباب نجاة حتى كان مستعداً إلى التسليم ليزيد، حتى يرسله لبعض ثغور الروم، لكنه لم يجد.. إلى آخر ما زعموه.

ولا شك أن شيوع مثل هذه الصورة الباهتة الكاذبة مما يشين الحسين عليه السلام ويقطع سبيل الاقتداء به، وهنا يأتي دور الروايات الصحيحة المكذبة لحصول هذا، والأخبار المحققة في مواجهة هذا الكلام، ومن ذلك ما نقله عقبة بن سمران^(١) مولى الرباب زوجة الحسين عليه السلام، ليقول:

١- عقبة بن سمران: مولى الرباب بنت امرئ القيس، خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة في خدمته، وشهد تفاصيل الحادثة وروى كلمات وخطب الحسين عليه السلام، وحفظ الحوارات بينه وبين أعدائه ويعتبر من أهم من اعتمدتهم أصحاب الأخبار في النقل -من الفريقين- لحضوره القريب واللصيق بالحسين ووثاقته. ولذلك صارت كلماته مرجعاً حاكماً على سائر الكلمات. استشهد بين يدي الحسين عليه السلام وورد التسليم عليه في الزيارة المنسوبة للإمام الحجة. وقيل كما في أنساب الأشراف، إنه لما استشهد الإمام عليه السلام أخذ وجيء به إلى عمر بن سعد فسأله من أنت؟ قال: أنا مملوك.. فخلى سبيله فلم يقتل! ونحتمل صحة هذا الثاني تبعاً لاعتماد كثير من المؤرخين ومنهم الطبري في سلسلة أسانيدده عليه. ويقتضي هذا أن يكون باقياً لفترة من الزمان بعد عاشوراء لكي يمكن الرواية عنه.

صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس.^(١)

وهذه الشهادة من عُقبة مهمة جداً، وذلك لأنه رافق الحسين عليه السلام منذ خروجه من المدينة وإلى يوم شهادته، وكان من أقرب الناس إليه وفي خدمته، فلو كان الشاهد هنا شخصاً التحق به مثلاً في مكة لقليل إنه لم يدرك الإمام في خروجه من المدينة أو التحق به في كربلاء لقليل إنه لم يدركه في كل أيامه فلعله قال هذا قبل أن يلتحق به هذا الشاهد، لكن لما كان الشاهد هذا وهو عُقبة قد التصق بالإمام منذ خروجه من المدينة وكان شديد الالتصاق به حيث كان في خدمة زوجته الرباب، فشهادة مهمة هنا.

وأنت ترى أن مثل هذه الشهادة من الممكن أن تنفي جهداً كبيراً سعى أصحاب الهوى الأموي من الكتاب أن يثبتوه في التاريخ، بل لقد كذب من أجل ذلك قائدهم العسكري عمر بن سعد لتثبيت فكرة طلب الحسين أن يضع يده في يد يزيد.^(٢)

٣. كذلك وكما أشرنا فإن السيرة الحسينية التي يتم تناولها -فترة خروجه إلى شهادته- تزيد عن خمسة أشهر، وهي حافلة بالأحداث والأقوال والخطب والمواقف، ومن كل ذلك يمكن استنباط أحكام شرعية، ومفاهيم فكرية.

١- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ٣١٣/٤.

٢- الجزري، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥٥/٤: «كتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد فإن الله أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيره إلى أي ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رضى وللأمة صلاح...».

ولأجل ما سبق فإن التحقيق في السيرة الحسينية وإبراز الوجه الناصع فيها، وردّ ما هو غير صحيح يعتبر من الخدمات المقربة لله سبحانه وأوليائه، وينبغي أن يتم تثقيف الساحة المؤمنة بأن هذا لا يقل، بل يزيد في عطائه عن المشاريع الحسينية، كبناء الحسينيات والمراكز وأمثالها.

إننا لا نجد في ثقافة المجتمع المؤمن هذا المعنى، فلو خير الكثيرين أن يبني حسينية مثلاً وبين أن يدعم كتاباً موسوعياً عن السيرة الحسينية لا شك أن الكثير يقدمون الجهة الأولى على الثانية، وهكذا عند الموازنة بين إطعام الطعام على حب الحسين وبين توزيع الكتاب لنفس الغرض، وكل ذلك خير وحسن، سيجيب الأكثر على أن الأمور الخيرية المعتادة من الإطعام وإقامة العزاء هو الأفضل والأولى.

لذلك فإننا ندعو المؤمنين الواعين إلى الانتهاض بهذا الأمر المهم والتكفل به، فإذا فكرت -أخي المؤمن أختي المؤمنة- في الانفاق في عمل حسيني كجعل ثلث المال فيه، فكّر أن تجعلها لدعم مشاريع التحقيق والتأليف العلمي في سيرة أهل البيت عليهم السلام عموماً وسيرة الحسين خصوصاً، لا سيما وأن هذا الجانب لا يتمتع بوجود توجه كاف له أو دعم مهم.

ولا يقتصر الدعم على الجانب المادي وإن كان هو الأساس المهم، بل يشمل الدعم المعنوي بمعنى أن توفر بيئة صحية لتقبل نتائج ما يتوصل إليه المحققون المعتبرون سواء توافق مع ما نؤمن به ونذهب إليه أو تمايز واختلف، فإنه كما يحتاج التحقيق إلى دعم مادي كذلك يحتاج إلى أن يعيش المحقق بيئة غير معادية له، وغير متهمه له. وإلا فما فائدة تحقيقه إذا كان سيخرج عليّ بنفس النتائج التي كنت اسمعها منذ خمسين سنة وأبي يسمعها قبلي بكاملها بغتها وسمينها؟ في هذه الحالة كان ينبغي أن يوفر على نفسه ذلك التحقيق والجهد. ولا يعني ذلك في المقابل أن يحرص الباحث على المخالفة لأجل المخالفة للمألوف أو لكي يأتي بما يقال إنه جديد، فهذا أيضاً غير صحيح وإنما أن

ينطلق متسلحاً بعدة الباحث وإنصاف القاضي وتنقيب العالم في تتبع الروايات ومقارنتها ومعرفة المقدمات وتناجها، ونحن نجد بين أيدينا عدداً غير قليل من هذه الجهود التحقيقية والتجارب البحثية التي أنتجت ولا تزال تنتج كتباً وبحوثاً نافعة، تختلف فيما بينها في أساليبها وتناجها وحجمها لكنها ينظر إليها جميعاً بعين الاهتمام والتقدير، وسنشير إلى بعض تلكم الأسماء دلالة عليها وثناء على الجهود التي بذلت فيها:

١. فمن ذلك ما قام به المحقق المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي، في كتابه: موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام، (٤٠ مجلداً) وابتدأ فيه من سيرة النبي الأعظم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وختم ذلك بخاتم الأوصياء الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وفي هذه الموسوعة اختص الإمام الحسين عليه السلام بثلاثة أجزاء، وقد أحسن المرحوم القرشي في كتابتها كتابة رشيقة معاصرة، كما أنها تحتوي على تحقيقات جيدة. ننصح الشباب المثقف بمطالعة هذه الأجزاء.

٢. كما أن الإخوة الطبسيين^(١) بدورهم قد أسهموا بشكل جيد في كتابة السيرة بنحو محقق قدر الامكان في كتابهم الموسوم بـ (الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة) في ستة أجزاء، يتناول كل جزء مرحلة من مراحل النهضة الحسينية فقد تناولوا فيه وقائع كل مرحلة بنحو جيد في العرض وبمقدار من التحقيق والتحليل، وربما طبعت بعض أجزاء هذا الكتاب بأسماء مختلفة مثل الأيام المكية، أو المدنية

٣. ومن الكتب التي تنحو المنحى التحقيقي ومراجعة الروايات المرتبطة بالواقعة الحسينية ونقدها كتاب: الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه، من تأليف: الشيخ محمد محمد ري شهري، أصله باللغة

١- المحققون: نجم الدين الطبسي، محمد جواد الطبسي، محمد جعفر الطبسي، وعزت الله مولائي ومحمد أمين الأميني وعلي الشاوي.

الفارسية، المترجم منه يقع في مجلدين وهو جزء من عمل أكبر بعنوان (موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ) في ١٤ مجلداً. وقد صرح الكاتب بمنهجه في معالجة حوادث الواقعة بالقول «أنّ الأبحاث التاريخية لا تخضع للتشدد الذي تخضع له الأبحاث الفقهيّة، وإنّما يحاول الباحث أن يطمئنّ من سلامة النصّ وسقمه، ومن أجل الوصول إلى معرفة الحقائق ينبغي الاستعانة بالقرائن المختلفة، من هنا فإنّ المعيار الرئيسي في جمعنا للنصوص وانتقاء الصحيح منها - بعد إسنادها إلى المصادر المعتمدة - هو (نقد النص)».

٤. ومن الكتب النافعة في السيرة الحسينية، ضمن نفس التوجه التحقيقي كتاب: سيرة الحسين في التاريخ والحديث للمرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي في (٢٤ جزءاً / جزءان منها فهارس). وقد بدأ فيه من مولد الإمام الحسين عليه السلام إلى رجوع الركب الحسيني إلى المدينة من كربلاء.

٥. وهناك كتب أخرى ألفت في هذا الاتجاه في العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن، يشتمل بعضها على قسم أو أكثر من السيرة الحسينية، ولكن (كل الصيد في جوف الفرا)^(١) وهو ما جاد به يراع المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي، في موسوعته دائرة المعارف الحسينية، وهو من حيث الخطة والانجاز حتى الآن مما لا نظير له، وهو وإن كان يحتاج لدراسة واسعة ولا يتيسر ذلك في مثل هذا المقال إلا ببضع سطور فنقول؛ إن خطة الكتاب أن يبلغ ٩٠٠ مجلد عن كل ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، من سيرة وتاريخ وفضائل وفقه وأحاديث وما يرتبط بالحسين من القرآن الكريم، وما يتعلق بواقعة كربلاء من أصحاب وشهداء ونساء وأعداء وقتلة، ومدينة كربلاء في تاريخها، وما

١- مجمع الأمثال، ج ٢، الميداني، ص ٨٤: كلّ الصيد في جوف الفرا قال ابن السكيت الفرا الحمار الوحشي وجمعه فراء قالوا وأصل المثل ان ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً والثالث حماراً فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا عليه فقال الثالث كل الصيد في جوف الفرا أي هذا الذي رزقت ووظفرت به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي.

يتصل بالأدب والشعر الحسيني في قرونه المتتالية ولغاته المختلفة (العربية، والفارسية، والأوردية، والتركية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والبشتونية) والمراد المتصلة بواقعة كربلاء.. وما أنجز حتى الآن يصل إلى ١٢٠ مجلداً، سعى فيها المحقق الكرباسي إلى التحقيق^(١) بقدر ما اتسع له من الجهد. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم هؤلاء العاملين المحققين المتتبعين، لرفد ساحتنا الإسلامية بهذا النتاج العلمي المحقق، إنه على كل شيء قدير. وما قدمه في هذه الصفحات هي محاولة من جملة المحاولات المتعددة، في تيسير الوصول إلى السيرة الحسينية الأقرب إلى الواقع فيما نعتقد، فإن وفقنا في ذلك فنحمد الله سبحانه على التوفيق، وإن لم يحصل فأرجو ألا يفوتنا نية ذلك وثوابه.

بالطبع فإن ثناءنا على ما سبق من الكتب لا يعني تنكرنا لغيرها فإن استعراض (كل) ما كتب من تحقيقات، لا ييسر لنا، وإنما أوردنا هذه الأسماء كنماذج، كما لا يعني أيضاً أننا نوافق على المنهج المتبع فيها كلها، ولا على النتائج التي توصل إليها مؤلفوها. وإنما ذكرنا هذه الكتب تقديراً لأصل السعي التحقيقي.

١- عندما نشي ونقدر هذه الجهود له ولمن سبق ذكرهم، فإننا نمدح ونكبر نفس الجهد والسعي والتعب الذي بذل في هذا السبيل لكن ذلك لا يعني الاتفاق مع كل أولئك في جميع النتائج التي توصلوا إليها، فقد نوافق في بعضها ونخالف في البعض الآخر، كما يتوافق بعضهم مع بعض في قسم من النتائج ويتخالفون في قسم آخر.

الحسين سيرة ما قبل كربلاء

سيرة الحسين ما قبل كربلاء، هي الفترة التي تشكل كل عمر الإمام الحسين، باستثناء خمسة أشهر ونصف تقريبا، هي التي خرج فيها من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء إلى يوم شهادته عليه السلام، وبالرغم من أنها الفترة الأكبر في حياته صلوات الله عليه، والمفروض أنها تشكل المساحة الأوسع للاقتداء، إلا أنها في الغالب ليست في متناول العموم، ولعل أحد أسباب ذلك أن الصورة النمطية المرسومة للإمام الحسين عند ذكره، هي صورة كربلاء وما جرى فيها وكأن كل حياة الإمام هي ما جرى في كربلاء.

لا ريب أن شهادة الحسين عليه السلام في كربلاء، هي التي لها الدور الأكبر في إحياء الدين والحفاظ عليه، وكونها حدثت بذلك النحو المأساوي الفجيع الصادم للوجدان الإنساني، والذي يبقى في الذاكرة ويثير العواطف، لكن ما سبقها من فترة زمنية وهي طويلة جدا تصل إلى حوالي ٥٧ سنة (من ٤ هـ إلى ٦١ هـ) هي المجال الأوسع للاقتداء، ولذلك ينبغي التوقف عندها والتعرف عليها.

ولادة الحسين ورضاعه عليه السلام

سوف نتعرض لما يرتبط بولادته المباركة بشكل نقاط حتى يسهل مآخذها، وسنعمد قدر الامكان الاختصار.

١. مع ملاحظة أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء قد تزوجا في السنة الثانية للهجرة وأن ولادة المولود الأول لهما الإمام الحسن المجتبي عليه السلام كانت في السنة الثالثة من الهجرة، ستكون ولادة الإمام الحسين عليه السلام ثاني الأسباط في السنة الرابعة للهجرة، وقد ولد على المشهور في الثالث من شهر شعبان^(١).

١- المجلسي، بحار الأنوار بينما ذكر الكرباسي في دائرة المعارف، السيرة الحسينية ١٥٧/١ أنه كان في ليلة الجمعة الخامس من شهر شعبان. وكذلك العاملي في سيرة الحسين ١٢١/١ كقول ثان.

٢. هل كانت مدة الحمل به ستة أشهر^(١)؟ وهي نفسها الفترة الفاصلة بين ولادة الإمام الحسن وأخيه الحسين، يذهب إلى هذا بعض العلماء اعتماداً على ما ورد من مشابته في مدة الحمل لعيسى بن مريم^(٢)، وفي رواية أخرى^(٣) ليحيى بن زكريا، وبناء على هذا فإنه سيخالف ما عليه المشهور من كون ولادة الإمام الحسن المجتبي في النصف من شهر رمضان وأن ولادة الحسين في شعبان، حيث لا يتفق هذا مع كون الفاصل بين ولادتها بالحسن وحملها بالحسين طهراً واحداً (سواء كان بالمعنى الشرعي وهو اقل الطهر أي عشرة أيام أو بمعنى الشهر الكامل) فإنه لو كانت ولادة الحسن المجتبي في ١٥ من شهر رمضان، ولنفترض مر شهر كامل كطهر وحملت بالحسين ستة أشهر فسيكون وقت ولادته في ١٥ ربيع الثاني أي قبل ما هو معروف من ولادته في ٣ شعبان بعدة شهور.

وقد تخلص المرحوم العاملي من هذا الاشكال بالإصرار على كون الفاصلة ٦ أشهر لصحة الرواية القائلة بذلك عنده وبأن ميلاد الحسين كان في شعبان، فيتعين أن يكون تعيين مولد الحسن المجتبي في شهر رمضان غير تام، وقال إنه ما دام لم يأت بطريق معتبر فلا سبيل إلى الجزم به. إلا أنه يبقى حل مشكلة كون أن المشهور - من الفريقين - قائل بكون النصف من شهر رمضان هو ولادة الإمام الحسن المجتبي، وسيأتي ذكر ذلك عندما يتم بحث سيرة الإمام الحسن عليه السلام، لا سيما وأن

١- حددها الكرياسي في السيرة الحسينية ١٥٧/١ بستة أشهر إلا عشرة أيام أي ١٦٦ يوماً كما قال. ولا أعلم كيف سيعالج الشيخ الكرياسي رواية العزمي عن الصادق والتي هي صحيحة السند في الكافي ١/٥١٢ وقد ذكر فيها أنه: كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً.

٢- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ١/ ٥١٣: في رواية مرفوعة للإمام الصادق عليه السلام: «ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم عليه السلام والحسين بن علي».

٣- نقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين ٤٦١ لكنها غير معتبرة من حيث السند وفي مضمونها مشكلات.

المرحوم العاملي نفسه في كتاب آخر ذكر أن مولد الإمام الحسن كان في النصف من شهر رمضان^(١).

ولا يظهر من الشيخ الري شهري أنه اتخذ موقفاً واضحاً من الإشكال بعدما عرض الأقوال الكثيرة، وكذلك الحال بالنسبة للشيخ الكرباسي مع أنه قرّر أن مدة الحمل بالحسين هي ما سبق من كونها دون ستة أشهر بأيام. وهناك من ناقش في كون مدة حمل الحسين هي ستة أشهر، بالقول أن التنظير فيها تارة بالمسيح وأخرى يبحى بالإضافة إلى كون الروايتين فيه غير تامتين سنداً، فإن هناك كلاماً^(٢) في موضوع مدة حمل المسيح بين قول أنه أمر إعجازي حيث لم تستغرق سوى تسع ساعات وقول آخر أنه كان حملاً طبيعياً أي أشهر شهر.

٣. هل كانت ولادة طبيعية أو غير طبيعية: بالرغم من أن هذا الموضوع قد لا يهم الكثير من الناس لكن لفت نظري أن بعض المؤلفين قد أصر عليه، فقد ذكر الشيخ الكرباسي في السيرة الحسينية، بأن ولادته عليه السلام كانت من غير الموضع الطبيعي الذي يولد منه الناس وإنما كان من الفخذ (الأيمن أو الأيسر) واستند في ذلك إلى بعض الروايات ونظّر له بأن لا غرابة فيه مثلما أن الكعبة قد انشق جدارها لتلج فاطمة بنت أسد منه وتضع علياً عليه السلام داخل الكعبة، وأن بعض الحيوانات يحصل لها ذلك.

١- الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ج ٨، السيد جعفر مرتضى العاملي، ص ٥٢: قال في رده على رواية ساقها أبو نعيم: هذه الرواية وهم من جهتين؛ في القتل، والمولد. فأما مولد الحسين؛ فإنه كان بينه وبين أخيه الحسن طهر. وولد الحسن للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة.

٢- الطبرسي: مجمع البيان ٦/٤١٧ قيل: ستة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر. وكان ذلك آية، وذلك أنه لم يعيش مولود وضع لثمانية أشهر غيره. وفي موضع آخر قال: واختلفوا في مدة حملها، فقيل: ساعة واحدة. قال ابن عباس: لم يكن بين الإنباء والحمل إلا ساعة واحدة، لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً، لأنه قال * (فحملته فانتبذت به) * (فأجاءها) *، والفاء للتعقيب. وقيل: حملت به في ساعة، وصور في ساعة، ووضعت في ساعة، حين زاغت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، عن مقاتل. وقيل: كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروى عن أبي عبد الله عليه السلام.

ويظهر - كما قال غير واحد من المحققين - أن الروايات التي نقلها العلامة المجلسي في البحار واعتمد عليها الشيخ الكرباسي بالإضافة إلى أنها لا تصح سنداً حيث رويت من قبل بعض الغلاة كالحسين بن حمدان النخبي (الحضيني) وقد نصوا على ضعفه^(١)، بالإضافة إلى تكذيب الواقع لها، فإنه لو كان كذلك في كل الأوصياء حيث ورد بهذا النص: نحن معاشر الأوصياء، لكننا أمام اثني عشر وصياً ولدوا بهذه الصورة ولنقل المؤرخون والمحدثون ومن يكتب في الفضائل بل في الغرائب مثل هذا الأمر على مدى أكثر من قرنين من الزمان، ولو كان لبان ولكننا لا نجد شيئاً من ذلك، بل نجد في صفة ولادة بعض الأئمة هذا التعبير (فلما وقع من بطن أمه).^(٢)

٤. في موضوع رضاعته عليه السلام؛ فإن هناك روايات تشير إلى أنه لم يرتضع من أمه فاطمة عليها السلام وإنما ارتضع من اصبع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقد أثر واشتهر عن المرحوم السيد مهدي بحر العلوم^(٣) أنه قال:

١- قال فيه العلامة الحلي في خلاصة الأقوال ٣٣٩: كان فاسد المذهب كذاباً، صاحب مقالة ملعونة، لا يلتفت إليه.

٢- العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة الإمام علي ٧٢/١ في تعليقه على الرواية قال: وهذه الرواية لا يصح الاعتماد عليها، بل يكذبها الواقع العملي لأمهات المعصومين عليهم السلام، لأنهن - كما نقرأ في كتب السيرة - كانت تبدو عليهن آثار الحمل في بطونهن، وكان يأتيهن الطلق، وكان يساعدهن في الولادة بعض النساء (قابلة أو غيرها) دون أن يلاحظن وجود هكذا أمور. على أن الروايات تضمنت أن نساءهم كن يتولين أمر نساءهم، ولم يكن يسمح لغيرهن بالدخول في هذا الأمر، مبالغة في الستر وحفظاً لمعنى الكرامة والقداسة.. وقد ذكر السيد مهدي الجابري، هذه الشبهة ورد عليها في: شبهات وردود: رقم ٢٧ موقع العتبة الحسينية بالقول: ومنها: ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في بيان كيفية ولادة الإمام: «وإذا وقع من بطن أمه إلى الأرض وقع وهو واضع يده إلى الأرض.. ومنها: ما روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ولادة الكاظم عليه السلام، يقول فيه: «إنَّ الإمام إذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض» وأنت كما ترى فالإمام عليه السلام وبصريح العبارة ينص على أن الولادة إنما كانت من البطن لا من الفخذ.

٣- محمد مهدي بن السيد مرتضى الطباطبائي المعروف ببحر العلوم فقيه إمامي، ومرجع ديني يعد من أجل تلامذة الوحيد البهبهاني، وأستاذ عدد من أعلام الطائفة منهم الفاضل النراقي صاحب مستند الشيعة والسيد جواد العاملي صاحب الرياض والشيخ النجفي صاحب الجواهر وينقل عنه لقاءه بالإمام الحجة عجل الله فرجه كما ذكره النوري صاحب المستدرک توفي سنة ١٢١٢ هـ. معرفة أدواره وأعماله يراجع كتابنا: من أعلام الإمامية.

لله مرتضع لم يرتضع أبداً من ثدي أنثى ومن طاها مرضعه
يعطيه إبهامه أنا وأونة لسانه فاستوت منه طباعه
سُرُّبه خصه باريه إذ جمعت وأودعت فيه عن أمر ودائعه
غرس سقاه رسول الله من يده وطاب من بعد طيب الأصل فارعه^(١)
والقائلون بهذا اعتمدوا كما يظهر على ما ورد في الكافي^(٢) من
مرسلة^(٣) محمد بن عمرو الزيات عن الصادق عليه السلام : لم يرتضع
الحسين عليه السلام من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به
النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين
والثلاث، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله
عليه وآله، ودمه.

وفي رواية أخرى (مرسلة) عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن النبي
صلى الله عليه وآله كان يؤتى به الحسين عليه السلام فيلقمه لسانه،
فيمصه، ويظهر من بعض ما نقل أن ذلك كان بسبب مرض ألمَّ بالسيدة
الزهراء عليها السلام.

وبالرغم من أن الأمور الغيبية والكرامات الإلهية في حق أهل البيت
عليهم السلام ليست غريبة ولا مستنكرة إلا أننا نحتمل أن قضية إرضاع
النبي الحسين عليهما السلام من اصبعه أو لسانه كانت استثناء وليست
أصلاً، كما أن نفي ارتضاعه بالكلية من فاطمة يصعب قبوله، وإنما على
فرض حصول ذلك فإنه قد كان لفترة محدودة ويؤيده ما مر من أن فاطمة قد
مرضت فلم تستطع إرضاع الحسين عليه السلام. واحتمل بعضهم أن يكون

١- أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام، ج ٦، جواد شبر، ص ٥٠.

٢- الكافي، ج ١، الشيخ الكليني، ص ٥١٢ كذلك الصدوق / في علل الشرائع ٢٠٦/١ بسند ضعيف أيضا.

٣- محمد بن يحيى، عن علي بن إسماعيل، عن محمد بن عمرو والزيات، عن رجل من أصحابنا، عن أبي
عبد الله عليه السلام.

ذلك في شهر رمضان لكونها عليها السلام تصوم من جهة، ومن جهة أخرى كان الحسن المجتبي لا يزال رضيعاً في حجرها (خصوصاً على القول بأن بينهما مدة ستة أشهر فقط) ولكونها في الثانية عشر من العمر كما هو المعروف.

كما يحتمل أن يكون ذلك في أول أمر الحسين عليه السلام وقبل بدء الرضاع، وأنه كان بناء على وصية النبي صلى الله عليه وآله فاطمة ألا ترضعه حتى يأتي النبي، وبالفعل هكذا حصل فوضع لسانه في فمه، كما ورد في بعض الروايات، لكن هذا الاحتمال يعارضه ما ورد في روايات أخر من أنه كان يأتي كل يوم، ونفي بعضها الآخر أنه لم يرتضع من أنثى.

وأما عدم قبول النفي الكلي لارتضاعه من أمه عليهما السلام، فلجهات: أولها: أن ما يثبت ذلك من النصوص ليس تاماً فمصدره الأساس روايتنا الكافي وقد عرفت حالهما من عدم الاعتبار.

وثانيها: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يغيب في هذه الفترة عن المدينة بالكامل تبعاً لما تتطلبه ظروف الغزوات والقتال، ويكون على مسافات بعيدة منها، فكيف يكون (لم يرتضع أبداً من ثدي أنثى! ومن طه مرضعه)؟ وهب أنه يكفيه من الارتضاع من إصبع النبي أو لسانه اليومين والثلاثة، فماذا عن الفترات التي يغيب فيها النبي فترة قد تمتد إلى شهر من الزمان؟

وعلى سبيل المثال فإن أول غزوة كانت بعد ميلاد الإمام الحسين عليه السلام هي غزوة بدر الآخرة، (وهي غير بدر الكبرى) فقد قيل إنها وقعت في شعبان وقيل في ذي القعدة من السنة الرابعة للهجرة، حيث خرج النبي صلى الله عليه وآله على رأس قوة من المسلمين إلى بدر، وبدر تبعد عن المدينة بحوالي ١٢٠ كيلومتراً أي أنها تحتاج في الحد الأدنى إلى أربعة أيام للوصول إليها (مع ملاحظة أنهم كانوا يسيرون على الأقدام) ومثلها في الرجوع فهذه ثمانية أيام سوى أيام الاستراحة والانتظار لقريش - التي جنبت ولم تأت بحسب ما كان الاتفاق عليه - كما أنه صلى الله عليه وآله قاد الجيش لغزوة دومة

الجنديل في شهر ربيع الأول سنة ٥هـ (أي أن الحسين عليه السلام كان له حينها ثمانية أشهر)، ودومة الجنديل تقع على بعد ٦٠٠ كيلو متر أي تحتاج في الذهاب لحوالي اسبوعين ومثلها للعودة، أي سيكون النبي بعيداً عن المدينة في الحد الأدنى حدود شهر من الزمان، وكذلك باقي الغزوات التي حصلت في فترة السننتين الأوليين من حياة الإمام الحسين عليه السلام .

ثم إنني قد وجدت في حاشية كامل الزيارات لابن قولويه تعليقا على الخبر المذكور عن الكافي، ما يلي: «الخبر خبر واحد مجهول، وكان فيه وهم، والظاهر أن الأصل: (لكنه يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع يده في فمه فإذا مس إصبعه يظهر له أنه جائع فأمر بإرضاعه، وبهذا الوجه نبت لحم الحسين -يعني بمراقبة النبي صلى الله عليه وآله-)، وراوي الخبر غير معلوم، ولعلّ الزيات لترديده في صحّة اللفظ لم يسمّ الراوي». ولم أتعرف على كاتب الحاشية فالنسخة الالكترونية الموجودة لدي لا يظهر عليه اسم المحشي، وعلى أي حال فالتوجيه وإن كان مناسباً للإقناع إلا أنه على خلاف ظاهر الخبر نفسه وخلاف صريح أخبار آخر، وخلاف التعليل الموجود فيها من أنه لذلك نبت لحم الحسين ودمه من لحم رسول الله!

وقد أفاد الشيخ الري شهري، بعدما نظر في الأحاديث وقسمها إلى أقسام من جهة مضمونها، فقال: «وبإمعان النظر في هذه الأحاديث نلاحظ إمكانية الجمع بينها، وذلك بأن نقول: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يغذي سبطه وقرّة عينه بإصبعه تارة وبلسانه أخرى بسبب جفاف ثدي ابنته فاطمة عليها السلام. مضافاً إلى ذلك فإنه صلى الله عليه وآله كان يلقم أبناءه لسانه ليرتووا منه، وذلك عند حدوث الجفاف العام وقلة المياه، وصدور أمثال هذه الكرامات والمعجزات ليس بعيداً عن النبي صلى الله عليه وآله من الناحية الثبوتية، وإن كان بحاجة إلى دليل قاطع في الجانب الإثباتي^(١).

١- الري شهري، محمد: موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ ١/١٧٧.

٥. إنه مع ولادة الإمام الحسين عليه السلام كما تقدم في السنة الرابعة للهجرة، فيكون قد عاصر جده المصطفى صلى الله عليه وآله ست سنوات وأياماً، وفي خلال هذه الفترة أحاطه النبي -وأخاه- بأشكال كثيرة من العناية والاهتمام والاشارة إليه، والحديث في فضله وأخيه ومناقبهما طويل، حتى لقد ورد من طريق مدرسة الخلفاء أن النبي قال في شأنهما عشرات الأحاديث، ويرتفع هذا العدد من طريق الإمامية ليتضاعف بشكل واضح.

وسواء كان هذا أو ذاك فإنه ملفت للنظر، إذ كيف يتحدث النبي عن (طفل) بعمر سنتين أو ثلاث بكل تلك الأحاديث ويصفه بتلك الأوصاف؟ إن المقصود الأكبر من هذه الأوصاف والأحاديث هو تعيين خارطة طريق للأمة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلا فلا يوجد معنى مهم من تلك الأحاديث في زمانها الذي قيلت فيه، إذ مع وجود رسول الله صلى الله عليه وآله فكل الروافد تنتهي إليه، ولكن حيث ستفرق السبل بعده احتاج الناس إلى أدلة وعلامات ونجوم يهتدى بها، فكانت هذه الروايات والأحاديث بمثابة من يخبر الناس عن الطريق المستقيم والواضح، فالحسين: (إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة خاتمهم قائمهم) وإذا كان أحد يبحث عن طريق الجنة ف(الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة).^(١)

فالنبي صلى الله عليه وآله بحسب ظاهر الأمر يمدح ابنه الحسين عليهما السلام، بينما هو في الواقع كان يخاطب المستقبل، ويعين أئمة المستقبل وقادة الدين إذا توزعت الناس الآراء والاتجاهات، يعني: أيها الناس، إذا أدركتم الحسين وقد نهض بالإمامة، فهذا إمام، وأخوه قبله إمام. فيكون نص بهذا على الإمام الحسين، وهو أبو أئمة، فيكون أيضاً نص على الأئمة من ولد الإمام الحسين عليه السلام، وبالتالي فقد لا يكون هناك عمل فعلي

١- النيسابوري، الحاكم: المستدرک ٣/١٦٧: الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة الابني الخالة (يعني عيسى ويحيى) قال الحاكم: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة وأنا أتعجب انهما لم يخرجاه.

مطلوب من الناس أيام النبي، وإنما هو في صدد تعيين الإمامة للإمام الحسين عليه السلام وتمهيدها للمستقبل، أن: أيها الناس، هذا إمام، إن قام بالإمامة إمام، وإن قعد فهو إمام منصوب عليه.

وقد ذكرنا في موضع آخر أن أحاديث المناقب والفضائل ليس الغرض منها توزيع أوسمة وشهادات مدح في هذه الدنيا ليتفاخر بها من يملكها على غيره! وإنما الغرض الأقصى منها غرض معرفي وديني عقدي، فهي من جهة تبين المراتب الخفية عن الناس وتكشف عن (أولياء الله) الخفيين بين عباده، ومن جهة أخرى فهي تلزم الناس باتباع هؤلاء إما باعتبارهم هم الأدلاء على الله من الأوصياء والناطقون عن أحكامه ووحيه، أو في مرتبة دون ذلك فهي تمدح أشخاصا لاتباعهم أولئك وطاعتهم لهم. فإذا كانت هناك فئات مختلفة فعمار تقتله الفئة الباغية، ويعني ذلك أن الفئة التي يكون فيها هي الهادية! (١)

٦. لفئات تربوية في تعامل النبي مع الحسين عليهما السلام: بالإضافة إلى ما سبق ذكره من إخبار النبي صلى الله عليه وآله عن مقامات وشؤون ومراتب الإمام الحسين عليه السلام وما سيحدث ويجري عليه، فإن النبي أحاط ابنه الحسين عليه السلام برعاية دقيقة وعناية خاصة تشير من جهة إلى عمق المحبة منه له، وتعلم المسلمين بصورة عملية دروسا في تربية الأبناء، وأن مهمة الآباء لا تقتصر على إيداع نطفته في رحم أمه، وإنما تبدأ تفاصيل

١- من أعجب ما سمعت من بعض خطباء المدرسة الأخرى؛ أنه كان يبرر لجيش الشام فهمهم! الذي قاله عمرو بن العاص عندما قتل عمار بن ياسر على أيدي جيش الشام وتذكر الناس حديث النبي (تقتلك الفئة الباغية) قال: إنه يمكن أن يفهم بنحوين! أن جيش الشام قتله، وأيضا يفهم بنحو أن من دفعه إلى القتال وجاء به للمعركة هو الذي قتله! وما كنت أظن أن التزوير الذي ذكره عمرو بن العاص لكي يحفظ جيشه ينطلي على الناس في هذا العصر! إلا عندما سمعته! فإن معنى هذا الكلام أن حديث النبي صلى الله عليه وآله لا قيمة له إذ يحتمل الشيء وضده! ولا يوجد طعن في النبي أكثر من هذا وهو أفصح من نطق بالضاد. على أنه يلزم من كلامه وكلام عمرو بن العاص أن يكون النبي هو الذي قتل عمه حمزة بن عبد المطلب في أحد لأنه هو الذي أخرجه وقتل أبطال المسلمين في بدر لأنه هو الذي أخرجهم، وأما الكفار فلم يقتلوا ولم يصنعوا شيئا!! نعوذ بالله من العصبية والتطرف.

التربية من يوم ولادته إلى أن يستقل بنفسه صالحا نافعا لنفسه ولمجتمعه،
فها هم المؤرخون يذكرون أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد علم حفيده
الحسين النطق، وكان يحرص على مجيئه وأخيه إلى المسجد في ذلك العمر
المبكر، خلافاً لما عليه الناس في زماننا حيث أن بعضهم يمنعون مجيء الأولاد
حتى من أبناء التسع سنين وما دونها وما فوقها! مع أنها البيئة الطبيعية
الصالحة التي ينبغي أن يتعود عليها الطفل وأن يأنس بها.

وفي الروايات أنه: ما كان يكبر النبي صلى الله عليه وآله في العيدين إلا تكبيرة
واحدة، حتى أبطأ عليه لسان الحسين عليه السلام، فلما كان ذات يوم عيد
ألبسته أمه عليها السلام وأرسلته مع جده، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله
، فكبر الحسين عليه السلام حين كبر النبي صلى الله عليه وآله سبعا، ثم قام
في الثانية فكبر النبي صلى الله عليه وآله، وكبر الحسين عليه السلام حين كبر
خمسا، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله سنة، وثبتت السنة إلى اليوم.^(١)
ونقل عن الإمام الحسين عليه السلام جانب مما أخذه عن جده
المصطفى صلى الله عليه وآله؛ فقد قيل للحسين عليه السلام: ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: سمعته صلى الله
عليه وآله يقول: إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها، وعقلت عنه أنه
يكبر فأكبر خلفه، فإذا سمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبر سبعا، وعلمي ﴿قُلْ
هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وعلمي الصلوات الخمس، سمعته صلى الله عليه وآله يقول:
من يطع الله يرفعه، ومن يخلص نيته لله يزينه، ومن يثق بما عند الله يغنه،
ومن يتعزز على الله يذله.^(٢)

وفي هذا تعليم لمن شاء أن يتعلم، فإن أول نطقه عليه السلام بتعليم جده
النبي صلى الله عليه وآله هو التكبير، بعد الاشتراك في صلاة العيد، وتعليمه

١- علل الشرائع: ٣٣٢ ح ٢، من لايحضره الفقيه ١: ٣٠٥ ح ٩١٨، وسائل الشيعة ٤: ٧٢٢ ح ٤. باختلاف يسير.

٢- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ٢٥.

سورة التوحيد، وتعليمه الصلوات الخمس إضافة إلى تعاليم أساسية في الحياة توجه إلى الاعتناء بمعالي الأمور وتجنب سفاسفها.

٧. توفي رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الحادية عشر^(١) والحسين يخطو في السابعة، وهنا سنلاحظ أن موقف الإمام الحسين عليه السلام من الحدث الذي وقع، والخلافة التي تلت رسول الله صلى الله عليه وآله، كان سلبياً بشكل واضح، فهو وإن كان في عمر مبكر لكنه يدرك حجم الظلم الذي وقع على والده، ثم والدته عليهما السلام، وهو يتابع كلمات النبي في فضل أبيه على من عداه. ولذلك فما يحاول بعض مؤرخي مدرسة الخلفاء من تصويره من أن الحسنين عليهما السلام كانا راضيين عما قامت به جماعة الخلفاء لا يصح بحال من الأحوال، بل هو مخالف للروايات التاريخية، بل ومخالف للمنطق الطبيعي للإنسان!

ولا سيما بعد أن أخذت الأحداث اتجاهها هجومياً، وتعرض بيت الزهراء عليها السلام لانتهاك حرمة، وأسقطت الزهراء جنينها وأخرج أمير المؤمنين عليه السلام بالقوة للبيعة، فإن كل هذه الأحداث -بأي حجم كانت- ستشكل منشأ لموقف معارض منه لهم، حتى لو كان الأمر عاطفياً فضلاً عن الموقف المبدئي.

بل يلحظ أن الإمام الحسين عليه السلام قد تجاوز حدود الموقف النفسي والعاطفي إلى الاحتجاج العلني الواضح، وهذا ما دونته بعض مصادر مدرسة الخلفاء فضلاً عن الامامية، فقد نقل العسقلاني، عن عبيد بن حنين قال: حدثني الحسين بن علي قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه

١- إننا في سنوات التاريخ الهجري نجري على ما هو المعتمد رسمياً والمعروف لكيلا تختلط الأمور على القارئ العزيز، وذلك أن بداية التقويم الهجري يفترض أنه يكون بدءاً من شهر ربيع الأول حيث تحسب السنة الأولى منذ ذلك الوقت وهو وصول النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة المكرمة، ولكن منذ أيام الخليفة الثاني تم تغيير ذلك واعتماد شهر محرم الحرام بداية للسنة الهجرية، وبالطبع سيختلف التقويم فبناءً على التقويم الأصلي النبوي يكون وقت وفاة رسول الله في ٢٨ صفر هو نهاية السنة العاشرة الهجرية، بينما هو على التقويم الرسمي الجديد سيكون بداية السنة الحادية عشر الهجرية. وهكذا.

فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر وأخذني فأجلسني معه أقلب حصى بيدي فلما نزل انطلق بي إلى منزله فقال لي: من علمك؟ قلت: والله ما علمني أحد!

ونحن نلاحظ هنا أن الحدث - إذا كان قد وقع - فينبغي أن يكون عمر الإمام الحسين عليه السلام عشر سنوات، ويفترض أنه قد تم استقرار خلافة الخليفة الأول والثاني، ومع ذلك سجل الحسين هذا الموقف، وقد تعجب الخليفة من ذلك وأراد أن يعرف هل كان الحسين مدفوعاً من أحد وملقناً من شخص كأبيه مثلاً؟ فسأله: من علمك؟ - يعني أن تقول هذا الكلام - فقال له: ما علمني أحد!

صحيح أن الموقف العام الذي التزم به أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو «قَدْ عَلِمْتُمْ أَيُّ أَحَقِّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي - وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ - وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً - التَّمَّاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ - وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَزِبْرَجِهِ»^(١) كان ملزماً لأتباعه وبالطبع لأبنائه في أول الناس، وأنه كان لا يريد المعارضة الصريحة التي تنتهي إلى صراع عسكري أو سياسي فتقسم المجتمع المسلم، ولكن هذا لا يمنع أن يوضح هو - أو شيعته وأبناؤه - ظلامه الإمام والاسلام. متى ما كانت الفرصة مناسبة، وقد بينا عند تحليل شخصية عبد الله بن عباس^(٢) ابن عم الإمام هذا الجانب. ولقد كان يلحظ الإمام الحسين عليه السلام احتياج الخلافة ممثلة في شخصها الأول، إلى علم أبيه ومعرفته بأحكام الدين، ولولا إشارات الإمام علي عليه السلام وارشاداته، وحله القضايا التي عجزوا عن معرفة الصواب فيها لهلكوا. وكان هذا تطبيقاً عملياً لنبل الإمام ورساليته ودرسا منه في الزهد فيما تنافسوا فيه، فإن من انتصارات المعارض أن يتخبط منافسه الحاكم

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: تحقيق صبحي الصالح ص ١٠٢.

٢- راجع كتابنا: من أعلام الأسرة النبوية.

في التخطيط والإفتاء وأن تضيع الحقوق على يده، إذ بإمكانه حينها أن يشير إلى الناس بانتهاكات وأخطاء الحاكم، وهذه سيرة المعارضة بين أيدينا فإنهم يفرحون بكثرة الأخطاء ويتغذون على المشاكل ويسقطون بها منافسيهم، لكن هذا الإمام النبيل الذي يرى (تراثه نهباً) إذا وجد خللاً سده، أو رأى خطأ أصلحه أو عثراً أزاله حتى لقد أنطقهم مراراً بما بقي في سمع الدهر أن «لَوْلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ».^(١)

٥. هل شارك الإمام الحسين عليه السلام في فتوحات الخلفاء؟

كأن أول من أشار إلى ذلك هو محمد بن جرير الطبري في تاريخه، فإنه ذكر ما نصه: «حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن علي بن مجاهد^(٢) عن حبش بن مالك قال غزا سعيد بن العاص^(٣) من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة ابن اليمان وناس من أصحاب رسول صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير^(٤)، وتبعه في ذلك من جاء بعده من مؤرخي مدرسة الخلفاء.

١- الاستيعاب، ج ٣، ابن عبد البر، ص ٢٤١ عن سعيد بن المسيب، قال: كان عمر تَعَوَّذَ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن. وقال في المجنونة التي أمر بجرمها وفي التي وضعت لستة أشهر، فأراد عمر رجماً - فقال له علي: إن الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهراً.. الحديث. وقال له: إن الله رفع القلم عن المجنون.. الحديث، فكان عمريقول: لولا عليٌّ لهلك عمر. وقد روى مثل هذه القصة لعثمان مع ابن عباس، وعن عليٍّ أخذها ابن عباس، والله أعلم.

٢- ذكره غير واحد من أئمة الجرح والتعديل عندهم بالوضع والاختلاق كما في تاريخ بغداد ١٣/٥٩٢.
٣- والده قتله علي بن أبي طالب مشرئاً في بدر وولاه عثمان الكوفة بعدما أقيم الحد على الوليد بن عقبة في الخمر وعزل عن ولاية الكوفة، وابنه عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) صاحب المواقف الحادة والشامته بأهل البيت عليهم السلام بعد كربلاء. ذكر خبره المسعودي في مروج الذهب ٢/٣٣٧ فقال «فلما اتصلت أيام سعيد بالكوفة ظهرت منه أمور منكرة، فاستبد بالأموال، وقال في بعض الأيام أو كتب به إلى عثمان: إنما هذا السواد قطين لقريش، فقال له الأشر، وهو مالك بن الحارث النخعي: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك؟ ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوا عزله عنهم..»

٤- الطبري، محمد بن جرير تاريخ الطبري ٣/٣٢٣.

وبالرغم من أننا لا نرى مشكلة في ذلك لو ثبت حصول ذلك تاريخياً، فإن ما يقال من المنع لأجل أن الوالي على الجيش والقائد هو مثل سعيد بن العاص فكيف يكون الحسنان تحت إمرته؟ وأن الفتوحات تلك لم تكن على المنهاج القويم في أصل بدايتها وغايتها أو في أساليبها كما أشار إليه بعض المحققين^(١) فإنه يمكن الإجابة عن الأول بأنه لو فرض حصوله وإذن أمير المؤمنين عليّ وهو الإمام الشرعي في ذلك فلا ضير فيه ويكون بإجازته ومن تقديم الأهم - لو فرض - على المهم. ويجاب على الثاني: لو فرض حصوله بأن وجود أمثاله يكون الغرض منه تصويب الاتجاه والغزو قدر الإمكان وبما استطاع وهو ما فسربه مشاركة بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في الفتوحات تلك ممن لا يتصور أنهم ينبعثون عن غير أمره وهم ليسوا بالقليل، وأنه لو كان الخيار بين الفساد الأكبر أو تخفيف ذلك الفساد بمقدار ما استطاع لتم اختيار الثاني، مع أن الفتوحات لم تكن شرّاً مطلقاً وإنما كان فيها إيصال صوت الإسلام إلى سائر الشعوب وإن تخللها غايات مادية وشابها أخطاء وتجاوزات.

فنحن لا نرى مشكلة في ذلك لو فرضنا حصوله، إلا أن المشكلة كل المشكلة هي أنه لا يوجد ما يثبت بل القرائن تعارض مثل هذا الأمر، فمن ذلك: أولاً: الاختلاف الذي أشار إليه ابن الأثير في الكامل في قضية فتح طبرستان وأن فتحها هل تم في سنة ١٨ هـ زمان عمر بن الخطاب؟ وقيل في سنة ٣٠ هـ زمان عثمان بن عفان، فإذا كان الأول فلا معنى للفتح الثاني.

وكذلك فإن الخبر يثبت أن الغزو لطبرستان كان من الكوفة، ومن المعلوم أن الإمام الحسين عليه السلام كان في المدينة في سنة ٣٠ للهجرة، وأنه لم يأت إلى الكوفة إلا مع أبيه عليهما السلام بعد الرجوع من حرب الجمل سنة ٣٦ هـ، وقبل ذلك لا يذكر أن الحسين جاء إلى الكوفة أصلاً.

١- لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت: أعلام الهداية ٤/٦٨.

ثانيا: أن العلاقة بين البيت العلوي الهاشمي وأتباع الإمام عليه السلام وبين الخليفة عثمان بن عفان في هذه السنة كانت سلبية للغاية بل صدامية، فإنه فيها شهد أهل الكوفة على الوليد بن عقبة أخي الخليفة عثمان من أمه أنه شرب الخمر ورفعوا أمره إلى الخليفة ولما لم يشأ الخليفة إقامة الحد عليه مع قيام الشهود عليه بذلك جلده أمير المؤمنين عليه السلام^(١) بنفسه أو بأحد أهل بيته، على كراهة من عثمان في ذلك^(٢).

وفي هذه السنة أيضاً تم نفي أبي ذر الغفاري إلى الريدة من قبل الخليفة عثمان، وخرج الإمام علي والحسنان وبعض شيعتهم لتشييع^(٣) أبي ذر على رغم المنع الرسمي.

١- البخاري في مناقب عثمان - رقم الحديث: (١١٦٧) وصحيح مسلم - الحدود - حد الخمر - رقم الحديث: (٣٢٢٠ ح).

٢- قال في مروج الذهب: إن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أول الليل إلى الصباح، فلما أذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح، فصلى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل: إنه قال في سجوده -وقد أطال-: اشرب واسقني. فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول: ما تزيد! لا زادك الله من الخير، والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا، وعلينا أميراً. وكان هذا القائل عتاب بن غيلان الثقفي...وأشاعوا بالكوفة فعله، وظهر فسقه ومدامته على شرب الخمر، فهجم عليه جماعة من المسجد، منهم: أبو زينب بن عوف الأزدي، وجندب بن زهير الأزدي، وغيرهما، فوجدوه سكران مضطجعا على سريره، لا يعقل، فأيقظوه من رقدته، فلم يستيقظ. ثم تقياً عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة؛ فأتوا عثمان بن عفان، فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر. فقال عثمان: وما يدريكما أنه شرب خمرًا؟ افقلا: هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية؛ وأخرجنا خاتمه، فدفعاه إليه، فزجرهما، ودفع في صدورهما، وقال: تنحيا عني. فخرجنا من عنده وأتينا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأخبراه بالقصة. فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود، وأبطلت الحدود! فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة أقمت عليه الحد! فلما حضر الوليد، دعاهما عثمان: فأقاما الشهادة عليه، ولم يدل بحجة، فألقى عثمان السوط إلى علي... فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه؛ توقيا لغضب عثمان؛ لقربته منه، أخذ علي السوط ودنا منه. فلما أقبل نحوه سبه الوليد، وقال: يا صاحب مكس.

٣- المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/٤١٣... وأمر عثمان ان يتجافاه الناس حتى يسير إلى الريدة، فلما طلع عن المدينة ومروان يسيره عنها طلع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه ابناه الحسن والحسين وعقيل اخوه وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر، فاعترض مروان فقال: يا علي إن

إن هذه الأجواء العالية الحدة من العلاقة بين الخلافة الرسمية وبين أمير المؤمنين عليه السلام لا تسمح بأن يرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسين وهو الذي يقول في مثل حرب الجمل (املكوا عني هذين الغلامين لا يهدّني فإني أنفس بهما أن ينقطع نسل رسول الله) وهي حرب صافية الغاية والوسيلة، تحت راية إمام معصوم، ومع ذلك يخاف أن يقتلا فينقطع نسل النبي، أترأه يسمح لهما بأن يذهبا تحت راية سعيد بن العاص وهو ممن نعتوا بأنهم (إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا..) وفي ظل تلك الظروف التي بدأ فيها الخليفة يتواجه صراحة مع الإمام عليه السلام!؟

وها هو الخليفة عثمان يشكو عبد الله بن عباس عند أبيه العباس بن عبد المطلب بأنه يمالي معارضيهِ^(١) بل يؤلب الناس عليه، فكيف والحال هذه يذهب في فتوحاته وتحت إمرة قواده؟! حيث أن الخبر ذكر أن من جملة من كان في فتح طبرستان هو عبد الله بن عباس.

ثالثا: أن بعض من هم في سلسلة سنده قد وصفوا بالكذب والوضع والاختلاق، كما مر في الهامش، وأيضا فإننا لا نجد هذا الخبر في أي مصدر قبله، مع أن هناك دوافع كثيرة لنقله لو كان، فإن من المهم عند أتباع مدرسة الخلفاء أن يظهروا حالة الانسجام والتوافق بين الإمام علي والخلفاء لبيان

أمير المؤمنين قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره ويشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك، فحمل عليه علي بن أبي طالب بالسوط وضرب بين أذني راحلته، وقال: تنح نحاك الله إلى النار، ومضى مع أبي ذر فشيعه ثم ودعه وانصرف، فلما أراد علي الانصراف بكى أبو ذر، وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدت ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، فشكا مروان إلى عثمان ما فعل به علي بن أبي طالب، فقال عثمان: يا معشر المسلمين من يعذرن من علي؟ ردّ رسولي عما وجهته له، وفعل كذا، والله لنعطينه حقه، فلما رجع علي استقبله الناس، فقالوا له: إن أمير المؤمنين عليك غضبان لتشيعك أبا ذر، فقال علي: غضب الخيل على اللجم.. (أي لا يهمني ذلك ولا يؤثر في).

١- البلاذري؛ أنساب الأشراف ٤٩٨/٥ قال: (إن عثمان شكاً علياً إلى العباس فقال له: يا خال إن علياً قد قطع رحمي وألب الناس ابنك والله لئن كنتم يا بني عبد المطلب أقررت هذا الأمر في أيدي بني تيم وعدي، فبنو عبد مناف أحق أن لا تنازعوهم فيه ولا تحسدوهم عليهم).

مشروعية خلافتهم، والاجماع الاسلامي عليها، وأفضل شاهد يمكن أن يجده هو مشاركة الحسنين في فتوحات الخلفاء، ومع ذلك لم يوجد هذا الخبر في مصدر غير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)، وكذلك لا نجده في أي كتاب من كتب السيرة والحديث التي تعرضت لحياة الإمامين الحسنين لا في كتب مدرسة الخلفاء ولا في مصادر الامامية، ومن المعلوم أن مصادر الامامية تتبع كل شاردة وواردة عن حياتهما، فكيف يكون حدث بهذه الأهمية ولا يذكر ولو بسطر واحد في أي كتاب حديثي أو كتاب سيرة وتاريخ؟!

وأغرب من ذلك ما ذكره عبد الرحمن بن خلدون - وليست غرائبه قليلة - من قوله أن عثمان بن عفان لما أراد فتح افريقية ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخاه من الرضاة على الجيش الذهاب في سنة ٢٥ هـ، «ثم إن عبد الله بن أبي سرح استأذن عثمان في ذلك واستمده فاستشار عثمان الصحابة فأشاروا به فجهز العساكر من المدينة وفيهم جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وابن جعفر والحسن والحسين وابن الزبير وساروا مع عبد الله بن أبي سرح...»^(١) وكان الحسن والحسين عليهما السلام لا هم لهما ولا عمل إلا أن ينتظرا أي قائد يعينه الخليفة عثمان ليغزو شرق الأرض أو غربها حتى يسارعا للانضواء تحت لوائه.

ولم يذكر ابن خلدون (توفي ٨٠٨ هـ) وهو صاحب المقدمة التي همهم ودمدم ونعى على المؤرخين في كتابة ما لا أصل له ولا شاهد عليه ولا عقل يقبله) لم يذكر مصدره في ذلك، حيث لا مصدر لقوله، بل إن من سبقه كابن الأثير الجزري صاحب الكامل في التاريخ (توفي ٦٣٠ هـ) نقل خبر تعيين عثمان لسعد بن أبي سرح من دون أن يذكر أنه اصطحب معه الحسنين، ولا المسعودي (توفي ٣٤٦ هـ) في مروج الذهب، ولا الطبري (توفي ٣١٠ هـ) في تاريخه ذكر ذلك، حيث اكتفى بالقول «ونذب عثمان الناس إلى إفريقية

١- ابن خلدون؛ تاريخ ابن خلدون ١/ ١٢٩.

فخرج إليها عشرة آلاف من قريش والأنصار والمهاجرين»^(١) بالرغم من أنه ذكر ما سبق عن طبرستان وقد رأيت الحال فيه! فإما أن يكون قد وهم ابن خلدون في الأمر فنقل ما قاله الطبري في غزو طبرستان وجعله في أفريقية، (مع أنه ذكره في الموضوعين) فهذا قلة تدقيق يحاسب عليه من كان مثله، وإما أن يكون قد تعمد إضافة ذلك من نفسه وهذا أشد وأنكى.

٦. الإمام الحسين في عهد أبيه أمير المؤمنين:

مع صيرورة الخلافة لأmir المؤمنين عليه السلام، شارك في حروب أبيه مشاركة فعالة، ذلك أنه الآن في سنة ٣٥ هـ يكون من أبناء (٣١) من العمر وهي فترة قوة الشباب، وعز الجلالة، فكانت أول مواقفه مع أبيه حرب الجمل بعدما نكث الناكثون بيعته وخرجوا عليه يريدون الغدرة في البصرة، فكان أن خرج مع أبيه من المدينة النبوية باتجاه البصرة ليقاتلوا الناكثين الذين تجمعوا فيها وعزلوا والي الإمام عثمان بن حنيف الأنصاري ومثلوا به بنتف لحيته.

فانبعث أمير المؤمنين عليه السلام وقد أعد للحرب عدتها، ليقمع نائرة الناكثين، وها هو قد وصل إلى البصرة يعرض عسكره في المعركة كما ذكر أحد الرواة وفيه إشارة لموضع الحسنين عليهما السلام: «.. ثم مر بنا موكب تاسع، فيه خلق عظيم، مكملين بالسلاح والحديد، مختلفي التيجان والرايات، تقدمهم راية كبيرة عظيمة، في أولهم فارس، كأنما قد كُسر وجُبر (تعبير عن الإطراق في الأرض والجسارة على القتال)، كأن على رؤوسهم الطير، فعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن شماله مثله، وبين يديه شاب ليس هو ببعيد منهما. فقلت: من هؤلاء؟ فقبل لي: أما الأوسط فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأما الشاب الذي على يمينه ابنه الحسن عليه السلام، والذي عن شماله ابنه الحسين عليه السلام، وأما الذي بين يديه حامل الراية فابنه محمد بن الحنفية، فساروا حتى نزلوا

١- الطبري؛ تاريخ الطبري ٣/ ٣١٤.

بالزاوية، فصلى أمير المؤمنين عليه السلام أربع ركعات، ثم عفر خديه على التراب وخالطهما بدموعه..»^(١).

وكان متقدماً في المعركة مبادراً إلى القتال حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام وقد رأى شدة اندفاعه وأخيه الحسن المجتبي عليهما السلام، كان يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ أَمَلِكُوا عَنِّي هَدَيْتِ الْعُلَامِينَ فَإِنِّي أَنْفُسُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ لِكَيْلَا يَنْقَطَعَ نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ».

وعندما قامت القاسطة الظالمة^(٢) من أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان واستعدت للقتال في صفين، واجتمع إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنصاره وكان أكثرهم قد نهضوا من الكوفة، فقام فيهم الحسين بن علي عليهما السلام خطيباً، « فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، جدوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفة ما ذاع منكم. ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع متحساة، فمن أخذ لها أهبته، واستعد لها عدتها، ولم يألم كلومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك قمن ألا ينفع قومه، وأن يهلك نفس، نسأل الله بعونه أن يدعمكم بألفته»^(٣).

ويشير المنقري إلى أن الحسين عليه السلام كان ملاصقاً لأبيه، يحمي جانبه، - وإن كان بأمر المؤمنين يحتمي الجيش -، فهذا أحدهم ينقل صورة عن مشهد من مشاهد صفين، فيقول «مر عليُّ يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها وإني لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلا

١- المدني، ضامن بن شدقم الحسيني، وقعة الجمل / ١٢٥.

٢- من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾».

٣- المنقري، ابن مزاحم: وقعة صفين: ١١٥.

يقيه بنفسه، فيكره على ذلك، فيتقدم عليه فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه، أو من ورائه. فبصر به أحمر - مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية - فقال: عليُّ ورب الكعبة! قتلي الله إن لم أقتلك أو تقتلني! فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى عليٍّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية وخالط عليًّا ليضربه بالسيف، فانتهزه علي فتقع يده في جيب درعه فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجله تحتلفان على عنق عليٍّ، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده، وشد ابنا علي عليه: الحسين ومحمد، فضرباه بأسيا فهما حتى برد، فكأني أنظر إلى علي قائما وشبلاه يضريان الرجل»^(١).

إن الحسين عليه السلام، وأخاه الحسن كأبيهم أمير المؤمنين تشهد لهم مقدم ساحات المعارك، وليسوا كسلطين الدنيا وحكام الولايات يدفعون الناس إلى الموت لتحقيق أحلامهم بينما يكونون هم وأبناؤهم مستريحين في دورهم منتظرين غنائم المعارك.

سيرة الإمام الحسين من سنة ٥٠ إلى ٦٠ هـ

في رسالة كتبها الإمام الحسين لمعاوية بن أبي سفيان: «وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني، ولأمة محمد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك».

ربما تكون هذه الرسالة وهي جواب عن رسالة أرسلها معاوية إليه يتهده فيها بأنه أن شق عليه عصا الطاعة سيفعل كذا وكذا، فأجابه الإمام عليه السلام برسالة قوية لم يستطع وهو الحاكم المتسلط أن يجيبه عليها بالرغم من اقتراح مستشاره عمرو بن العاص وابنه يزيد.

وتبدأ القضية بعد شهادة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بعد سنة ٥٠ هـ حيث آلت أمور الإمامة والزعامة الدينية للإمام الحسين عليه السلام بين شيعته بل بين أهل المدينة عامة، فإن غير الشيعة منهم وإن كانوا لا يعتقدون بإمامته - بالمعنى الشيعي الخاص - إلا أنهم يتعاملون معه باعتباره أكبر الشخصيات الدينية في المجتمع المدني، فلا أحد يدانيه في نسبه ولا في علمه ولا موقعه الاجتماعي.

كان مروان بن الحكم، الذي كان يلعب به معاوية فيعزله تارة وينصبه أخرى ويغري به^(١) الوالي الآخر ثالثة، ويغريه بالوالي السابق له رابعة - يسعى

١- الطبري ٤/٢١٨. حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد عن جويرية بن أسماء عن أشياخه أن معاوية كان يغري بين مروان وسعيد بن العاص فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة اهدم دار مروان فلم يهدمها فأعاد عليه الكتاب بهدمها فلم يفعل فعزله وولى مروان! وفي تفصيل القصة قال: أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموال مروان كلها فيجعلها صافية ويقبض فدك منه وكان وهبها له فراجع سعيد بن العاص في ذلك وقال قرابته قريبة فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مروان فأبى وأخذ سعيد بن العاص الكتابين فوضعهما عند جارية فلما عزل سعيد عن المدينة فولبها مروان كتب معاوية إلى مروان بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك فخبه أنه لو كان شيئاً غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيت فدعا سعيد بن العاص بالكتابين اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال مروان يأمره فيهما بقبض أمواله فذهب بهما إلى مروان فقال هو كان أوصل لنا منا له وكف عن قبض أموال سعيد. وكتب سعيد بن العاص

لتثبيت موقعه كوال دائم في المدينة، ولهذا الغرض لا بد أن يري نفسه كحافظ للسلطة الأموية وورقيب عتيد على أعدائها فكتب إلى معاوية: (أما بعد فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وذكر أنه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك، فبلغني أنه يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، فاكتب إليّ برأيك في هذا والسلام). فكتب إليه معاوية: (أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإياك أن تعرض للحسين في شيء واترك حسينا ما تركك، فإننا لا نريد أن نعرض له في شيء ما، وفي بيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا، فأكن عليه ما لم يبد لك صفحته والسلام).

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليه السلام: (أما بعد فقد انتهت إليّ أمور عنك، إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعدل الناس لذلك، وعظ نفسك وأذكر بعهد الله أوف، فإنك متى تنكرني أنكرك، ومتى تكذبي أكذك، فاتق شق عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وآله ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون).

فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام، كتب إليه: (أما بعد فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغت عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله. وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف الله في ترك ذلك، وما أظن الله

إلى معاوية العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا أن يضغن بعضنا على بعض فأمر المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأجنيبين وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الأولاد ذلك فوالله لو لم تكن بني أب واحد إلا بما جمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم واجتماع كلمتنا لكان حقا علينا أن نرعى ذلك والذي أدركنا به خير فكتب إليه يتنصل من ذلك وأنه عائد إلى أحسن ما يعهده.

راضياً بترك ذلك ولا عاذراً بدون إلا عذار فيه إليك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين، ألسنت القاتل حجر بن عدي أخوا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الإيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في نفسك؟ أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، واصفر لونه، بعد ما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل؟ ثم قتلته جرأة على ريك واستخفافاً بذلك العهد، أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (الوالد للفراش وللعاهر الحجر) فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمداً، وتبعته هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك؟ أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين عليّ صلوات الله عليه، فكتبت إليه: (أن أقتل كل من كان على دين علي) فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين. وقلت فيما قلت (انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة) وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني، ولأمة محمد صلى الله عليه وآله علينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني أستغفر الله لذنبي وأسأله توفيقه لإرشاد أمري. وقلت فيما قلت (إني إن أنكرتك تنكرني، وإن أكدك تكديني) فكدي ما

بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك فيّ، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك علي، إنك قد ركبت بجهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان، والعهود والمواثيق، فقتلهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا، فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس لأخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وتبرت دينك وغششت رعييتك وأخرجت أمانتك وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم، والسلام).

ويظهر أن تبادل هاتين الرسالتين كان في وقت مبكر بعد سنة ٥٠ هـ بحسب ما يظهر منها، فإن الوقائع التي ذكرت فيها بعضها في حدود سنة ٤٦ هـ (ادعاء زياد وتوليته الكوفة)، وبعضها في أول سنة ٥٠ هـ (شهادة عمرو بن الحق الخزاعي) وبعضها في حدود ٥١ هـ (شهادة حجر بن عدي الكندي)، ومع ذلك فإنها تعكس سياسة كلٍّ من الطرفين تجاه خصمه، فإن معاوية بالفعل لم يكن في صدد خوض معركة مفتوحة وعنيفة ضد الإمام الحسين عليه السلام، وإن كان يسعى لقتل كبار شيعة أمير المؤمنين والتضييق عليهم وفي نفس الوقت لم يكن يلزم نفسه بقانون أو وثيقة عهد، وكذلك يتحرك في تثبيت أسس الحكم الأموي.

وفي المقابل كان الإمام الحسين عليه السلام، مع التزامه بنفس خطة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام التي سار عليها خلال عشر سنوات (من سنة ٤٠ هـ إلى سنة ٥٠ هـ)، لا يرغب في مواجهة ساخنة أو تصعيد عسكري في

زمان معاوية، مع إعلانه انحرافه عن المنهج القويم، إلى الحد الذي يرى أن فتنة ولايته أعظم فتنة ابتليت بها الأمة، وأنه لو كان ينبغي أن يستغفر من ذنب لكان من عدم نهوضه في وجهه.

ويققر الباحثون أن الطريقة التي أدار بها الإمام الحسين عليه السلام قضايا المجتمع وشؤون الامامة في الفترة ما بين (٥٠هـ - ٦٠هـ) هي نفس الطريقة التي كان قد سار عليها الإمام الحسن المجتبي في الفترة ما بعد المهادنة مع معاوية، وذلك أننا نعتقد أن القائد الحكيم لو نظر إلى تلك الظروف وقدرها لم يكن ليتجاوز الخطوط التي سار عليها الإمام الحسن عليه السلام، والظروف هي نفسها استمرت إلى ما بعد شهادته، فاستمر الحسين عليه السلام في نفس تلك السياسة، ولو نظرنا إلى هذه الرسالة ولاحظنا طريقة الإمام الحسن سواء في محاوراته مع معاوية أو مخاطباته لوجدنا نفس الأسلوب حتى أنه ليكاد يمكن نسبة خطاب كل من الإمامين للآخر.

أن أئمة الهدى عليهم السلام بما نعتقده فيهم من التسديد الإلهي لأدوارهم،^(١) وبمقتضى الحكمة العالية التي كانوا يملكونها، كان كل منهم لو فرض وجوده في نفس ظروف الآخر لاتخذ الخطة والأسلوب الذي اتخدها الإمام الآخر.

فلو فرضنا جدلاً أن الإمام الصادق عليه السلام كان في زمان الإمام الحسن، لكان يتخذ نفس الطريقة التي مارس فيها الإمام الحسن دوره لماذا؟ لجهة إلهية تسديدية، ولتقتضى الحكمة. وهكذا لو انعكس الأمر بأن كان الإمام الحسن في زمان الإمام الصادق لقام بما تقتضيه الحكمة والتسديد الإلهي من دور مشابه للدور الذي قام به الإمام الصادق على أرض الواقع.

١- في الكافي ١/٣٢٧ باب فيه أن الأئمة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه.

وهذا ينفي ما زعمه البعض من أن الإمام الفلاني مثلاً كان مزاجه مزاج مهادنة ومسالمة، فاتخذ هذا الطريق، ومزاج الإمام الآخر كان مزاجاً حربياً وعسكرياً، فاتخذ طريق الثورة، ومزاج الإمام الثالث كان مزاج التعليم والتدريس فاتخذ طريق التدريس.

لم يكن الأمر هكذا مزاجياً أو خاضعاً للجهات الشخصية، وإنما نعتقد فيه جانبين: جانب إلهي من التسديد وجانب حكّمي تقتضيه أفضل أساليب إدارة الصراع في ذلك الوقت.

هذا مع أن تشكيل صورة نمطية أحادية البعد لهذا الإمام أو ذاك هو أمر غير صحيح، ولا يصدقه التاريخ فضلاً عن العقيدة، فإن التاريخ يشير إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام مع أن الصورة النمطية المتشكلة له عند الناس هو أنه البطل المغوار خواض الحروب قانع باب خيبر وقاتل عمرو بن عبد ود.. الخ. لكنه هو نفسه ذلك الذي وصفه صفي الدين الحلبي:

زَاهِدٌ حَاكِمٌ حَلِيمٌ شُجَاعٌ نَاسِكٌ فَاتِكٌ فَاقِرٌ جَوَادُ
شَيْمٌ مَا جُمِعَ فِي بَشَرِ قَطٍ وَلَا حَازَ مِثْلَهُنَّ الْعِبَادُ
خُلُقٌ يُجِجِلُ النَّسِيمَ مِنَ الْعَطِ فِي وَبَاسٍ يَذُوبُ مِنْهُ الْجَمَادُ

فهو الحاكم والزاهد، وهما قلّ أن يجتمعا، والشجاع الحليم وهما كذلك إذ لا تستدعي الشجاعة الحلم، والفاتك الناسك؛ كيف يكون ناسكاً بعيداً عن الدنيا مشغولاً بالعبادة وهو فاتك في نفس الوقت؟ وفقير لكنه جواد مع أن الفقر يستدعي الحفاظ على القرش، وصاحب البأس الذي يذوب منه الجماد بينما خلقه يججل النسيم من لطفه، إن المعروف عن رجل المعارك العسكري أنه لا يفهم غير لغة القوة والانتصار الحربي بينما علي في نفس الوقت الذي كان هكذا عندما يتحدث عن معارف التوحيد تعجز الكلمة منه أذهان العلماء الذين صرفوا عمرهم في التحقيق والتدقيق.

هذا يشير إلى أن التنميط في صورة المعصومين (بل ربما في غيرهم) ليس صحيحاً لأنه يفترض جانباً واحداً ويؤطر حياة المعصوم كلها به، ولو أخذنا مثلاً آخر هو الصورة النمطية عند الناس عن الإمام الحسين عليه السلام فإنهم يرون أنها صورة الثائر المضحى الذي لا يعرف غير لغة الشهادة والدم في إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وهذا (كأحد الجوانب) صحيح ولا غبار عليه، لكنه ليس كامل الصورة فإن هذه الصورة إنما شكلها مدة خمسة أشهر من الزمان ليس أكثر، وهي ما كانت تقتضي الظروف حينها، لكنه في موضع آخر تجده عالماً ربانياً ومتكلماً في العقائد من طراز أبيه أمير المؤمنين، وفقياً في مسائل الفقه وهكذا، وربما نتعرض إلى الجانب العلمي في حياة الإمام الحسين في موضع آخر لكننا نورد مثلاً سريعاً هنا وهو ما جرى بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أحد زعماء الخوارج وهو نافع بن الأزرق.^(١)

فقد ذكر ابن عساکر بسنده عن ابن عباس أنه بينما هو يحدث الناس، إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال له: يا بن عباس تفتي الناس في النملة والقملة! صف لي إلهك الذي تعبد؟ فأطرق ابن عباس إعظماً لقوله، وكان الحسين بن علي جالساً ناحية، فقال: إلي يا بن الأزرق، قال: لستُ إياك أسأل. قال ابن عباس: يا بن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين: يا نافع إن من وضع دينه على القياس،^(٢) لم يزل الدهر في الالتباس، سائلاً إذا كبا عن المنهاج ظاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، يا ابن الأزرق: أصف إلهي بما وصف به

١- نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري. مؤسس فرقة الأزارقة إحدى فرق الخوارج. قتل سنة ٦٥هـ، بعد أن شارك الخوارج عبد الله بن الزبير في حربه للأمويين انقسموا إلى فرق منها ما سمي فيما بعد بالأزارقة نسبة إليه، ومع أنهم حاربوا مع عبد الله بن الزبير أول أمرهم إلا أنهم ما لبثوا أن حاربوا أنصاره في جنوب إيران، واصطدموا مع الأمويين بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وقتل نافع هذا في إحدى معارك الأهواز.

٢- انتقاد منهج القياس وتخطئته كان منذ زمان أمير المؤمنين عليه السلام فإنه تنقل عنه كلمة تشبهها كلمة الإمام الحسين عليه السلام هنا. ولا يعود إلى زمان الإمام الصادق وأيام أبي حنيفة النعمان، ولعل الانتقاد لهذا المنهج باعتبار أن التيار القرشي كان يوظف هذا المنهج في العقائد وهو أسوأ من توظيفه في الفقه والفروع.

نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه؛ لا يدرك بالحواس،^(١) ولا يقاس بالناس،^(٢) قريبٌ غير ملتصق، وبعيدٌ غير منتقص، يوحد ولا يبعث، معروفٌ بالآيات، موصوفٌ بالعلامات لا إله إلا هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق وقال: يا حسين ما أحسن كلامك، قال له الحسين: بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليّ، قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام.

فقال له الحسين: إني سائلك عن مسألة، قال: سل، فسأله عن هذه الآية ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(٣) يا ابن الأزرق من حفظ في الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما، قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأ الله تعالى أنكم قوم خصمون.^(٤) وقد تصدر الموضوع العلمي والبناء العقدي الصحيح، قائمة اهتمامات الإمام الحسين عليه السلام، فهو بالإضافة إلى ما تقدم كان يرى المخطط الأموي يسير بشكل ممنهج في طمس خط الولاية العلوية لأمر المؤمنين عليه السلام، فانظر إلى المسار العجيب الذي انتهت إليه الأمة، فبينما هي تتسابق لتقول: بخ لك يا علي، أصبحت مولى كل مؤمنة ومؤمنة، فإذا بها تبعد علياً عليه السلام عن الحكم والإدارة وإذا به يرتئي بين (أن يصلو بيد جذاً - مقطوعة حيث لا ناصر - أو يصبر على طخية - شدة الظلمة - عمياء)، حتى

١- فيه رد على القائلين بإمكان رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، في تفسيرهم الظاهري لقوله تعالى إلى ربها ناظرة.

٢- فإن هؤلاء شبهوا ربهم بخلقه، فكما فسروا مثل آية ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ باليد (عضو البدن) وزعموا أنها يد متناسبة مع عظمة الله!! فانتهاوا إلى التجسيم، بل أكثر من هذا لقد شبهوه تشبيها كاملاً بخلقه فأحدهم قد كتب كتاباً في أن عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته وأوضح أن الضمير في الحديث في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل!! أقول: لقد تعرضنا لمنبع هذه الفكرة وأساسها في كتابنا: من قصة الديانات والرسول، فليراجع.

٣- سورة الكهف: آية ٨٢.

٤- (ابن عساکر؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤/١٨٤ وكذلك الشيخ الصدوق في التوحيد/ ٨٠).

إذا مضى واحد منهم بعد الآخرها هي تنتقض عليه من الأطراف (فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون) وجاء بعدهم رحب البلعوم ليقرر شتم الإمام سنة أموية ثابتة على كل منبر، ومنع الحديث^(١) عن فضائل علي عليه السلام حتى من أقرب أقبائه وأصحابه.

وقد يتصور أن المسألة هي مجرد عداً شخصي بين معاوية والامام علي، وليس كذلك فقط وإنما الجانب المهم منه هو منهج في مقابل منهج، منهج يرى أنه (تلاقفوها كما يتلاقف الصبيان الكرة، فما من جنة ولا نار)، وأنه (هذا ابن أبي كبشة ينادى به كل يوم خمس مرات لا والله إلا دفناً دفناً)،^(٢) وآخر يرى أنه (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فصول الخصام ولكن لنرد المعالم من دينك ويظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)^(٣).

١- ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة ٤٤/١١ «وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الاحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلغنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام».

٢- روى الزبير بن بكار في الموفقيات ٥٧٦/ ونقله كذلك المسعودي في مروج الذهب ٤٥٤/٣ ما يلي: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيت مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال يا بني، جئت من أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذلك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: انك قد بلغت سنناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؟ فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك، حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر. وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) فأني عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبأ لك؟ لا والله إلا دفناً!

٣- الوافي ١٧٩/١٥.

ولذلك فإننا نعتقد أن الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عندما كانوا يدافعون عن الإمام علي عليه السلام وينشرون فضائله ومناقبه لم يكونوا يعملون ضمن مشروع شخصي أو عائلي، فهذا هو منطق أعدائهم وإنما كانوا يتحركون ضمن مسار رسالي مبدئي، بل إننا نعتقد أن أصل فكرة أحاديث المناقب والفضائل التي كانت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، كانت ضمن هذا الإطار، فلم يكن النبي قادماً ليمدح هذا أو ذاك، أو يصنع فخراً لهذه الأسرة أو تلك، وإنما الغرض هو هداية ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(١). لهذا كان الإمام الحسين عليه السلام يأخذ على عاتقه أمر التبشير بالمنهج الحق، المتمثل في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولده، وكان لهذا الغرض يبشر بفضائل الإمام ومناقبه، وميزاته، وقد أورد الشيخ العطاردي في مسنده عن الإمام الحسين عليه السلام ٦٩ حديثاً مما روي عن الإمام الحسين عليه السلام في فضائل أبيه وميزاته، ولزوم اتباعه، وأيضاً في أهل البيت عليهم السلام ، منها ٢٠ حديثاً في شأن الإمام علي عليه السلام ، ونورد بعضها لنبين الدور الأهم الذي اضطلع به الإمام الحسين في هذه الفترة، فمن ذلك:

١. ما صنعه في منى أيام التشريق، ونلفت نظر القارئ العزيز إلى خصوصيات في هذه الرواية، لجهة الزمان وهو أيام التشريق حيث يجتمع الناس في منى من كل القبائل والبلدان، ينتظرون يوم الإفاضة في الثاني عشر من ذي الحجة، ويفترض أنهم ليسوا مشغولين بأعمال استثنائية عبادية أو

١- الجميل أن الآيات المباركات في قضية الأجر ومودة ذوي القربى تأخذ الواحدة منها بعنق الأخرى لتنتج نتيجة مهمة، فهو من جهة يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ الشورى: ٢٣ فهذا هو بمثابة الأجر، لكنه هل هو عائد لي أنا النبي أو هو عائد لكم؟ تحييناً آية أخرى على ذلك ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ سبأ: ٤٧ فما دام لكم نفعه ونتأججه، هل هو لكل الخلائق؟ كلا وإنما هناك فئة يمكن أن تتخذ المودة طريقاً للنجاة عندما تنسجم مع تلك القرابة وتقبل هديها وإرشادها إذ لا يتصور أن يعادي أحد شخصاً ثم يتبعه في حياته ومساره، وإنما لكي يتبعه فلا بد أن يواده ويحبه، فهم فئة أرادوا أن يتخذوا سبيلاً إلى الله وطريقاً له ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٥٧.

غيرها، والمكان هو منى، فإذا بالإمام الحسين عليه السلام يطلب من أهل بيته أن يجتمعوا وأن يدعوا الناس من مهاجرين وأنصار وأهل مكة والمدينة وغيرهما ليشهدوا ما سيقوله حتى بلغوا ما يقرب من (٩٠٠ شخص) وكلفهم بإبلاغ ما يقول إلى عشائرتهم وقبائلهم ومناطقهم، وكان ذلك في أواخر أيام معاوية. فلما كان قبل موت معاوية بسنة حجَّ الحسين بن علي صلوات الله عليه وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر معه فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن الأنصار ممن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم أرسل رسلاً لا تدعوا أحداً ممن حج العام من أصحاب رسول صلى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلا أجمعهم، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامتهم من التابعين ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الطَّاعِيَةَ قَدْ فَعَلَ بِنَا وَبِشِيَعَتِنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَعَلِمْتُمْ وَشَهِدْتُمْ، وَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنْ صَدَقْتُ فَصَدِّقُونِي، وَإِنْ كَذَبْتُ فَكَذِّبُونِي: أَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ وَحَقِّ قَرَابَتِي مِنْ نَبِيِّكُمْ، لَمَّا سَيَّرْتُمْ مَقَامِي هَذَا وَوَصَفْتُمْ مَقَالَاتِي، وَدَعَوْتُمْ أَجْمَعِينَ فِي أَنْصَارِكُمْ مِنْ قَبَائِلِكُمْ مَنْ أَمِنْتُمْ مِنَ النَّاسِ وَوَثِقْتُمْ بِهِ، فَادْعُوهُمْ إِلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَقِّنَا؛ فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ أَنْ يَدْرُسَ هَذَا الْأَمْرُ وَيَذْهَبَ الْحَقُّ وَيُغْلَبَ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. وَمَا تَرَكَ شَيْئاً مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا تَلَاهُ وَفَسَّرَهُ، وَلَا شَيْئاً مِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَبِيهِ وَأَخِيهِ وَآمِهِ وَفِي نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا رَوَاهُ. وَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ الصَّحَابَةُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ سَمِعْنَا وَشَهِدْنَا. وَيَقُولُ التَّابِعِيُّ: اللَّهُمَّ قَدْ حَدَّثَنِي بِهِ مَنْ أَصَدَّقُهُ وَأَتَمَّنُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ. فَقَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ إِلَّا حَدَّثْتُمْ بِهِ مَنْ تَثِقُونَ بِهِ وَبِدِينِهِ. قَالَ سُلَيْمٌ: فَكَانَ فِيمَا نَاشَدَهُمُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَكَرَهُمْ أَنْ قَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ

السلام كَانَ أَخَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ آخَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَآخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَقَالَ: أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اشْتَرَى مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ وَمَنَازِلِهِ فَابْتَنَاهُ، ثُمَّ ابْتَنَى فِيهِ عَشْرَةَ مَنَازِلَ؛ تِسْعَةً لَهُ، وَجَعَلَ عَاشِرَهَا فِي وَسْطِهَا لِأَبِي، ثُمَّ سَدَّ كُلَّ بَابٍ شَارِعٍ إِلَى الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِهِ، فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ تَكَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَا أَنَا سَدَدْتُ أَبْوَابَكُمْ وَفَتَحْتُ بَابَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِسَدِّ أَبْوَابِكُمْ وَفَتْحِ بَابِهِ»، ثُمَّ نَهَى النَّاسَ أَنْ يَنَامُوا فِي الْمَسْجِدِ غَيْرِهِ، وَكَانَ يُجَنَّبُ فِي الْمَسْجِدِ وَمَنْزِلُهُ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَوُلِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِ أَوْلَادٌ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَفْتَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَرَّصَ عَلَى كَوَّةٍ قَدَرَ عَيْنَهُ يَدْعُهَا مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ خَطَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَبْنِيَ مَسْجِدًا طَاهِرًا لَا يَسْكُنُهُ غَيْرُهُ وَغَيْرُ هَارُونَ وَابْنَيْهِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ مَسْجِدًا طَاهِرًا لَا يَسْكُنُهُ غَيْرِي وَغَيْرُ أَخِي وَابْنَيْهِ»؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصَبَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، فَنَادَى لَهُ بِالْوِلَايَةِ وَقَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَأَنْتَ وَبِي كُلُّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ دَعَا النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، لَمْ يَأْتِ إِلَّا بِهِ وَبِصَاحِبَتَيْهِ وَابْنَيْهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ دَفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: «لَا دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، كَرَّارٍ غَيْرِ فَرَّارٍ، يَفْتَحُهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَهُ بِبَرَاءَةَ، وَقَالَ: «لَا يُبَلِّغُ عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي»؟

قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ تَنْزِلْ بِهِ شِدَّةٌ قَطُّ إِلَّا قَدَّمَهُ لَهَا ثِقَةً بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُهُ بِاسْمِهِ قَطُّ إِلَّا أَنْ يَقُولَ: يَا أُخِي، وَادْعُوا لِي أُخِي؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَضَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَعْفَرِ وَزَيْدٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَأَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ بَعْدِي»؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَلْوَةٌ وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَةٌ؛ إِذَا سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَإِذَا سَكَتَ أَبْدَاهُ؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَضَّلَهُ عَلَى جَعْفَرِ وَحَمْرَةَ حِينَ قَالَ لِفاطمةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «زَوْجَتُكَ خَيْرُ أَهْلِ بَيْتِي؛ أَقَدَّمَهُمْ سِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا»؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ، وَأُخِي عَلِيُّ سَيِّدُ الْعَرَبِ، وَفاطمةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَابْنَايَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَهُ بِغُسْلِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ جَبْرَائِيلَ يُعِينُهُ عَلَيْهِ؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قال: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ؛ كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِي، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا»؟
قالوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

فَلَمْ يَدَعْ شَيْئاً أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصَّةً وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا نَاشِدَهُمْ فِيهِ، فَيَقُولُ الصَّحَابَةُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ سَمِعْنَا، وَيَقُولُ التَّابِعِيُّ: اللَّهُمَّ قَدْ حَدَّثَنِيهِ مَنْ أَثِقُ بِهِ، فُلَانٌ وَفُلَانٌ.

ثُمَّ نَاشِدَهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُجِبُّنِي وَيُبْغِضُ عَلِيًّا فَقَدْ كَذَبَ، لَيْسَ يُجِبُّنِي وَهُوَ يُبْغِضُ عَلِيًّا»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: «لِأَنَّهَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ»؟
فَقَالُوا: «اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَدْ سَمِعْنَا. وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ».^(١)

الإمام الحسين وتعريف الأمة بالأئمة

وتكثر الروايات عن الإمام الحسين عليه السلام في شأن المعصومين من بعد النبي، فقد روى الإمام الباقر عن أبيه عنه عليهم السلام قال: قال رسول صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام يا علي أنا وأنت وابناك الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين أركان الدين ودعائم الاسلام، من تبعنا نجا ومن تخلف عنا في النار^(٢).

وإذا كان البعض يريد أن يميع موقف الإمام وأهل بيته من الذين تأمروا عليه وتعاهدوا وتواثقوا على إبعاده، فإن الحسين عليه السلام يصرح بذلك لأحد الأسيديين كما نقلته ابنته فاطمة بنت الحسين، فعنها أنها قالت: جاء رجل من بني أسد إلى أبي عليه السلام، فقال ما بال القوم يأمرؤك (في المصدر هكذا ويحتمل أنها يأمرؤن) على أبيك ولم يؤمروه؟ فقال: إن القوم تعاهدوا وتواثقوا أن لا يولّوها أبي.^(٣)

١- عطاردي، عزيز الله: مسند الإمام الحسين عليه السلام ٩٨/٣ عن كتاب سليم بن قيس الكوفي.

٢- مسند الإمام الحسين عليه السلام ٩٩.

٣- مسند الإمام الحسين عليه السلام ١٠٦.

ولأجل الاطلاع على تفاصيل هذا الدور وهو توضيح الخط الصحيح في الأمة، والدلالة على القيادة العادلة المعصومة، يمكن مراجعة كتاب مسند الإمام الحسين عليه السلام، ففيه ما يبتغيه الطالب.

٢. فضح المخطط الأموي في تحريف الإسلام والقضاء على حقيقته، بالرغم من أن الإمام الحسين عليه السلام كأخيه الحسن التزم بالعهد الموقع بين الإمام الحسن ومعاوية فلم يغير فيه شيئاً ولم يحرك ساكناً مع أن وفوداً كثيرة جاءت من الكوفة والبصرة، واستنهضته للثورة على الحكم الأموي وكان بعضهم من خُصّ الشيعة، وعرضوا بين يديه مفاصد معاوية ولكن كانت اجابة الإمام واحدة المعنى وإن اختلفت ألفاظها؛ «فالصقوا بالأرض وأخفوا الشّخص واكتموا الهوى واحترسوا من الأظنّاء ما دام ابن هند حيّاً، فإن يحدث به حدث -وأنا حيّ- يأتكم رأيي إن شاء الله». ^(١) وأجاب على كتب آخرين بما ذكره مؤرخون من أنه: «لما مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر: إنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه، حتّى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك». ^(٢)

ويجدربنا أن نعرض باختصار للمخطط الأموي الذي رعاه معاوية بن أبي سفيان، في تغيير خط الخلافة ليكون أمويّاً وراثياً، بحيث يأتي من بعده يزيد ابنه، كخليفة للأمة فقد قام لذلك بالأمور التالية:

١. للتمهيد لمبايعة يزيد من بعده، قام بقتل من استطاع من المنافسين المحتملين ليزيد، بشكل هادئ وعلى طريقة التسميم الخفي، فبعد أن تعاون مع الأشعث بن قيس الكندي ليدس السم للإمام الحسن بن علي عن طريقه زوجته جعدة والتي تكون بنت الأشعث، مع وعد لها بأموال طائلة، وبزواجها

١- البلاذري، أنساب الأشراف ٣/ ١٥٢ وموسوعة الإمام الحسين للري شهري ١/ ٦١.

٢- المفيد، محمد بن النعمان: الارشاد ٢/ ٣٢٠.

من يزيد ابنه، فأغرى الأب والبنت بذلك ونفذت تلك الزوجة الخائنة ما أراد، فتخلص من الإمام الحسن الذي كان المنافس الأكبر لأنه قد تم التعاقد في وثيقة المهادنة على أن الحكم للحسن بن علي بعد معاوية.

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر من أشد المعارضين لبيعة يزيد، وقد تصدى لمروان بن الحكم^(١) والي المدينة من قبل معاوية عندما قرأ على الناس كتابا يطالبهم بالبيعة ليزيد، فلما فرغ من قراءته نهض عبد الرحمن بن أبي بكر وقال: « والله ما الأخيار أردتم لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل، ولما وصل معاوية خبر موقف عبد الرحمن أرسل إليه يحمل مائة ألف درهم، يريد أن يتألفه بها، فرفضها وقال لرسول معاوية: ارجع إليه وقل له: ان عبد الرحمن لا يبيع دينه بدنياه.

الطريف في الأمر أن المؤرخين يقولون إن عبد الرحمن بعدها خرج قاصداً مكة، فمات هكذا فجأة قبل الوصول إليها، تماما مثلما مات سعد بن أبي وقاص فجأة، ومثلما مات عبد الرحمن بن خالد الوليد فجأة، ومثلما مات قبلهم الإمام الحسن عليه السلام، ويغفل هؤلاء أويتغافلون عن أن سياسة معاوية كانت تقوم على أساس الاغتيال إن لم تنفع الاستمالة، ولقد نبّه المرحوم العلامة العسكري لهذا المعنى في كتابه أحاديث أم المؤمنين عائشة وهو يحلل موقفها من الدولة الأموية، حيث يقول: « وفي المستدرك رقد في مقيل قاله فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات فدخل نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حي، دبّ الخلاف بين أم المؤمنين وبنو أمية من جديد، ووقع الشر، وخسرت أم المؤمنين في هذه المعركة شقيقها

١- اللطيف أن مروان بن الحكم كان ظامعا في الخلافة فكان رأيته في بيعة يزيد قلقا لكنه يعلم أنه لو لم يقرأ الكتاب على الناس سيعزله معاوية فورا، فكان معاوية يريد أن يضرب عصفورين بحجر! فمن جهة لن يطمع مروان في منافسة يزيد ما دام قد طلب من الناس البيعة له، ومن جهة أخرى لو حصلت مواجهة فستكون في وجه مروان ليزيد.. وبالفعل هذ ما حصل. والعجيب أن معاوية بعد عدة سنوات من هذا عزل مروان عن ولاية المدينة وعين مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان!

عبد الرحمن، حيث مات ميتة مجهولة، بل ميتة معلومة حين مات في طريقه إلى مكة، كما مات الأشرقي طريقه إلى مصر، مات عبد الرحمن بن أبي بكر كما مات عبد الرحمن بن خالد، وسعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي، مات هؤلاء جميعاً ليفسحوا المجال لأخذ البيعة ليزيد»^(١).

ولم يكن سعد بن أبي وقاص أحسن حالاً منه، فإن سعداً وإن كان قد تخلف عن أمير المؤمنين علي عليه السلام إلا أنه لم يتداخل بالكامل مع السياسة الأموية، ويعرف له موقف سلبي من سبهم علياً بن أبي طالب عليه السلام، وكان عند الناس يعتبر من كبار الصحابة، فإذا كان هناك مفاضلة بينه وبين يزيد من الطبيعي أن يُفضل على يزيد بل على أبيه! فهذا شخص من جهة له اعتبار اجتماعي وديني بين الناس، وليس متواصلاً بالكامل مع السلطة الأموية، لذلك يمكن أن يشكل خطراً على بيعة يزيد، ولذلك يقول الأصفهاني في مقاتل الطالبين: «دس معاوية إليه - يعني للإمام الحسن - حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن أبي وقاص سماً فماتا منه في أيام متقاربة»^(٢).

وثالث القوم كان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فبالرغم من شدة إخلاصه لمعاوية حيث قاتل إلى جانبه في صفين، وتولى له حمص وكان شديد الوطأة على شيعة الإمام علي عليه السلام وله معهم مواقف في غاية السوء، فإنه كان مثلاً لما هو معروف (من أعان ظالماً سلطه الله عليه) هلمّ فلنستمع ما يقوله ابن عبد البر: «لما أراد معاوية البيعة ليزيد ابنه، خطب أهل الشام وقال لهم: يا أهل الشام، إنه قد كبرت سني وقرب أجلي، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم، وإنما أنا رجل منكم فأروا رأيكم، فأصفقوا واجتمعوا، وقالوا: رضينا بعبد الرحمن بن خالد، فشق ذلك على معاوية، وأسرها في نفسه، ثم

١- العسكري: السيد مرتضى؛ أحاديث أم المؤمنين عائشة: ١/ ٣٤٥.

٢- الأصفهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبين ٤٧.

أن عبد الرحمن مرض، فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً - وكان عنده مكيئاً - أن يأتيه فيسقيه سقية يقتله بها، فأناه فسقاه فانحرق بطنه، فمات»^(١).

٢. ومن تمهيد لبيعة يزيد تهيئة كبار ولاته، فإن بعضهم - وقد هزلت الخلافة إلى هذا المستوى - كان يطمع فيها ويتطلع لها، فأما المغيرة بن شعبه فقد اتخذها سلماً ليبقى والياً على الكوفة فلا يعزل بغيره، وأعطاه معاوية ما أراد بعدما أخبره المغيرة بأنه يكفيه أمر الدعوة لبيعة يزيد في الكوفة، ومروان سبق أن ذكرنا أن معاوية كلفه بالدعوة لبيعة ابنه وكان معاوية يرى نفسه في الربح على التقديرين فإن استجاب مروان لذلك ودعا لبيعة يزيد فلا معنى أن يتطلع للخلافة، وإن تقاعس عن هذه الدعوة كان ذلك مبرراً لعزله عن ولاية المدينة ثم لا يساوي فلساً! بين الناس، وبقي زياد بن أبيه (الذي صار ابن أبي سفيان وأخاً لمعاوية) غير أنه ما لبث أن مات في الكوفة فأغلق ملفه!

٣. وخلال تلك المدة حاول معاوية تلميع صورة يزيد بأمره إياه بأن يظهر بمظهر الصالحين وأن لا يتعالن بالفسق والفجور، فإنه كان معروفًا به حتى قيل إن زياداً بن أبيه بعدما أمره معاوية أن يأخذ بيعة أهل البصرة ليزيد، أنف من ذلك وأجابه: «ما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغات، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً أو حولين فعسينا أن نموه على الناس»^(٢).

فكان أن أمره بالذهاب إلى الحج في إحدى السنوات، وأن يذهب مع الجيش ليغزو (في الصيف)^(٣) وكان كلا الأمرين فضيحة جديدة له.

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٣٠/٢ وتاريخ الطبري ١٧١/٤.

٢- العسكري؛ معالم المدرستين ١٨/٣.

٣- الكامل في التاريخ، ج ٣، ابن الأثير، ص ٤٥٨ وفي سنة خمسين، سير معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتناقل واعتل، فأمسك عنه

ماذا عمل الإمام الحسين في مواجهة هذا المخطط؟

لإفشال أي مخطط يدبر في السر ومن وراء الكواليس ما عليك إلا أن تعلنه وتعلن أشخاصه وأعمالهم على الملأ، وعندها سيفشل بالكامل أو سيتعسر تنفيذه، وهذا ما نعتقد أن الإمام الحسين عليه السلام قد صنعه، فإنه بدأ أولاً برأس النظام الأموي فأرسل له رسالة كشف فيها جرائمه بحق الناس والدين، وبالطبع عندما تنتشر هذه الرسالة بين الناس ويعلمون عنها فإنها تحقق أغراضاً متعددة؛ منها أنها تكسر حاجز الخوف عن الكلام والتصريح، وهذا ما تخافه السلطات، فقد قال أحدهم (إن لسان هذا أشد عليّ من مئة ألف سيف) وفي نفس الوقت تكشف ما وراء الثياب الظاهرية من قبائح. إن الرسالة التي وجهها الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية هي بمثابة محاكمة له ولعهده؛ عدد فيها بعنوان.. أَلَسْتَ؟ أَلَسْتَ؟ ما قام به معاوية في عهده.

غير أن الضربة الأكبر كانت لمخططه في البيعة لابنه يزيد، وهي عندما جاء إلى المدينة لكي يخبر الناس عن عزمه في ذلك، وذلك عندما جاء معاوية إلى المدينة بنفسه، فطلب أهم شخصيات المدينة حينها وفي ظليعتهم الإمام الحسين عليه السلام وابن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، وبعد أن اجتمعوا أخذ يتحدث عن يزيد، وعن نفعه للأمة، وأنه نظر إلى هذه الأمة، وقد كبر سنه، فرأى أنه لا بد أن يولي عليها أحداً، فلا يصح أن تترك هذه الأمة بلا وال، وأنه وجد يزيد الرجل المناسب لذلك وأخذ بمدحه، قالوا: إن ابن عباس أراد أن يقوم، لكن الإمام الحسين أشار إليه بالجلوس، فجلس بينما قام الحسين عليه السلام يرد على معاوية. فقال: بعد أن حمد الله وصلى على الرسول صلى الله عليه وآله أما

أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونة من حمى ومن موم (بعوض كبان)
إذا تكأت على الأنماط مرتفقا بدير مزان عندي أم كلثوم!

بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل - وإن أطنب - في صفة الرسول صلى الله عليه وآله من جميع جزاء، قد فهمت ما ألبست به الخلف بعد الرسول صلى الله عليه وآله من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ البيعة، وهيئات هيات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجهضت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهاشمة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدم باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسمية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص. (١)

والإمام الحسين عليه السلام هنا بعد أن وجه الاتهام لمعاوية بأنه استأثر حتى أجهض بسائر الناس، ومنع حتى بخل، وجار حتى تجاوز، عطف الكلام على يزيد الذي جاء أبوه يسوقه بين من يعرفه ويعرف سيرته. فقال له: «كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوبًا أَوْ تَنْعَتُ غَائِبًا»، أي: كأنك تتحدث عن أحد ليس معروفاً عندنا، كلا الرجل معروف عندنا تماماً، وموقعه وخبراته وتوجهاته نعرفها، فينبغي أن تتركه مع ما هو خير فيه من التحريش بين الكلاب المتهاشمة، والسباق بين الحمام والطيور كما يفعل البطالون، والفتيات المغنيات وأدوات اللهو، فهذه الميادين تشهد بخبرته فيها، وأما الخلافة وسياسة الناس فهذا أمر غريب عنه وليس من قامشه ونسيجه!

١- الأميني؛ عبد الحسين: الغدير ١٠/١٧١.

ثم حذره بأن يومه قريب فلا ينبغي أن يجمع فوق سيئاته سيئات ابنه، وأوزاراً فوق أوزاره، إلا أن معاوية الذي أشرب قلبه حب ابنه، ورأى فيه الامتداد لوجوده لم يكن في وارد أن يسمع نصيحة من ناصح، وإنما حذر الحسين عليه السلام وباقى من حضر بأنه سيتحدث في المسجد عن هذا وسيقيم على رأس كل واحد منهم سيّافاً فإن تكلم منهم أحد بكلمة ضرب عنقه من دون انتظار أمر وقد أعذر من أندر.

معاوية يمضي لأمره تحت تهديد السيف

فأرسل إليهم، وأوعز إلى رئيس الحرس، فقال له: هؤلاء أربعة، اجعل على رأس كل واحد منهم اثنين من الحرس، بيدهم السيف، فلو قام واحد منهم ليتكلم بتصديق أو تكذيب، فليضربوا عنقه، من دون الرجوع إليك، ولا الرجوع إلي - أي لا يسألوا في ذلك الوقت أنضرب عنقه أم لا - فهذا أمر ناجز وجاهز، ولا بد أن يضرب عنقه مباشرة، وبالفعل كان ذلك، ولم يقم أحد من الجماعة، وبالتالي لو أن الحسين - في هذه الأثناء - قام لكان قد أهدر دم نفسه من دون فائدة تذكر، لكن التصدي من الإمام عليه السلام كان بهذا المستوى، وحاول أن يفسد خطة معاوية، وأن يبلغ هذا الأمر بين الناس، وهو بنفسه أيضاً لم يقبل هذه الولاية إلى أن مات معاوية في الخامس عشر من رجب سنة ٦٠ هجرية. لتبدأ المرحلة الثانية من المعارضة للمخطط الأموي، وبها ستبدأ مسيرة النهضة الحسينية ضد حكم يزيد.

مع الإمام الحسين من المدينة إلى مكة

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۗ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

تمثل الإمام الحسين عليه السلام ، بهذه الآية المباركة عندما كان في طريق الخروج من المدينة، مستدعياً في ذلك حدثاً كان قد جرى على نبي الله موسى، على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.

نحن نعلم أن التمثل بقولٍ يقتضي شيئاً من المشابهة بين الموقفين، وإلا كان خلاف الحكمة. مثلاً فلو كان يقرأ أثناء خروجه، آية من آيات عذاب النار، لكان محل غرابة، إذ ما هي المشابهة والمشاكلة بين هذه الحركة وبين آية العذاب أو النار.

وما يظهر لنا هو أن هناك تشابهاً في أصل هذه الرحلة، وفي كيفيتها، وفي أطرافها، ففي الأطراف هناك طرف ظالم جائر، وطرف مؤمن، رسالي، موحد. في زمان موسى، كان فرعون يمثل السلطة الظالمة الجاحدة، وموسى يمثل القيادة الإلهية. في زمان الإمام الحسين عليه السلام ، كان الإمام يمثل القيادة الإلهية الربانية، ويزيد ابن معاوية القيادة الظالمة والرئاسة الجائرة، هذا بخصوص التشابه في أطراف القضية.

في أصل الحركة، لم تكن نزهة أو لغرض تجاري أو مادي، وإنما كانت ضمن حركة تحرير هذا الشعب، والنهوض في وجه الظالم بأمر الله عز وجل. وهذا الأمر في زمان موسى كان حاصلاً. فلم يكن قد خرج للتنزه، وإنما خرج ضمن مسيرة تحرير بني إسرائيل، ودعوته إلى الله. وهنا كرر الحسين نفس الدور، فلم يكن خارجاً في نزهة من المدينة، وإنما قال: «إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ». تثبت، الآية المباركة أيضاً كيفية مشتركة، وهي: الخوف والترقب ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾، فإنه يفترض أن تكون هاتان الحالتان موجودتين في الموضعين.

١- سورة القصص: آية ٢١.

وهنا يثار سؤال: هل كان الحسين خائفاً؟ وكيف يتفق هذا مع ما نعرفه من شجاعة الحسين وقوة قلبه؟ وهكذا الحال بالنسبة إلى نبي الله موسى؟ إحدى الإجابات على هذا السؤال هي: إن الخوف أحد الغرائز الموجودة في النفس البشرية الطبيعية. فأية نفس بشرية، سواء كانت لنبي أو وصي أو إنسان عادي، تحتوي على مجموعة غرائز، من فرح، وغضب، وحزن، وخوف، ورجاء، وهكذا. ووجود هذه الغرائز وما يتبعها من الصفات حالة طبيعية، وليست مذمومة، والمذموم منها: هو ترتيب الأثر الخاطئ على هذه الغرائز. ففي غريزة الفرح، عندما يخرج الإنسان إلى حالة البطر، فيفقد السيطرة على نفسه آنئذ يتحقق فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(١). ومثل ذلك في الحزن فإنه شعور غريزي طبيعي في الإنسان، وليس مذموماً. ويصبح مذموماً عندما يتحول إلى جزع، فيخالف التوكل على الله، ويعارض الرضا بقضاء الله، عندئذ يخاطب حامله بـ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) فيُنهي عن الحزن هنا. والخوف كذلك، غريزة طبيعية داخل الإنسان. إذ ليس جماداً ولا إسمنتاً، بل هو كائن عاقل له مشاعر، ولا يمكن أن يوصف شعور الخوف بكونه مذموماً، نعم عندما يؤثر على الإنسان، فيمنعه أن يقوم بواجبه، كأن يُدعى إلى الجهاد، فيقول: أنا خائف، يُدعى إلى كلمة الحق، فيمنعه الخوف من ذلك، وهكذا تراه يترك الواجبات لتخوفه من النتائج المترتبة عليها، هنا يصبح الخوف مذموماً. وإلا فقد كان لدى أنبياء الله والأوصياء من الحزن الكثير كالنبي يعقوب، لكن كان موقفه فيه ما نقله القرآن الكريم بقوله ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٣) ومثله ما نقل عن الإمام زين العابدين، من كونه أحد البكائين الذين حزنوا على أبيه الحسين عليه السلام فهو لم يخرج عن الايمان بقضاء الله وإنما كان يقربه إليه.

١- سورة القصص: آية ٧٦.

٢- سورة التوبة: آية ٤٠.

٣- سورة يوسف: آية ٨٦.

فأحد الأجوبة أن الحزن والخوف بذاتهما لا محذور فيهما أن يكونا في النبي والوصي وإنما المحذور هو تحول ذلك الشعور إلى مانع عن الجهاد أو عائق عن أداء الواجب، وهذا ما لم يحصل لا من النبي موسى عليه السلام ولا من الإمام الحسين عليه السلام .

وهناك جواب آخر: وهو أن جهة هذا الخوف جهة رسالية، فالقرآن يقول عن النبي موسى أنه ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا﴾،^(١) لكن ما هي جهة خوفه؟ وعلى أي شيء كان خائفاً؟ تفسره آية أخرى: هي ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾.^(٢) وهناك فرق بين: فأوجس على نفسه خيفة، وبين ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾، هذا الخوف على ماذا كان؟ على أموال يخسرها، أو على أولاده وعائلته؟ أو هو على عمره وحياته؟ كلا وإنما كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كان خائفاً على رسالة الله، وعلى غلبة أهل الضلالة والانحراف الناس على أثر ذلك، وهذا الخوف الرسالي ممدوح للغاية، من لا يخاف بهذا المعنى على دين الناس وعقيدتهم، ومن لا يتأثر لأجل طغيان خط الانحراف هو المذموم في موقفه.

إن من يحزن ويتأذى لأجل حصول الانحراف عند الناس وتراجع الإيمان هو الذي يستحق الثناء والمدح، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الجهة في حق النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله ، في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٣). وقد شرح أمير المؤمنين عليه السلام وفصله في الخطبة رقم ٤ من نهج البلاغة، فقال: «لَمْ يُوجَسْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ وَإِنَّمَا خَافَ مِنْ دَوْلِ الضَّلَالِ، وَمِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ» أي خاف أن تصبح السيطرة للجهلة، للحمقى، للمتخلفين. خاف أن يصبح الانتصار من نصيب أهل الضلال.

١- سورة القصص: آية ٢١.

٢- سورة طه: آية ٦٧.

٣- سورة الكهف: آية ٦.

والإمام الحسين عليه السلام ، كان لديه هذا التخوف على الإسلام أن يضمحل ويزول، فها هو يقول: «وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذَا بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلَ يَزِيدٍ»^(١).

إن هذا ليضيء لنا الطريق أمام الحديث عن بواعث نهضة الحسين عليه السلام .

فإن من بواعث خروج الإمام الحسين عليه السلام ؛ التخوف من انهيار صورة الإسلام والنموذج الإسلامي عند المسلمين جميعاً، كيف؟

جاء نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وقدم صورة للناس عن الدين والإسلام ناصعة شديدة البياض، فلما وصلنا إلى ما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، اعترى هذه الصورة تشويش، اختلف باختلاف مراحل الزمنية شدة وضعفًا. ولما وصلنا إلى زمان معاوية، عبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك المرحلة، بأنه: «لَيْسَ فِيهَا إِلَّا لِبَسِ الْفُرُوقِ مَقْلُوبًا»^(٢)، وفي هذا التشبيه جهات ملفتة للنظر، فإن الفروة عندما تلبس بشكل مقلوب، تصبح قبيحة المنظر لكون وجهها باطنها وبالعكس، وأيضا فإنها تصبح غير ذات أداء وكفاءة؛ إذ أن المفروض من الفروة أن تحمي من البرد. فإذا عكستها، لا تعطيك النتيجة الكاملة.

يعني كان الإسلام مهدداً بأن يصبح في ذلك الزمان، لا جاذبية فيه للناظر، ولا فاعلية فيه لمن يمارسه.

ولكي نعرف أهمية نهضة الحسين عليه السلام في الحفاظ على نموذج الإسلام وصورته، أشير إلى قضية وهي أنه بالرغم من نهضة الحسين وشهادته المأساوية وسبي نسائه في البلدان، ومع كل الجرائم التي قام بها يزيد بن معاوية، لا نزال نجد بعض مشايخ المسلمين، يقولون

١- الخوارزمي؛ الموفق: مقتل الحسين ١/٢٦٨.

٢- نهج البلاغة خطبة ١٠٨.

في هذه الأزمنة: أن بيعة يزيد بيعة شرعية، وأنه أحد أئمة المسلمين، هذا مع تلك الثورة العارمة والنهضة المباركة، فكيف لو لم تحصل؟ لا ريب أن هؤلاء سيعتبرونه في منزلة رسول الله وأن الأمة كلها لن تعرف نموذجا آخر غير الذي عمل على تصويره بنو أمية.

ورحم الله السيد جعفر الحلبي، حيث يقول في قصيدته المعروفة:

وقد تحكم بالإسلام طاغية	يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا
لئن جرت لفظة التوحيد من فمه	فسيفه بسوى الإسلام ما فتكا
لم أدر أين رجال المسلمين مضوا	وكيف صاريزيد فيهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره	ومن خساسة طبع يعصر الودكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفا	إلا إذا دمه في كربلا سفكا

فأول دافع حرَّك الحسين عليه السلام هو أن يوقف الانهيار الذي بدأ يتسارع في جسم الإسلام زمان معاوية، وكاد يصل إلى مداه ويدفن أيام يزيد، فإذا كان زمان معاوية، كان الإسلام موجوداً ولكنه ملبوس بشكل مقلوب، فإنه في زمان يزيد كان سينتهي إلى أن تقرأ عليه الفاتحة بعد الدفن كما قال الحسين: (وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة بوال مثل يزيد).

الباعث الثاني: المسؤولية الاجتماعية التي يفرضها الدين على أتباعه، نحن نعلم أن الدين الإسلامي فيه واجبات، بعضها ذات منحنى فردي عبادي. كالصلاة والصوم مثلا، وهناك واجبات ذات منحنى اجتماعي، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب اجتماعي. والجهد عبادة اجتماعية وهكذا. وكما طلب من الإنسان المسلم أن يؤمن بالصلاة والصيام والحج، وهي من الواجبات ذات المنحنى الفردي، وأن يطبقها، فإن المطلوب منه أيضا، أن يؤمن بالواجبات ذات المنحنى الاجتماعي، وإلا أصبح مصداقاً للآية:

﴿فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(١).

١- سورة البقرة: آية ٨٥.

ومن يفهم الدين أكثر يعتقد بهذه الرؤية المتكاملة، لذلك رأى الإمام الحسين عليه السلام نفسه أحق من أنكر على الباطل، وأولى المسلمين بالتغيير، عندما استشهد بما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَجِلًّا لِحَرَامِ اللَّهِ مُحَرَّمًا لِحَلَالِ اللَّهِ عَامِلًا فِي عِبَادِهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا بِقَوْلٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، أَلَا وَإِنِّي أَحَقُّ مِنْ غَيْرٍ»^(١).

الخطوة الأولى التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام، في إطار رفض ولاية يزيد واستلامه الخلافة بعد أبيه، أن يخرج من المدينة. وكان هذا هو القرار الأصوب والأسلم بحسب منطق الواقع آنذ، والسبب هو ما أشار إليه بعض الباحثين من أن المدينة المنورة - مع قداستها الدينية - كانت من الناحية الاستراتيجية مقبرة الثورات - فما من ثورة قامت في المدينة المنورة، إلا وخدمت في مكانها؛ ثورة عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة، حدثت بعد نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وقضى عليها قضاء مبرماً، ولم يكن حال حركة أنصار بن الزبير فيها أحسن حالاً، وهكذا كان في زمان العباسيين ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط - النفس الزكية - فإنها لم تلبث أن أخدمت وصفت تصفية كاملة، وبعدها حركة - شهيد فخ - الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، ويرجع الباحثون الأمر إلى أن المدينة من الناحية الجغرافية ليس لها امتدادات، كما أنها لا تملك عمقاً بشرياً بتداخلها مع مجتمعات أخرى أو بلدات متلاصقة، وعدد سكانها ليس كبيراً. إن كل هذه الظروف لا تجعلها مؤهلة من الناحية الاستراتيجية لكي تقاوم السلطة المركزية التي بإمكانها أن تحاصرها بسهولة وأن تقتحمها بقوة عسكرية كبيرة، وهذا ما حصل مع الثورات المختلفة التي قامت فيها.

نعتقد أن هذا هو أحد الدوافع التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام

١- ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ ٤/ ٤٨. والبحراني؛ الشيخ عبد الله؛ العوالم / الامام الحسين ٢٣٢.

يغادر المدينة، فإن وجوده فيها مع عدم مبايعته يزيد والذي أكد على واليه بشكل خاص أن يأخذ البيعة منه^(١) ومن عدة أشخاص معينين، تحت طائلة القتل عند المخالفة والرفض.

وقد انقسمت آراء أهل المدينة أمام هذا القرار، وما تقدمه من رفض البيعة كما هو المتوقع إلى ثلاثة آراء، فقد كان من الطبيعي أن يعارض الأمويون ومن في ركبهم قرار الحسين وأن (ينصحوه) تارة بالبيعة، و(يهددوه) أخرى بأن حياته ستكون في خطر إذا أعلن المعارضة للحكم الأموي، وأن بقاءه أنفع للإسلام والمسلمين، فلا ينبغي أن يتحرك بالاتجاه المخالف، وهذا الموقف سنراه في كل مراحل النهضة الحسينية، وهو يعبر عن موقف في الحياة ينتهي إلى أن على الإنسان أن ينظر إلى مصلحته الشخصية، فيميل معها أينما كانت، وغالبا ما كانت السلطات الظالمة تقوم على هذه الفئة وأصحاب هذا الموقف، وقد يكون هؤلاء من (عبيد الدنيا) الذين هم (دينهم دنانيرهم وقبلتهم نساؤهم) فلا يرون في هذه الحياة الدنيا غير اللهو واللعب وجمع الأموال، ولا يرجون آخرة. وقد يكونون من (المتدينين) لكنهم يحرصون دينهم في الأعمال الفردية والعبادات الشخصية ولا يعرفون الدين خارج إطار المسجد، وإذا ما تعارض (دينهم) مع ما يعملون ويأملون يزيحون الدين ويتخذون لهم المعاذير ويتبعون من يسكت نداء الضمير في نفوسهم. وقد يكون بعض هؤلاء يرفعون لواء (خوف الفتنة)^(٢) فهم يتبعون الظالم ويشيدون بنيانه خوفا من الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣).

١- الطبري: تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٠: كتب يزيد للوليد بن عتبة.. «وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام».

٢- قد رفع معاوية في وجه الإمام الحسين عليه السلام سيف الفتنة وأن لا يبغى الحسين بزعمه الفتنة في الأمة فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بصرامة (إني لا أعلم فتنة أضرت على الأمة من ولايتك عليها!) والعجيب أن بعض من عاصر نهضة الحسين كان يخشى الفتنة! وكأن ولاية يزيد عليها هي تحقيق للأمان والاستقرار والبصيرة!

٣- سورة التوبة: آية ٤٩.

وهناك فئة ثانية تصوب موقف الإمام الحسين عليه السلام في رفضه البيعة ليزيد، وإعلانه المقاومة للمشروع الأموي لكنهم بين مشفق عليه وخائف على حياته، وبين مناصر له ومستعد للدفاع عنه والكون معه، وهذه الفئة هي النواة التي خرج بها الحسين من المدينة إلى مكة، وظلت تنصره إلى الأخير. وفئة ثالثة: لم تكن ترى أن الأمر يعينها، فهي لاهية بأموح حياتها، ولا ترى الأمر مرتبطاً بها، فلا هي معارضة للحكم الأموي ولا مؤيدة وليست هي في صف الإمام الحسين ولا معارضة له، وهذه هي الفئة الأكبر عادة في المجتمعات. ونعرض هنا إلى مواقف أشخاص متعددين يتوزعون على هذه الفئات؛ فهذا مروان بن الحكم - الطامع الدائم في ولاية المدينة والذي لعب به معاوية طيلة عشرين سنة يرقصه على هذا الحبل، فمرة ينصبه وأخرى يعزله وهكذا حتى لقد فات المؤرخين أن يحصوا عدد المرات التي عزل فيها عن ولايتها كما فاتهم عدد مرات تنصيبه - جاء إلى الحسين عليه السلام، وقال له: إني أرشدك لبيعة يزيد، فإنها خير لك في دينك ودنياك!^(١).

وكان جواب الإمام الحسين عليه السلام وموقفه هو الذي أعرب عنه فيما سبق لمعاوية حيث قال له: «لَعَلَّكَ تَصِفُ غَائِبًا أَوْ تَنْعَتُ مُحْجُوبًا!» فدعه وما اختاره لنفسه من اللعب بالقرود، والحمام السابق لأترابهن، ودع عنك ما تحاول هنا قال لمروان: وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم قال: يا مروان أترشدني إلى بيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق.

١- يبضون؛ لبيب: موسوعة كربلاء ٤١٣ عن (مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١ ص ١٨٤): لقيه مروان فقال له: يا أبا عبد الله إني لك ناصح فأطعني ترشد وتسدد. فقال: وما ذاك؟ قل أسمع. فقال: إني أرشدك لبيعة يزيد، فإنها خير لك في دينك وفي دنياك. فاسترجع الحسين عليه السلام وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد. ثم قال: يا مروان أترشدني إلى بيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق!. لقد قلت شططا من القول وزللا، ولا ألومك فإنك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد. إليك عني يا عدو الله، إنا أهل بيت رسول الله، الحق فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه.»

وإذا كان الأمر طبيعياً في موقف مروان بن الحكم بن العاص، فإنه سيكون مفاجئاً في حق عمر الأطرف^(١) بن علي بن أبي طالب، ابن الصهباء التغلبية، أخو الإمام الحسين عليه السلام، وأصغر منه ربما بـ ١٥ سنة أو أكثر قبل خروجه، فنصح الحسين في زعمه بأن يبايع يزيد؛ قائلاً: حدّثني أبو محمّد الحسن عن أبيه أمير المؤمنين، أنّك مقتول، فلو بايعت لكان خيراً لك، فأجابه الإمام الحسين: «حدّثني أبي أنّ رسول الله أخبره بقتله وقتلي، وإنّ

١- عمر الأطرف بن علي بن أبي طالب (توفي ٨٥ هـ) أمه تغلبية وهي الصهباء أم حبيب بنت عباد، قيل إنه ولد في زمن عمر بن الخطاب، فطلب عمر من علي عليه السلام أن يهب له تسميته قال: فهب لي اسمه، لا نعلم عن شبابه كيف كان ولكن لا يظهر من النتائج التي صار إليها أنه كان في (اجواء الحسين عليهما السلام)، فإننا نلاحظ أول موقف له فيما يرتبط بنهضة أخيه الحسين عليه السلام، ذكر فيه أنه دعاه لبيعة يزيد لأنه في غير هذه الحالة سيكون مقتولاً! فقد نقل أنه قال للحسين إن الحسن بن علي أخبره: أنّك مقتول، فلو بايعت لكان خيراً لك. قال الحسين: «حدّثني أبي أنّ رسول الله أخبره بقتله وقتلي، وإنّ تربته تكون بالقرب من تربتي، أتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟، وإنّي لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباهاً شاكية ممّا لقيت ذريّتها من أمّته، ولا يدخل الجنة من أذاها في ذريّتها..» وإذا تمت هذه الرواية ففيها تكبير واضح عليه، بأنه ممن أذى فاطمة! بل لقد نقل أنه لما جاء خبر مقتل الحسين عليه السلام لم يظهر التأثير المطلوب بل رأى نفسه -لحمقه- (الفتى الحازم) حيث لم يخرج معهم إلى كربلاء وإلا لكان مقتولاً!! ولا تكتفي كتب التاريخ بهذا المقدار من المواقف السيئة عنه بل تنقل أنه كان ينازع أبناء فاطمة عليها السلام ولاية صدقات أمير المؤمنين مع أن المعلوم أن ولاية الصدقات خاصة بأبناء فاطمة دون سائر أبناء أمير المؤمنين، وهذا كان معلوماً حتى عند الأمويين! لكن هذا (العمر) جاء ينازع الامام السجاد عليه السلام تارة والحسن المثنى أخرى في ولاية الصدقات، وهما محقان في ولايتهما وهو مبطل! فقد روي أنه خاصم علي بن الحسين إلى عبد الملك في صدقات النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أنا ابن المصدق وهذا ابن ابن، فأنا أولى بها منه! فتمثل عبد الملك بقول أبي الحقيق: إنا إذا مالّت دواعي الهوبأُنصتَ السامعُ للقائلواصطرع الناس بألباهمنقضي بحكمٍ عادلي فاصليلاً نجعل الباطل حقاً ولأنلُظّ دون الحق بالباطل نخاف أن تُسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخاملِقم يا علي بن الحسين فقد وليتكها. بل كان يستعين بالحجاج الثقفي على أبناء اخوته للحصول على ولاية تلك الصدقات والوقفيات. وبالرغم من محاولة بعضهم الاعتذار له باصطناع أن هناك شخصين بل الزعم أنه كان حاضراً كربلاء!! وأن الأخبار غير الحسنه راجعة لذلك.. أو تكذيب بعض الأخبار إلا أن الصحيح هو ما ذهب إليه المحقق التستري في قاموس الرجال، حيث قال جازماً: بعدم حضوره الطف قطعاً، وما نقل عن كتاب أبي مخنف فالكتاب مجعول وموضوع، ونفى احتمال وجود شخص آخر بهذا الاسم من ولد علي عليه السلام وبالتالي فإنه بهذه المقدمات ينتهي إلى سوء حاله. (للتفصيل يراجع سرالسلسلة العلوية، وعمدة الطالب، واللّهوف، وشرح الأخبار وغيرها)



تربيته (الإمام علي) تكون بالقرب من تربتي، أنظن أنك علمت ما لم أعلمه؟، وإني لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، وتلقين فاطمة أباهاً شاكية ممّا لقيت ذريّتها من أمّته، ولا يدخل الجنة من آذاها في ذريّتها». والحقيقة إن مواقف عمر الأطراف في بداياتها ونهاياتها محيرة بل سيئة.

ومن المواقف المتعاطفة لكنها لا ترقى إلى فهم أقصى ما كان يستهدفه الإمام الحسين عليه السلام، موقف أخيه محمد بن الحنفية فإنه بعدما سمع بعزم أخيه الحسين على الخروج من المدينة جاءه قائلاً: يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزهم علي ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك إني أخاف أن تدخل مصرًا من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنّة فإذا خير هذه الأمة كلها نفسًا وأبًا وأمًّا أضيعها دمًا وأذلها أهلاً، قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي فإنك أصوب ما يكون رأيًا وأحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالاً ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون رأيك سديدًا موفقًا.

وذكر ابن أعثم في كتابه الفتوح أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال له: «وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم في المدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخف عليّ شيئاً من أمورهم». وقد يذكر هذا في ضمن الأسباب التي جعلت محمداً بن الحنفية يبقى في المدينة.

الفئة الثالثة، فهي سائر الناس، وهؤلاء كانوا لا يرون أنفسهم معنيين بحركة الإمام الحسين عليه السلام إن البعض يسأل أين أصحاب رسول الله؟ أين التابعون؟ لماذا لا نجد فلاناً وفلاناً في حركة الإمام الحسين عليه السلام؟

ويمكن أن يذكر سببان؛ الأول: أنه لم يكن فهم الإمامة الالهية وأبعادها في ذلك الزمان متبلوراً بالنحو الموجود الآن، وهذا أمر عام في بحث العقائد فإن فهم العقائد في الأزمنة الأولى ليس بالنضج الموجود في هذا الزمان. فلو أخذنا مثال صفات الله سبحانه أو عصمة النبي أو النص على الأئمة فإن حجم الجهد العلمي الذي صرف على هذه الأمور خلال هذه السنوات جعلها أكثر وضوحاً مما هي عليه في الأزمنة الأولى، كذلك الحال في مثل إمامة الحسين عليه السلام .

والسبب الآخر: أن الإمام الحسين عليه السلام لم يدع الناس إلى الخروج معه من المدينة، ولا توجد إشارات واضحة إلى أن الإمام خطب في المدنيين وأخبرهم عن خروجه أو أنه دعا الناس إلى الحركة معه، ومرافقته في مسيره، نعم حصل هذا في مكة، فهناك أكثر من إشارة وتصريح وخطاب عام وخاص، دعا فيه الإمام الناس إلى أن يتابعوه في مسيرته، وإلى أنه يدعوهم إلى قبول كلامه بل وإلى أنه خارج بمن معه على يزيد وحكومته .

وقد أشرنا في موضع آخر إلى أن عدم خروج الصحابة^(١) مع الحسين عليه السلام لا يضر حركته ولا يسلبها المشروعية كما يحاول بعض كتاب الاتجاه

١- يشير أتباع الاتجاه الأموي من طرف خفي وصريح بأن الصحابة أشاروا عليه بعدم الخروج ولكنه لم يطعهم!! كما يظهر من مقالة للكاتب غالب السرجاني في موقعه؛ حيث عرض لما قاله فلان وفلان من الصحابة معترضين على حركة الحسين وناصحين له، لخصتها كلماته ” وقد نظر بعض الصحابة إلى العمل الذي سيقدم عليه الحسين بأنه في حقيقته خروج على الإمام صاحب البيعة! (ونسأله متى كان صاحب بيعة؟)، كما نظرنا إلى خروج الحسين وما يحملة خروجه على أنه نذر شر وبلاء على الأمة مهما كانت النتائج لأي من الطرفين منهم. <http://iswy.co/e14757>



الأموي ذلك، وإنما هو نقطة ضعف بل وصمة عار في جباههم إذ وصلهم خبر حركة الحسين فتوقفوا عن مؤازرته وتحلفوا عن مسيرته.

وكما سبق أن قلنا حيث أن المدينة المنورة من الناحية الجغرافية والاستراتيجية لم تكن المكان الأفضل لإعلان الإمام عليه السلام ثورته ومعارضته للحكم الأموي فكان الرأي الأنسب هو الخروج منها، وبحسب الحسابات فإن أقرب مكان سيكون فيه اجتماع الناس من كل مكان هو مكة المكرمة، لا سيما وهو الآن في نهاية شهر رجب، وعمّا قليل يتوجه الناس من مختلف الأماكن إلى مكة المكرمة للحج بالإضافة إلى موقعها (كبلد حرام) والذي يفترض أن يوفر نسبة من الأمان الشخصي فيها، على الأقل في أذهان الناس. كما أن وجود الحجيج واجتماعهم في مكة يوفر لصاحب النهضة المجال واسعاً للدعوة إلى ما يعتقد، ويتيح له فرصة التواصل معهم ومن ورائهم إلى مجتمعاتهم لمبايعته، ولتوه منذ عدة سنوات كان الإمام عليه السلام قد اجتمع بالحجاج وعرفهم مناقب وفضائل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وموقع أهل البيت في الإمامة.

ولم يكن الإمام يريد فقط أن يعلن عن مقالته، حتى لو لم تؤثر أو أن يقتل ويذهب دمه الشريف هدرًا، وسوف يأتي في صفحات قادمة حديث عن دوافع الإمام في نهضته، ولكن بشكل عام لأن الإمام حكيم فهو يخطط لأن تؤتي نهضته ثمارها وتأنجها.

كيف تتابعت الأحداث

بعد أن بلغ ٧٨ سنة واحتطب على ظهره ما احتطب، مات معاوية بن أبي سفيان، في الخامس عشر من شهر رجب سنة ٦٠ للهجرة النبوية، في عاصمة ملكه دمشق الشام، موصياً بالحكم والبيعة لابنه يزيد بن معاوية الذي كان في ذلك الوقت في حوالي الرابعة والثلاثين من عمره.

أرسل يزيد بن معاوية إلى ولاة أبيه الذين أبقاهم على مناصبهم، رسالة يأمرهم فيها بأخذ البيعة له من عامة الناس في مناطقهم، وكانت المدينة المنورة تحت إمرة^(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ولموقعها الديني والتاريخي ووجود الشخصيات الإسلامية المهمة فيها من الصحابة وأبنائهم كان لا بد أن يضمن يزيد قبولها بخلافته، فأرسل رسالة إلى والي والده والذي أقره على منصبه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان^(٢) أن يأخذ البيعة له من الناس عامة، ومن عدة أشخاص^(٣) بشكل خاص لما يمثلون من موقع وجاهة اجتماعية ودينية، ولأنهم لو بايعوا فلن يتخلف عن بيعته من يعتد به.

١- مر على المدينة المنورة في العهد الأموي من الولاة التالية أسماؤهم: مروان بن الحكم سنة ٤٢ وبقي فيها إلى سنة ٤٩ حيث عزله عنها وولى سعيد بن العاص الأموي وبقي هذا فيها إلى سنة ٥٤ هو أمره في هذه الأثناء بهدم دار مروان، فلم يفعل سعيد كما قيل، وعزله بعدها ليولي مروان مرة أخرى ويأمره بهدم دار الوالي السابق سعيد بن العاص، فلما جاء الفعلة ليهدموها استمهلهم وأخبر مروان أن معاوية سبق أن أرسل له بهدم دار مروان عندما كان سعيد واليا فلم يفعل وأخرج له كتاب معاوية بذلك فترك مروان هدم دار سعيد! وبقي مروان فيها إلى سنة ٥٧ هـ حيث عزله معاوية وولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عليها، وبقي هذا فيها إلى حوالي رمضان سنة ٦٠ هـ حيث عزله يزيد وولى عليها عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدرق) وجمع له بذلك مكة والمدينة.

٢- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (ابن أخ معاوية) تولى المدينة من قبل عمه معاوية في فترات متعددة، وكان ينافسه في ذلك مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد الأشدرق، وأخرف فترة عندما مات فيها معاوية وأرسل له يزيد بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام وباقي النفر، ويظهر بشكل عام أنه لم يكن على حد إجرام باقي الأمويين بل لم يكن يشأ الاصطدام بالإمام الحسين عليه السلام لأن من يأتي بدم الحسين يأتي خفيف الميزان يوم القيامة كما نقل عنه! مات في التصفيات التي حصلت مع اختلال نظام الدولة الأموية بعدما هلك يزيد، واغتيل معاوية ابنه، وكان الوليد بن عتبة في الشام كأحد (المرشحين) للخلافة فتم اغتياله والتخلص منه.

٣- تاريخ الطبري ٤/٢٥٠: ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وإنه ولي عهد بعده والفراغ من أمرهم فكتب إلى الوليد بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فإن معاوية كان عبدا من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكّن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محمودًا ومات برأ تقياً!! والسلام وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة أما بعد فخذ حسينا وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذًا شديدًا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما أتاه نعي معاوية فضع به وكبر عليه فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارها فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فجلس عنه وصرمه فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة

فبناء على تلك الرسالة كان المهم عنده أولئك الثلاثة، الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وفي الحقيقية فإن المقصود بشكل واضح هو الإمام الحسين،^(١) وذلك أن عبد الله بن عمر لن يتأخر عن مبايعة يزيد كما صدقت الحوادث، وأما ابن الزبير فلن يصنع شيئاً ما دام الحسين عليه السلام في الواجهة فإن الناس لن يلتفتوا إليه وابن رسول الله موجود، ولذلك فإن الوليد قد اكتفى بطلب الإمام الحسين عليه السلام في القصر، ويظهر من شخصيته أنه كان مسالماً ولم يكن من رأيه المواجهة مع الحسين إما لما صرح به من أن من يلقي الله بدم الحسين فإنه سيكون خفيف الميزان يوم القيامة، ولهذا ولغيره فلماذا يطحن نفسه في خلافة رأسها يزيد وهو من هو.

وكانت رسالة يزيد تتناغم تماماً مع عقلية مروان واسلوبه، فهو (مسعر الحرب) الدائم منذ أيام عثمان بن عفان والقتل عنده لا يعني شيئاً مهماً، فلما جاءت رسالة يزيد على أن يأخذ الوليد البيعة من أولئك الثلاثة فإن أبوا فليضرب أعناقهم، كانت تلك هي النعمة التي يرقص عليها مروان، بالإضافة إلى أنه كان في صراع ومناكفة مع الوليد بن عتبة والي المدينة فإن معاوية قد عزل مروان به وكان مروان يسعى دائماً لإحراج الوليد وتخريب ولايته حتى يعود من جديد للإمرة والولاية، ولهذا أراد أن يوقع الوليد في المواجهة وهو

فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد في الأمر وقال كيف ترى أن نصنع قال فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم.

١- فمن العجيب بعد هذا ما ذكره ابن نما الحلبي في مثير الأحران طبع مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ٢٤/١: من أن الوليد أمر بإحضار الحسين وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن مطيع وعبد الله بن عمرو عبد الرحمن بن أبي بكر! وأن ابن الزبير يادهم بالكلام.. إلى آخر ما ذكر فإنه لا يستند إلى نقل صحيح! أما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه مات قبل معاوية مسموماً بواسطته كما تقدم ذكره في صفحات. وأما عبد الله بن مطيع فلم يكن من هذه الطبقة ولا ينظر إليه ولا يعتبر ممن تطلب بيعته لا بشكل خاص ولا عام! وأما عبد الله بن عمر فهم يعلمون أنه يرفع الراية البيضاء بالمبايعة والمسألة قبل أن يدعى! فلم يبق إلا ابن الزبير وهو كما سيأتي ظل يراوخ الوليد ورسله ثم انسل إلى مكة مع أخيه جعفر وبعض أهله.

يعلم أن الوليد بن عتبة لا يريد لها فإذا علم يزيد بذلك وعلم بموقف مروان الشديد تجاه الإمام الحسين فقد يعيد إليه ولاية المدينة.

وهذا يفسر لنا ما جرى من حوار في قصر الوليد بن عتبة ومحاولته إنهاء الحوار بشكل ودي وتأجيل الأمر إلى يوم آخر، وفي ظنه أن الحسين قد يخرج من المدينة وتنتهي القضية، لكن مروان لم يكن يريد أن تفلت هذه الفرصة من يده، فهو يعرف طبع الوليد ويعرف طلب يزيد وحاول أن يجعل الصدام بين ذلك الطبع وبين هذا الطلب وهو سيكون الفائز.

قال الطبري: «فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حدث إليهما -إلى الحسين عليه السلام وابن الزبير- يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها. فقال: أجيبا الأمير يدعوكما، فقالا له: انصرف الآن نأتيه ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير: للحسين تظن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال حسين: قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك^(١) فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفسو في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياي الساعة ثم أمشي إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلت عليه.

قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت.

قال الحسين: لا آتية الا وأنا على الامتناع قادر، فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتموا عليّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.

١- مثل هذا الموقف والكلام يجعلنا نشكك فيما سيأتي من أن الإمام ترحم على معاوية وما شابه. وقد ورد في رواية الصدوق أن الإمام عليه السلام استرجع ولم يذكر أنه ترحم على معاوية.

فدخل فسلم عليه بالإمرة ومروان جالس عنده فقال حسين - كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: - لصلة خير من القطيعة أصلح الله ذات بينكما^(١) فلم يجيباه في هذا بشيء وجاء حتى جلس. فأقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظم لك الاجر أمّا ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتري بها مني سراً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال (الوليد): أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً، فقال له الوليد: وكان يجب العافية فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو كذبت والله وأثمت.

ثم خرج فمر بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً سبحانه الله أقتل حسيناً إن قال لا أبايع والله إني لأظن امرأً يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة». ^(٢) ونلاحظ هنا ذكاء الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من موضع فإنه عرف شخصية الوليد وتكلم معه بما يناسب تلك الشخصية، فالوليد لم يكن من هواة التصعيد والمواجهة العنيفة لذلك أشار له الحسين عليه السلام أنه لا يناسب أن يعطي بيعته سراً وإنما سيكون لها الأثر لو كانت في العلن وأنه ينتظر حين تكون الدعوة عامة للناس فيكون واحدا منهم.

١- إشارة من الإمام عليه السلام إلى ما بين مروان والوليد من القطيعة والمناكفة وأن مروان كان يسعى باستمرار لتوريث الوليد حتى يعزل ويأتي مكانه تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٢

٢- تاريخ الطبري ٤/ ٢٥٢.

وكان هذا المقدار يتوافق مع شخصية الوليد، وأراد الحسين بهذا إنهاء اللقاء الخاص، وأتخذ لن تكون حاجة لدخول إخوته وبنيه وبني هاشم للحماية. لكن مروان الذي كما قلنا كانت عينه على الولاية ولا يزال يعيش حالة الصراع مع الوليد كان يريد أن يحتدم الصدام بينهما، وأي أمر بعد ذلك كان فهو في مصلحته الشخصية؛ فإن قتل الوليد الحسين وتوترت الأوضاع فهذا سيرفع أسهمه في تولي المدينة باعتبار أنه لم يحسن التعامل مع الحسين، وإن تركه ولم يفعل شيئاً معه سينسبه إلى التقصير وعدم الحزم في تنفيذ أمر يزيد، وهنا لم يكن بد للحسين أن يواجه مروان بالحزم والقوة التي رأيناها وتحديه أن ينفذ تهديده.

تبعاً لما كان عليه الوالي من الشخصية، لم يتابع الوليد بن عتبة^(١) أمر الحسين عليه السلام، الذي عزم في اليوم التالي على الخروج من المدينة، وكما ذكرنا في صفحات مضت فإن أفضل مكان أمامه بحسب التحليل الظاهري هو مكة المكرمة لقرب موسم الحج، حيث يأتي الناس من كل مكان، فيكون المجال خصباً لإخبارهم بأهداف نهضته ودعوتهم إليها، بالإضافة إلى أن وجوده فيها حيث أيام الشهر الحرام وفي البلد الحرام يوفر مقدارا أكبر من الأمان كما هو المعروف عند المسلمين وفي أذهانهم.

وبينما تهرب عبد الله بن الزبير من مقابلة الوليد بن عتبة والي المدينة، بالرغم من كثرة إرساله الرسل إليه ليأتيه، إلا أنه تهرب ليلته ويومه، وأرسل أخاه جعفر بن الزبير للوالي، قائلاً: إنكم أربتموه بكثرة الرسل، وإنه سيأتيك

١- ولذلك نعتقد أن ما جاء في أمالي الصدوق/٢١٦ من أن (عُتْبَةَ) دَعَا الْكَاتِبَ وَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ لَيْسَ يَرَى لَكَ خِلَافَةً وَلَا بَيْعَةً، وأن يزيد رد عليه جواباً بأن يجعل جواب الكتاب وليكن مَعَ الْجَوَابِ رَأْسُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ... لا يمكن قبوله كما أشار إليه الري شهري في كتابه الصحيح من مقتل الحسين، حيث لا تتسع المدة لتبادل الرسائل هذه ذاهبة إلى الشام وآتية! على أن الوليد بن عتبة (والذي ذكر في نص الأمالي بعنوان عتبة) لم يكن راغباً في التصعيد وكان يسعى للخروج من هذا المأزق بأي طريقة! فلا يتناسب هذا مع رسالته التصعيدية المفترضة!

بينما كان عبد الله يتهيأ للخروج سراً إلى مكة في جوف الليل مع أخيه جعفر وبعض أهله، وهكذا كان فقد خرج ليلاً وتنكب الطريق الرئيسي (الأعظم) ولذلك لم يستطع شرطة الوالي الذين كان في طلبه أن يجذوه في اليوم التالي. أما الحسين عليه السلام فإنه بعدما عزم على الخروج، ودع أم المؤمنين أم سلمة^(١)، كما ودع بني هاشم وأعلن فيهم أنه خارج إلى مكة، وكان الجميع يعرف أن خروجه من المدينة هو رفض لبيعة يزيد وأنه حتى لو أدى ذلك إلى قتله فلن يبائع.^(٢)

وبعد أن ودع من يعز عليه في المدينة، وعطف إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث تنقل المصادر الشيعية أنه قد غفا على قبر النبي فرآه في المنام.. وخرج الإمام الحسين عليه السلام «ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته إلا محمد بن الحنفية»^(٣) وقد ذكرنا في موضع آخر جواباً عن الأسباب التي أدت إلى ألا يخرج مع الحسين الجمع الغفير من الصحابة وأبنائهم من المدينة. خرج الحسين عليه السلام مساءً، وأخذ الطريق الرئيسي.^(٤) وخروجهم

١- لمعرفة أدوار أم سلمة عليها السلام وشخصيتها ودفاعها عن خط الولاية راجع كتابنا (أعلام من الأسرة النبوية).

٢- بل كان يعلن عن ذلك كما يشير إليه أبو سعد المقبري فيما نقله الطبري، في تاريخه ٢٥٣/٤ قال نظرت إلى الحسين داخلًا مسجد المدينة وإنه ليمشي وهو معتمد على رجلين يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة وهو يتمثل بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى من المهابة ضيما والمنايا يرصدني أن أحيدا

قال فقلت في نفسي والله ما تمثل بهذين البيتين إلا لشيء يريد قال فما مكث إلا يومين حتى بلغني أنه سار إلى مكة. أقول: نحن نعتقد أن هذه الزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وآله، لم تكن قبل يومين من خروجه وإنما كانت في النهار وفي ليلتها خرج الحسين في الطريق إلى مكة.

٣- ذكر الشيخ الصدوق في الأمالي/٢١٦ أنهم كانوا أحد وعشرين رجلاً من أصحابه وأهل بيته، وسمى منهم ولديه العليين، وإخوته الأربعة من أم البنين وعبد الله بن مسلم بن عقيل.

٤- سيأتي في ذكر الحديث عن سفر ركب السبايا من كربلاء إلى الشام وعودتهن إلى كربلاء، أن ما ذكره المحقق الكراسي في الموسوعة الحسينية من أن الشائع في تلك الفترات هو السفر بالإبل وهذه تقطع في ٨ ساعات وهي معظم اليوم، ما يصل إلى حوالي (١٦٢ كيلومتراً) بمعدل عشرين كيلومتراً في الساعة،

مساء وهو الذي يسمى في العربية بالسرى في مقابل السير وهو السفر نهارا، كان هو المعتاد لا سيما في أيام الصيف والحر، حتى لا تتعب الإبل بالسير الطويل تحت حرارة الشمس والجو، بينما يكون السرى هو الأفضل من هذه الناحية. ولأنه خرج على الطريق الأعظم فهذا يضيف قرينة أخرى على ما فسرنا كلمة ﴿خَائِفًا﴾ من تمثله بالآية المباركة ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١). فإن من يكون خائفا على نفسه لا يسلك الطريق الأعظم الذي من السهل أن يتتبع فيه، بل لم يكن يخلو من أعوان الخلافة القائمة.

وبهذا استطاع التوفيق بين ما عليه المشهور من وصول الأسارى إلى دمشق في ٢ صفر/٦١ هـ وبين معرفة الطريق الذي تم سلوكه ويبلغ حوالي ٢١٠٠ كيلومترا. واستغرقوا في ذلك قرابة ١٣ يوما. وبنفس الطريقة كذلك تم الاجابة على سؤال أنهم كيف وصلوا إلى كربلاء في الرجوع إليها خلال ٩ أيام، حيث سلكوا طريقا آخر غير الطريق الذي سلك في الذهاب، ويبلغ حوالي ١٢٠٠ كيلومترا تقريبا. وهنا كذلك فإنه وإن كانت المسافة بين مكة والمدينة بحسب هذا الطريق والذي قد يسمى طريق الأنبياء، تبلغ حوالي ٢٢٥ ميلا = ٤١٠ كيلومترات. إلا أنهم لم يقطعوها مشيا على الأقدام (وإن كان الإمام الحسين عليه السلام قد قطعه فيما سبق ماشيا في طريق الحج) فإنه هنا ومعه أهل بيته قطعوه بركوب الابل.. وبحسب الحساب الدقيق فإنه يمكن قطع هذا الطريق بملاحظة قسمة مسافته على مقدار سير الناقة، يفترض أن أقل من ثلاثة أيام تكفي لذلك لكن نظرا لحاجة الإمام ومن معه للإحرام حيث خروجهم من المدينة فإن هذا بطبيعة الحال سيستغرق وقتا، يضاف إلى وقت المسافة الطبيعي، فما ذهب إليه في دائرة المعارف الحسينية وغيره من أنه استغرق أربع ليال وخمسة أيام قد يكون لهذه الجهة.

١- القصص: ٢١.

أجواء خروج الإمام الحسين من مكة

من خطبة لسيدنا ومولانا أبي الأحرار سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، قالها عند خروجه من مكة: «خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخَيْرِي مَصْرَعُ أَنَا لَأَقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جُوفًا، وَأَجْرِيَةً سُغْبًا لَامَحِيصَ عَن يَوْمِ خُطِّ بِالْقَلَمِ، رِضًا لِلَّهِ رِضَانًا أَهْلِ الْبَيْتِ، نَصِيرٌ عَلَى بَلَائِهِ، فَيُوفِينَا أَجُورَ الصَّابِرِينَ»^(١).
في إضاءة سريعة على كلمات الخطبة، التي قالها الإمام الحسين، في يوم الاثنين، السابع من شهر ذي الحجة، في مكة المكرمة؛ لكي ينطلق في فجر يوم الثامن^(٢) -يوم التروية من ذي الحجة - خارجا منها باتجاه العراق.

«خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ»، التشبيه هنا في عدة جهات: أن الموت بالنسبة إلى الإنسان أمر طبيعي وملازم له، بل هو الأمر الطبيعي فيه. تماما مثلما أن القلادة تتقلدها الفتاة على جيدها ورقبتها، بل هو كمال وجمال لها. كذلك، فإن الموت بالنسبة للإنسان، إذا كان موت شرف وعز وكرامة، فإنه بالإضافة إلى كونه شيئا طبيعيا، هو زينة وهو جمال للإنسان.

«وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ»، تشوق ورغبة في أن يلحق بأسلافه: أبيه وجدته وأعمامه الصالحين، الذين مضوا على الحق، والتحقوا -إلى دار الآخرة- بربهم. فكان تشوق الإمام الحسين عليه السلام كتشوق يعقوب إلى لقاء ابنه يوسف، أن يصير إلى ما صار إليه أولئك الأسلاف الطيبون.

١- الحسيني؛ السيد ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف ٨٠.

٢- ذهب بعض أعلامنا السابقين كالسيد ابن طاووس، ومن المعاصرين الشيخ الكرباسي في دائرة المعارف إلى أن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة كان يوم الثالث من ذي الحجة!

ثم يقول: «وَخَيْرٌ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَأَقِيهِ»، اختير واتَّخِبَ لي، هذا بناء على قراءة: خَيْرٌ لِي. إشارة إلى اختيارتم من قبل الله عزوجل، فبني للمجهول، «خَيْرٌ لِي»، يعني: هناك جهة اختارت لي هذا المصير، تلك الجهة هي الله سبحانه وتعالى. لكن قرأها بعضهم: وَخَيْرٌ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَأَقِيهِ، يعني أن المصراع الذي سأواجهه هو الخير والحسن..

«كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ»، عسلان: جمع عاسل وأعسل، وهو الذئب، ذئب الفلوات والصحاري، المفترس، الجائع، فهو يمزق الفريسة. وكأنَّ صفات هؤلاء الذين سيواجهونني صفات ذئبية. «كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ»، النواويس، قالوا: مقابر النصارى. هذه المنطقة، نينوى، حيث أنها منطقة مربها الأنبياء^(١).

هذه المنطقة، يقول: «بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جُوفًا، وَأَجْرِبَةً سُغْبًا»، هذه البطون الجائعة للحرام، كتلك البطون الجائعة للحم الفريسة في الذئاب، نفس المشابهة، ونفس المشاكلة، «لَا مَحِيصَ عَن يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَا لِهْلِ الْبَيْتِ».

«رِضَا لِهْلِ الْبَيْتِ»، لها معنيان، تحملهما كلمة واحدة. تارة بمعنى: أن ما يُرضي الله، يرضينا، وتارة بمعنى: ما يرضينا هو ما يرضي الله. وبعبارة أخرى، قد يقال: رضانا يدور مدار رضا الله سبحانه وتعالى، وربما يقصد معنى أعلى من هذا بأن يقال: أن رضا الله هو في رضانا، واتباع منهج الله يمر عبر منهجنا، فمن أراد طريق الله فليأت.

١- يونس بن متى، كما ورد في حوار سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، في رحلته إلى الطائف. إذ التقى بعدَّاس، أو عدَّاس، وقدم ذلك النصراني له شيئاً من العنب بعدما أؤذي النبي صلى الله عليه وآله ورمي من قبل السفهاء بالأحجار، فسأله: من أين أنت؟ قال: أنا من نينوى، فقال: ذاك بلد أخي يونس بن متى، هو نبي، وأنا نبي من الأنبياء.

هل كان الحسين محرماً للحج فأحل؟

تشير بعض القصائد التي تؤرخ حركة الإمام الحسين عليه السلام (فصيحة وشعبية) ^(١) إلى أنه كان محرماً فأحل، وقد ثبت هذا في أذهان سامعي القصائد هذا المعنى بحيث لو أخبرتهم بخلاف ذلك لنظروا لك مستغربين ومنكرين، وذلك لما للشعر بقسميه من قدرة على التأثير ولأجل تكرارها فإنها تثبت نصاً ومعنى.

والحق أن الإمام الحسين عليه السلام دخل بعمرة مفردة من المدينة إلى مكة في أول انطلاخته، يوم ٢٧ رجب / ٦٠ هـ، وكان ذلك طبيعياً إذ أنه سيقصد مكة ويمر على ميقات ذي الحليفة أو مسجد الشجرة، والحكم الشرعي يقضي بأنه لا يجوز أن يدخل قاصد مكة إياها إلا بإحرام ^(٢) لعمرة مفردة، فلا يجوز له أن يتجاوز الميقات الذي يمر عليه من غير إحرام.

وحيث أن دخوله لم يكن في أشهر الحج فلا خيار له إلا الإحرام بعمرة مفردة ففعل ذلك، ولذا لا يصح ما قيل من أنه أضاف إلى عمرته تلك طواف النساء حتى يتحلل، فإنه لم يحرم بها، مع أنه لو أحرم بعمرة التمتع ولم يكملها فحينئذ يكون حكمه حكم المصدود وهو لا يتحلل بما ذكر من طواف النساء، وإنما يتحلل بذبح شاة، وهذا كله ما لم ينقل أن الحسين عليه السلام قد فعله.

ويؤكد ما ذكرنا ما جاء في كتاب مستمسك العروة الوثقى ^(٣) للإمام الحكيم رحمه الله فإنه بعد أن أشار إلى أن ما ذكر في بعض المقاتل من أنه حول

١- مثل ما يقرأه الخطباء للسيد الأعرجي: قد حل من إحرامه خوف العدا.. ونحا العراق فديته من محرم. ويتردد على الألسنة أيضاً أن الحسين خوطب بأن يحل من إحرامه ويجعلها عمرة مفردة! وكأن الخطاب من جبرئيل.

٢- السيستاني؛ مناسك الحج / ٨٥: كما لا يجوز تقديم الإحرام على الميقات لا يجوز تأخير عنه، فلا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة أو دخول الحرم أو مكة أن يتجاوز الميقات اختياراً إلا محرماً «ومثله باقي الفقهاء.

٣- الحكيم؛ الطباطبائي: مستمسك العروة الوثقى ١١/ ١٩٢ «وأما ما في بعض كتب المقاتل: من أنه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، مما يظهر منه أنها كانت عمرة تمتع وعدل بها إلى الأفراد. فليس مما يصح التعويل عليه في مقابل الأخبار المذكورة التي رواها أهل الحديث».

عمرته التمتع إلى المفردة فليس مما يعول عليه، مضافاً إلى الأخبار المعتمدة التي تشير إلى أنه اعتمر من البداية عمرة مفردة.

ولا ريب أن خروج الحسين عليه السلام من مكة في ذلك الوقت كان هو القرار الأسلم، لحفظ حرمة المكان وسلامة الحج والحجاج، فقد كان من الواضح أن السلطة الأموية لن تترك الحسين عليه السلام دون أن تذله بإرغامه على البيعة ليزيد، الأمر الذي كان يرفضه تماماً وربما يؤدي هذا إلى محاولة قتل الإمام وهو في بعض المناسك مما يجر إلى دفاع أهل بيته عنه، ويحصل ما لا ينبغي من هتك حرمة الشهر والمكان المحرمين.

فكان أنسب قرار اتخذته الإمام الحسين عليه السلام هو خروجه من مكة حفاظاً على حرمتها وحرمة الموسم، وسلامة الحجاج، وفي ذلك معنى مهم ينبغي أن يتعلمه طالبو الإصلاح الاجتماعي فإن بعض هؤلاء في سبيل مقاومة طغيان السلطة السياسية، لا مانع عنده أن يجر البلد بكامله إلى حرب مدمرة لا تبقى ولا تذر، وقد رأينا في عالمنا الإسلامي خلال العقود الأربعة الماضية من الزمان، كيف أن بعض هؤلاء يواصل ما يراه طريقاً للإصلاح حتى لو أدى إلى تهجير آلاف البشر من بلدانهم، أو أدى إلى مقتل أمثالهم في المعارك أو في غيرها، بل لو رجع البلد بمرافقه إلى الخلف عشرات السنين كل ذلك فداء لما يراه هو من لزوم الإصلاح.

وها هي بعض بلدان العالم الإسلامي لا تزال تعيش آثار تلك التحركات التي سحب طالبو الإصلاح المجتمع معهم في هذه المعمعة فلم يخرج منها. هنا من المهم أن يتعلم هؤلاء من كلمات الحسين عليه السلام منهجاً، حين يرى أنه (لأن أقتل خارج الحرم بشبر أحب إلي من أن أقتل داخله بشبر)^(١) وحين يدعو الناس إلى نصرته لا يقول أنا مقيم بينكم وأتخذكم دروعاً بشرية وإنما يقول (فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا).^(٢)

١- ابن الأثير؛ الكامل في التاريخ ٣٨/٤، قاله عليه السلام لابن الزبير في مكة: «والله لئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل فيها، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشبر».

٢- اللهوف ٣٨.

مثل هؤلاء يقال: إذا كان الحاكم المستبد مستعداً للسير إلى آخر المشوار وأن يدمر البلد على قاعدة؛ أنا ومن بعدي الطوفان وأنه لا مشكلة عنده أن يُفنى البلد أو يفنى فلماذا يكون بعض المعارضين وطالبي الإصلاح بنفس العقلية.

هل خرج وهو يعلم بمصرعه؟

هناك سؤال يتردد في نهضة الحسين عليه السلام، منذ القديم ويعود في كل موسم، وهو أنه هل كان عالماً بمصرعه؟ وإذا كان كذلك فهل كان خروجه للاستشهاد فقط أو أنه كان خارجاً بهدف تحقيق هدف واقعي اجتماعي وهو إقامة العدل والقسط في دولة إسلامية تسير على منهاج رسول الله وطريقة أمير المؤمنين عليهما السلام؟

ويرتبط هذا السؤال بمواضيع كثيرة؛ منها ما هو في باب الإمامة عن حدود علم الإمام المعصوم عليه السلام وهل يعلم بمصرعه^(١) علماً حاضراً تفصيلياً؟ كما يناقش أيضاً عند الحديث عن منطلقات نهضة الإمام الحسين وبواعث حركته الجهادية.

وقبل نحو سبعة عقود من الزمان تجدد النقاش فيه بشكل واسع عندما ألف الشيخ نعمت الله صالح نجف آبادي كتابه (الشهيد الخالد) باللغة الفارسية، وأثار نقاشاً اجتماعياً ساخناً لفترة غير قصيرة من الزمان في إيران على وجه الخصوص وإن كانت آثاره قد امتدت فيما بعد إلى المحيط الشيعي خارج إيران. وترافق هذا الكتاب مع وضع سياسي نتج عن وجود تيارين:

أحدهما يجب انتشار فكرة الإصلاح السياسي وإقامة الدولة الإسلامية العادلة وهو ما كانت فكرة الكتاب تخدمه وتؤكد على أن الإمام الحسين عليه السلام نهض متحرراً بدافع هذا الهدف الأساس.

وثاني التيارين: التيار المتدين المحافظ الذي يرى أن فكرة الكتاب تنتهي إلى ما يخالف الاعتقاد الموجود لدى الشيعة بأن الإمام عليه السلام كان

١- مراجعة قضايا النهضة ص ٣٧ ط جديدة.

يعلم بمصرعه قبل وصوله إلى كربلاء بل قبل خروجه من مكة وقد أخبر عن ذلك، فلا معنى لأن يخرج بدافع إقامة حكم اسلامي وهو يعلم بأنه قبل ذلك سيقتل هو وأهل بيته.

ومن الواضح أن الإمام الحسين عليه السلام خرج وهو يعلم أن مصيره إلى الاستشهاد، بل كان يعلم بذلك غيره من أهل بيته وسواهم، فإن الأحاديث الكثيرة المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله،^(١) والآثار المنقولة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، كانت من الكثرة بحيث لا تدع لشاك أن يشك في تلك النتيجة. هذا بالإضافة إلى أن السياق الطبيعي للأمر كان ينتهي إلى هذه النتيجة، والإمام الحسين عليه السلام هو أكثر الناس حكمة ومعرفة بتصرف الأحداث. فكيف يغفل عن هذه النتيجة؟! إن موازين القوة المنظورة بين الطرفين: الحسين وأصحابه، والدولة الأموية - وهي في أفضل أوقات قوتها - كانت تحتم هذه النتيجة، فضلاً عن الإخبارات الغيبية التي عرفها الإمام الحسين وغيره.

وقد تطرق العلماء لهذه المسألة - علم الإمام بمصرعه - عند الحديث أولاً عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وما ورد فيها من الروايات باعتبار أنه كان يعلم أنها « الليلة التي وعدنيها رسول الله »، فصار الكلام منذ ذلك، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام.

١- أحاديث مقتل الحسين في كلام الرسول صلى الله عليه وآله كثيرة فمنها ما في مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٩٤/٦.. عن أم سلمة (أو عائشة) ان النبي صلى الله عليه وآله قال لأحدهما لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلي فقال لي ان ابنك هذا حسين مقتول وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء.. وعن أم سلمة رضي الله عنها أيضاً كما في المستدرک على الصحيحين ٣٩٨/٤: ان رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله قال أخبرني جبريل (عليه الصلاة والسلام) ان هذا يقتل بأرض العراق مشيراً للحسين) فقلت لجبريل أني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها. قال الحاكم: هذ حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه!!.

ويظهر أن الآراء فيها ثلاثة بشكل أساس: (١)

١. رأي يقول: بأن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يعلمون تفصيلاً بمصارعهم زمناً ومكاناً ولحظة. معللاً بأن الإجماع إنما قام على أن الإمام يجب أن يكون عالماً بكل الأحكام، لا بكل الأحداث والوقائع وبحسب تعبيرهم «لا بكل الأعيان». وقضية علمه بمصرعه لم تثبت بيقين. وهذا الرأي قليل الأتباع لما تضافر من الإخبار والأخبار بمعرفتهم بمصارعهم - ولو في الجملة - وإنكار ذلك في الدائرة الشيعية يعد مجازفة!

٢. والرأي الثاني ينتهي إلى أنهم يعلمون بذلك ولكن بعلم اجمالي غير تفصيلي باليوم والساعة. فقد يعلم أمير المؤمنين بمقتله في شهر رمضان أو حتى في ليلة احدى وعشرين ولكن لا يعلم عن ساعة ذلك وموعده، وهكذا قد يعلم الحسين بأنه يقتل في كربلاء وفي أيام محرم مثلاً، ولكن لا في أي ساعة ويوم، وهذا لا يختلف عن سابقه وإن كان أقل في مصادمته للمأثور من الروايات والأخبار.

٣. الرأي المشهور وهو المنصور أن علمهم بمصرعهم هو من المسائل الثابتة لدى العلماء وأنهم يتعاملون معها باعتبارها مفروغا منها، (٢) غاية الأمر أنهم حاولوا أن يوفقوا بينها وبين مسائل آخر مثل إذن كيف يلقي بنفسه إلى الموت والهلاك؟ إن ما يهمننا من ذلك هو أن الإمام الحسين عليه السلام بحسب ما وصل إليه من الأخبار عن جده رسول الله وأبيه أمير المؤمنين كان عالماً بما ينتظره في كربلاء، وقد تقدم نقل بعض الأخبار في ذلك، بل كان غيره يعلم به، ويفترض أن أمير المؤمنين عليه السلام عندما تحدث وهو قرب نينوى. (٣)

١- تعرضنا إلى هذه المسألة بشكل تفصيلي في كتابنا من قضايا النهضة الحسينية فليراجع.

٢- هذا بالرغم من وجود رأي قليل الأتباع يقول: بأن الأئمة عليه السلام لم يكونوا يعلمون تفصيلاً بمصارعهم زمناً ومكاناً ولحظة. معللاً بأن الإجماع قائم على أن الإمام يجب أن يكون عالماً بكل الأحكام، لا بكل الأحداث والوقائع وبحسب تعبيرهم «لا بكل الأعيان». وقضية علمه بمصرعه لم تثبت. هذا رأي ذهب إليه بعض العلماء.

٣- بل إنه نقل المؤرخون عن زهير بن القين، وقد شارك سلمان الفارسي، غزوة بلنجر سنة ٢٣ هجرية، ففرحوا بالفتح الذي حصل لهم فقال زهير كما حدث بذلك قبيل انضمامه للحسين: إني سأحدثكم

ومن أقوال الإمام الحسين عليه السلام المشيرة إلى مصرعه ما نقلناه
 أنفا «وَحَيْرِي مَصْرَعُ أَنَا لِأَقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَائِي تَقَطَّعَهَا عُسْلَانُ الْقَلَوَاتِ، بَيْنَ
 النَّوَاوِيْسِ وَكَرْبَلَاءَ».

الاتجاه نحو الكوفة

لم يكن الاستمرار في البقاء في مكة المكرمة مناسباً للإمام الحسين عليه
 السلام ، من جهة أن قرار السلطة الأموية كان باتجاه اغتياله في أي مكان
 تمكنوا من ذلك، وقيام يزيد بتولية الأمر لعمر بن سعيد الأشدق، الذي
 اجتمع فيه الحقد الشخصي على الإمام الحسين كما على أبيه أمير المؤمنين
 عليهما السلام ، إضافة إلى الطموح السياسي في الصعود كما حصل لابن زياد
 الذي سيجمع له العراق، فعمرو الذي كان قائد شرطة والآن عين والياً على
 المدينة خلفاً للوليد بن عتبة بن أبي سفيان الذي صنّف على أنه كان متساهلاً
 مع الحسين حتى خرج من المدينة إلى مكة ، فأراد عمرو هذا أن يضرب ضربته
 القوية التي تعد رافعة له في المناصب السياسية فلو تمكن من قتل الإمام
 الحسين فسينظر إليه على أنه المنقذ للدولة من أخطر أعدائها وفي هذا ما
 يستطيع المتاجرة به في سوق المناصب .

إضافة إلى ما سبق ذكره من أنه لم يكن يريد أن تهتك حرمة الحرم والحج
 والبيت والشهر الحرام، فتكون سابقة سيئة .

إذن فإن البقاء في مكة لا يصلح بأي حال من الأحوال فلا بد أن يتجه
 إلى بلد معين، وباستعراض المناطق الإسلامية آنئذ لم يكن هناك أفضل
 من الكوفة؛ فإن باقي الأماكن، كالبصرة، وهي المصر الكبير الآخر في العراق،
 لم تكن شيعية الهوى في جمهورها العام بالإضافة إلى أن وجود عبيد الله بن

حديثاً، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان: أفرحتم بما فتح الله عليكم،
 وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله فكونوا أشد
 فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من المغانم..

زياد المتنفذ فيها لم يكن ليسمح للإمام الحسين عليه السلام باختيارها كمنطقة يتوجه إليها، ولم يكن التوجه إلى اليمن بالرغم من وجود تشيع عريض فيها لأهل البيت عليهم السلام، ولو على المستوى النفسي والقلبي، إلا أنها بالإضافة إلى كونها بعيدة جغرافياً عن موقع التأثير السياسي، فلا هي منطقة مركزية في العالم الإسلامي ولا موقع ديني متميز لها كالمدينة، ولا تكاد تكون قد فرغت من العناصر المهمة، فقد انتقلت القبائل المؤثرة وزعاماتها إلى الكوفة منذ وقت مبكر وانقطعت عن اليمن. وحال مصر في عدم التأثير كحال اليمن، ولعل ما جرى أيام عثمان من مجيء ثوار مصر إلى المدينة شاهد على ذلك، ولوبقي هؤلاء مع احتجاجاتهم في مصر لما كان لهم أثر.

فاختار الإمام الحسين عليه السلام الكوفة لأنها «شيعية الهوى» بشكل عام، ولأنها راسلت الحسين عليه السلام على لسان زعمائها وشخصياتها وجمهورها، حتى لقد ذكر بأنه قد اجتمع لدى الحسين عليه السلام من كتبهم عشرات الآلاف من الأسماء^(١)!

وبالرغم من أن خروج الإمام الحسين عليه السلام، كان أشبه بالانسحاب من المواجهة في مكة إلا أنه لم يكن -مع ذلك سلباً- فقد حاول عمرو بن سعيد الأشدق منعه، وعبر رجاله سعى فيما نفهم لاعتقاله، فقد حاولوا منعه، لكنه كان صارماً في خروجه، إلى الحد الذي لا يوقع قتالاً، لكنه مصمم على الخروج، فوقفت أمامه مفرزة عسكرية لما صار خارج مكة فاجتلدوا بالسياط^(٢).

١- كان بعض هذه الكتب تحتوي على أسماء متعددة وهي بذلك تشبه المنشور الذي يوقعه عشرات أو مئات!

٢- تاريخ الطبري ٤ / ٢٨٩ عن عقبة بن سمعان قال لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد فقالوا له انصرف أين تذهب فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً ومضى الحسين عليه السلام على وجهه.

ماذا فعل الحسين عليه السلام في مكة؟

يلفت النظر الكلمات التي تمثل بها الإمام الحسين عليه السلام أثناء وبعد خروجه من المدينة في طريقه إلى مكة، فإنه حين عزم على الخروج من المدينة سمعه أحدهم وقد دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله ، مودعا يقرأ أبيات يزيد بن مفرغ الحميري:

لا ذعرت السّوام في شفق الصّبح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيما والمنايا يرصدني أن أحيدا^(١)

وكان الحسين عليه السلام بذلك ينبئ عن المستقبل الذي ينتظره فهو، في صدد مهمة كبرى، وأنه سيصطدم بالمنايا ولن يجيد عنها، كما أنه كان يتمثل موقف موسى بن عمران النبي عليه السلام ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢) فكانت (مدينته) مكة المكرمة وسبيله السوي هو الشهادة في كربلاء. وكما قال النبي موسى (عسى ربي) قال الحسين عليهما السلام^(٣)، ولم يكن هذا من التشكيك أو الترديد في شيء وإنما لأن الأنبياء والأوصياء لا يهتمون على الله شيئا فهو الذي ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٤). وبعد أن قطع الإمام الحسين عليه السلام عدة كيلومترات خارجا من المدينة، كان لا بد له أن يحرم للعمرة من مسجد الشجرة (أبيار علي عليه السلام) حيث هو ميقات أهل المدينة الذين يقصدون مكة معتمرين، وهذا ما حصل فأحرم للعمرة المفردة، وكانت في شهر رجب.

١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٧/٤.

٢- سورة القصص: آية ٢٢.

٣- نلاحظ الكثير من التشابه في حركة الإمام الحسين عليه السلام ودعوات الأنبياء والمرسلين، وهذا أحد معاني الوارثية كما تشير إليها زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث. (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله..).

٤- سورة القصص: آية ٦٨.

بعد وصول الإمام عليه السلام إلى مكة المكرمة وأدائه نسك العمرة المفردة نزل في بيت عمه العباس بن عبد المطلب، فإنه لم يكن للإمام عليه السلام بيت في مكة، ولا لأبيه أو جده بسبب أنهم من بعد هجرة النبي من مكة استقروا في المدينة، وأن ما كان لهم من أملاك قد تم بيعها، لخوف من بقي من الهاشميين عليها^(١) من المصادرة والاستيلاء من جهة قريش كما كانت طريقتهم في السيطرة على بيوت من أسلم وخرج مهاجراً إلى المدينة. أربعة أشهر وأيام (١٢٥ يوماً)^(٢) هي الفترة التي قضاها الإمام في مكة المكرمة. وكان من الطبيعي أن يكون الإمام عليه السلام محل احتفاء من الموجودين في مكة سواء كانوا من المعتمرين الوافدين إلى مكة من أقطار الإسلام أو من أهل مكة أنفسهم، بغض النظر عن كونهم ينتمون إلى أهل البيت عليهم السلام اعتقاداً وولاء، أو لا. وهذا ما نجده في كل مكان يفد إليه رجل مشهور ومعروف.

في هذه الفترة، أرسل الإمام الحسين عليه السلام رسائل إلى البصرة والكوفة، يحثهم فيها النهضة في وجه الظلم الأموي، فقد أرسل خمس رسائل بمحتوى واحد إلى رؤساء الأخماس (أحياء البصرة وقبائلها) كان فيه: «أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحمهم الله وغفر لنا ولهم وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا

١- هناك كلام في الرواية التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله من أن عقيلاً لم يبق لنا منزلاً في مكة وهل أنها تصح أو لا.. ولتحقيقها مجال آخر.

٢- يعتمد العدد على تاريخ دخول مكة والمشهور أنه ٤ شعبان / ٦٠ هـ، وعلى تاريخ الخروج منها، وفيه أقوال ستأتي والمشهور أنه كان في يوم ٨ / ١٢ / ٦٠ هـ.

أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله» (١).

في موقف أهل البصرة من النهضة الحسينية

نجد إشارات مختلفة فيما يرتبط بموقف البصريين من النهضة الحسينية، فمن جهة لا ينقل المؤرخون أن أهل البصرة قد امتنعوا من بيعة يزيد بن معاوية بعد موت أبيه، كما لم يذكروا أن أحداً من أهلها بادر إلى مراسلة الإمام الحسين عليه السلام قبل وصول رسائله لرؤسائهم، وربما يعزو البعض هذا إلى كون الوالي على البصرة عبيد الله بن زياد الذي كان معروفاً بالفتك والبطش، فلم يكن يسمح لأي نطفة معارضة أن تصبح جنيناً، أو إلى أن البصرة تاريخياً لم تكن (علوية) الموقف من أيام حرب الجمل، وبالقياس فإن الكوفة في الجهتين المذكورتين تعتبر في وضع مثالي، فإن واليها النعمان بن بشير الأنصاري كان هادئاً إلى حد كبير (٢) كما أن قاعدتها الشعبية كانت محبة للعلويين وبني هاشم ولو على المستوى النفسي.

نعم قد ذكر الطبري ناقلاً عن أبي مخنف أن «جماعة من الشيعة» كانوا يجتمعون في منزل امرأة منهم هي مارية بنت منقذ العبدى ويتداولون الأمور بينهم، وأن في ذلك المنزل قد وصل إليهم خبر الحسين عليه السلام وعلى أثره انطلق عدة منهم لنصر الحسين وفاضوا بالشهادة بين يديه، فهل هذا النص يشير إلى أن (الشيعة) في البصرة جماعة قليلة ولها ما يشبه التجمعات

١- الطبري ٢٦٦/٤ ونحن نشك في أن يكون الإمام الحسين عليه السلام قد استعمل الصلاة البتراء على النبي بدون الآل كما أوردها الخبر. فإن مقام الحديث لا يتناسب مع الصلاة البتراء.. كيف وهو يبين فضل أهل البيت وموقعهم من النبي؟

٢- ابن الجوزي؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣٢٥/٥: -لما وصل مسلم بن عقيل - قام رجل ممن يهوى يزيد، إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف، قد فسد البلد. فقال له النعمان: أكون ضعيفاً في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون قويا في معصية الله.

السرية الخاصة بها؟ أو أن هؤلاء الذين اجتمعوا كانوا فئة من المجموع الأكبر، وأن الشيعة كانوا كثيرين لكن هؤلاء كانوا (جماعة) منهم؟ وأن هؤلاء بدأوا بالتحرك بعد ما غادر ابن زياد إلى الكوفة للقضاء على مسلم بن عقيل، بعد وصوله إليها في شهر شوال، وهذا مكن هؤلاء الشيعة من أن يتحركوا بشكل أفضل، فانظر إلى النص:

«اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد أو منقذ أياماً وكانت تشيع وكان منزلها لهم مألفاً يتحدثون فيه وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة ان يضع المناظر ويأخذ بالطريق. قال فأجمع يزيد بن ثبيط الخروج وهو من عبد القيس إلى الحسين، وكان له بنون عشرة فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له عبد الله وعبيد الله. فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني والله لو قد استوت أخفافهما بالجدد لهان عليّ طلب من طلبني. قال (الراوي): ثم خرج فقوى في الطريق حتى انتهى إلى حسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح. وبلغ الحسين مجيئه فجعل يطلبه وجاء الرجل إلى رحل الحسين فقيل له: قد خرج إلى منزلك، فأقبل في أثره ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره وجاء البصري فوجده في رحله جالساً فقال بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال فسلم عليه وجلس إليه فخبه الذي جاء له فدعا له بخير ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه فقتل معه هو وابناه.»^(١)

كانت نتيجة رسائل الإمام الحسين الخمس إلى زعماء الأحياء والقبائل الخمس في البصرة، سلبية في الاجمال باستثناء استجابة يزيد بن مسعود النهشلي التميمي الذي جمع قبيلته (تميم)^(٢) وأمرهم بالتجهز لنصر

١- الطبري ٤/٢٦٣.

٢- وقد استجاب ثلثا تلك القبيلة بحسب ما تكلم به رؤساؤهم، على الرغم من أن (تميم) كانت تصنف على موالاة القرشيين دون العلويين!.

الحسين عليه السلام ، وأرسل على الفور رسولاً للحسين عليه السلام يخبره باستجابته ، وقبوله دعوته ، وقد فاز هذا الرسول وهو الحجاج السعدي ، ومعه قعنب بن عمر النمري بشرف الشهادة بين يدي الحسين ، بينما لم يدرك يزيد النهشلي ولا الجمع الذي كان قد جهزه لنصر الحسين المعركة ، حيث وصلهم خبر شهادة الإمام قبل أن يتوجهوا .

أربعة من هؤلاء الرؤساء لم يردوا جواباً لرسالة الإمام الحسين عليه السلام ، وكان أحدهم هو المنذر بن الجارود العبدي (من عبد القيس) قد أخذ رسول الحسين عليه السلام وهو سليمان بن رزين الذي خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وأمه كانت جارية للحسين فأعتقها وتزوجها شخص يقال له رزين وأنجبا سليمان الذي أصبح مصاحباً للإمام الحسين عليه السلام ورسوله من مكة إلى البصرة ، وهذا يشير إلى أن المجتمعات فيها أصناف ففيها مثل هذا الخائن من عبد القيس وبالمقابل كان فيها مارية بنت منقذ العبدي الذي كان منزلها مركزاً لشيعه البصرة وتهبئ لهم الأمور للمناقشة والحديث ، وكان أخوها مرة بن منقذ العبدي قاتلاً لعلي الأكبر ، وكان فيها أيضاً يزيد بن نبيط العبدي وابناه وقد نزلوا من البصرة إلى كربلاء على أثر رسالة الحسين عليه السلام وقد كانوا من شهداء كربلاء وفيهم ورد سلام من الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في الزيارة المروية عنه والتي تذكر أسماء المستشهدين بين يدي الحسين عليه السلام .

فالمنذر بن الجارود العبدي الذي كان أول أمره والياً لأمير المؤمنين علي عليه السلام ، وقام بخيانة مالية شفع سواتها بسوأة اللجوء إلى معاوية ، ثم ثلث سواد تاريخه بجريمة وشاية انتهت إلى قتل رسول الإمام الحسين عليه السلام سليمان بن رزين ، فإن هذا المنذر (وقد كان عبيد الله بن زياد زوج ابنته) زعم أنه خاف أن يكون سليمان دسيساً من ابن زياد ، فسلمه إليه بعد وصوله برسالة الحسين وكانت النتيجة أن قتل سليمان شهيداً كأول شهداء النهضة الحسينية المباركة .

هذا العرض السريع يريد القول إن من الخطأ أن يفتخر الإنسان بقبيلة أو عشيرة على أنها كذا وكذا، إذ في العشائر والقبائل من الأصناف الصالحة والظالحة، على أنه لا ينفعه شيء لو كانت قبيلته قبل مئات السنين صالحة في أكثرها، كما لا يضرها لو كانت سيئة كذلك.

ولم يكن حال الأحنف بن قيس أحسن حالاً من غيره، فإنه اكتفى بجواب مبهم على رسالة الإمام الحسين عليه السلام وكتب مالك بن مسمع البكري ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمرو بن عبيد الله بن معمر تلك الرسالة فلم يرتبوا أثراً عليها ولم يجيبوا الحسين عليه السلام.

موقف باقي المناطق المسلمة

كذلك يلفت النظر أن باقي المناطق المسلمة لم تتفاعل بأي نحو مع نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فإن الدائرة القريبة من حركته عليه السلام لا نجد أثراً فيها للتفاعل، فإن من المناطق المهمة في ذلك الزمان: اليمن، والبحرين (بما يشمل هجر والخط)، كما لا نجد أثراً لرسائل الإمام عليه السلام لها، فهل ذلك راجع إلى بُعد اليمن عن التفاعل عموماً مع المسائل الواقعة في المناطق المؤثرة كالحجاز والعراقين (البصرة والكوفة) وأنه يتلقى نتائج ما يحصل؟ فيبايع لمن يبايع له هناك ويرفض من يرفض؟ أو لسبب آخر؟ لا نجد إجابة مقنعة في هذا.

وهكذا الحال بالنسبة إلى البحرين (بالمعنى الواسع)، فمع أن الكثير من أهل هذه المنطقة وهم العبيديون قد سكنوا البصرة واستوطنوها وخصوصاً من أيام أمير المؤمنين عليه السلام، وأن بعضهم قد انطلق من البصرة كما تقدم في قضية مارية العبدية ويزيد بن نبيط (أو ثبيط) وابنيه.

بالنسبة لمكة والمدينة توجد بعض النصوص^(١) عن الإمام السجاد عليه

١- العاملي، جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٣١/١٣٧، نقله عن شرح النهج ٤/١٠٤ لابن أبي الحديد: سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»..

السلام تشير إلى قلة عدد من يواليهم في هاتين المنطقتين -الموالة بالمعنى الخاص يعني الالتزام بخطهم الفكري والفقهي والسياسي- .

موقف الكوفة من حركة الإمام الحسين

يعتبر موقف أهل الكوفة أوضح المواقف في مناصرة الإمام الحسين عليه السلام ، ولو من الناحية النظرية، فإن إظهار أهل الكوفة خلاف بني أمية، وإبداء بعض أنحاء ودرجات العصيان المدني فيما أخبروا عنه من أنهم لا يشهدون مع الوالي الأموي (النعمان بن بشير الأنصاري) جمعة ولا جماعة وأنهم ليس لهم إمام، وبالتالي لا يعترفون ببيعة بني أمية^(١).. كان مما حفلت به الكتب والرسائل القادمة منهم إلى الحسين عليه السلام ، والتي وإن اختلفت^(٢) أرقامها وعدد كتابها والموقعين فيها إلا أنها كانت بالبنات .

وإذا تم ما ذكره بعض المؤرخين من أن وصول أوائل تلك الكتب كان في أواخر شهر شعبان فإنه يعني سرعة مبادرة أصحابها لإعلان موقفهم تجاه حركة الإمام عليه السلام ، ومتابعتهم خروجه من المدينة، ثم تكاثرت تلك الكتب حتى وصلت ذروتها في شهر رمضان،

١- ننقل كنموذج على تلك الكتب ما ذكره ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢١/٤ بقوله: « واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن سرد الخزاعي، فذكروا مسير الحسين إلى مكة وكتبوا إليه عن نفر، منهم: سليمان بن سرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظهر وغيرهم: بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغضبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وإنه ليس علينا إمام فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال، ثم كتبوا إليه كتابا آخر وسيروه بعد ليلتين، فكتب الناس معه نحواً من مائة وخمسين صحيفة ثم أرسلوا إليه رسولا ثالثا يحثونه على المسير إليهم، ثم كتب إليه شبث بن ربعي وحجار بن أبحر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد ابن عمير التميمي بذلك» .

٢- لعل الاختلاف راجع إلى أن قسما من الكتب وهو الأكثر كان جماعيا أن يكتبه أحدهم لكن يوقع فيه عشرات من الناس، فتارة يتم حساب العدد باعتبار عدد الموقعين وأخرى باعتبار عدد الكتب نفسها!

وربما ساعد على ذلك ما يفترض من كثرة مجيء المعتمرين - قبيل شهر رمضان - إلى مكة لأداء العمرة، فمن السهل إذن إيصال رسائل للإمام مع هؤلاء المنطلقين، فضلا عما كان يأتي بغرض إيصال الرسائل كما هو الحال في سعيد بن عبد الله الحنفي الذي التحق بالحسين فيما بعد وأصبح من شهداء كربلاء مدافعا عن إمامه حال صلاته.

بالطبع لم تكن تلك الكتب والرسائل هي العامل الأساس في نهضة الإمام الحسين عليه السلام^(١)، ولكن كان لها أثر في أن تكون الكوفة الوجهة المختارة ليرسل لها الإمام عليه السلام ابن عمه مسلم بن عقيل يوم الخامس عشر من شهر رمضان ومعه قيس بن مسهر الصيداوي ضمن مهمة أعرب عنها في رسالته عندما قال: «أما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجب منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق، والسلام»، فتوجه مسلم بن عقيل إلى الكوفة.

ومع إقبال أهل الكوفة الكبير على بيعة مسلم بن عقيل والالتفاف حوله إلا أن ما يثير التعجب هو سرعة الانفضاض عنه، بمجيء ابن زياد إلى الكوفة وخلعه النعمان بن بشير وإعادة تشكيل القوة الهجومية الأموية، بللممة التيار الأموي وفرض الأحكام العرفية، وتنشيط نظام العرفاء، وارهاب شيوخ القبائل ورؤسائها، وبالرغم من تقديم تفسيرات^(٢) كثيرة لهذه النتيجة إلا أنها تبقى مثيرة للتعجب.

١- كما سيتم ذكره في بحث منطلقات النهضة الحسينية..

٢- ربما يتم التعرض إليها عند الحديث عن شهداء النهضة الحسينية عن مسلم بن عقيل..

وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال^(١) أي أنه قطع المسافة من مكة المكرمة إلى الكوفة في عشرين يوماً وبعدها رأى إقبال الناس على مبايعته كتب رسالة مع قيس بن مسهر الصيدائي قال فيها: (أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي فإن الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى والسلام)^(٢) فكتب الحسين رسالة جوابية بعدما خرج من مكة مع قيس بن مسهر الصيدائي ولكنه قبض عليه قبل أن يصل إلى مبعثه لأن عبيد الله بن زياد وصل إلى الكوفة وسيطر عليها، فقام قيس بن مسهر الصيدائي بتمزيق الكتاب عندما أعتقل ولما سأله عبيد الله بن زياد عن سبب تمزيقه للكتاب قال له: حتى لا تعرف ما فيه، فقال له: ابن زياد ممن هذا الكتاب؟ فقال قيس: من الحسين، قال ابن زياد: ولمن؟ قال له قيس: إلى شيعة في الكوفة، فسأله: من هم؟ قال له قيس: لا أعرفهم،

١- ذكر المؤرخ الطبري ٢٦٤/٤ أن مسلماً بن عقيل بعدما استأجر دليلين من قيس أقبل به فصلاً الطريق وجارا وأصابهم عطش شديد وقال الدليلان هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء وقد كادوا أن يموتوا عطشا فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيدائي إلى حسين وذلك بالمضيق من بطن الخبيث أما بعد فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجارا عن الطريق وضلا واشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيث وقد تطيرت من وجهي هذا فان رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام فكتب إليه حسين أما بعد فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له والسلام عليك فقال مسلم لمن قرأ الكتاب هذا ما لست أتخوفه على نفسي فأقبل كما هو حتى مر بماء لطيء نزل بهم ثم ارتحل منه فإذا رجل يرمي الصيد فنظر إليه قد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه فقال مسلم يقتل عدونا إن شاء الله.. وقد ناقش غير واحد هذه الرواية وردوها من نواح متعددة: منها أنها لا تنسجم مع ما عرف من شجاعة مسلم فكيف يتهمه الحسين بحسب الرواية بالجبن، ثم إن الحسين لتوه قد أعرب في رسالته لأهل الكوفة أن مسلماً هو ثقته! ولا يعقل أن يرسل لهذه المهمة الحساسة من يكون جباناً.. فما عدا مما بدا؟ على أنها لا تتفق مع الفترة المفترضة من خروج مسلم من مكة ووصوله إلى الكوفة مع فرض أن يكون الدليلان قد ماتا.. وأن مسلماً وقيساً قد ضلوا الطريق، فكيف تيسر لهما أن يرسلا للحسين رسالة وينتظرا جوابها ويأتي الجواب بلزوم المواصلة؟ فمن الذي أوصل الرسالتين؟ وكم استغرق من الوقت لأجل ذلك؟

٢- تاريخ الطبري ٢٨١/٤.

فقال له عبيد الله بن زياد: إن لم تأتنا بالكتاب فاصعد على المنبر واشتم الحسين ووالده حتى نعفو عنك، فقال قيس بن مسهر الصيدائي وقد كان ذكياً: أفعل إن شاء الله، فصعد على المنبر واجتمع أهل الكوفة قال لهم: «أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وأنا رسوله إليكم وقد فارقتك بالحاجر^(١) فأجيبوه» ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب قال فأمر به عبيد الله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمي به فتقطع فمات.^(٢)

ومما يلفت النظر في رسالة الإمام الحسين عليه السلام ووصيته مسلماً هذه الجمل كما نقله ابن أعثم الكوفي أن الحسين بعدما ختم الكتاب قال له: إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أهلكها، وادع الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجل علي بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء الله تعالى. ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكى جميعاً،^(٣) فإن الإشارة فيها إلى أنه يرجو أن يكون - هو ومسلم - في درجة الشهداء، فإن هذا يساعد القائلين بعلم الإمام عليه السلام بأن مصيرهما إلى الشهادة من قبل أن يصل مسلم إلى الكوفة وأنه عليه السلام لم يكن ينتظر أن يحدث تغير استثنائي في الكوفة، وأنه لما قتل مسلم تغيرت أهدافه، وإنما كانت منطلقاته الأساسية هي المسؤولية الدينية من أمر الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن إباته للضيم وما شابه ذلك، كما أن نزول مسلم بوصية الإمام الحسين (عند أهلكها)، يفيد بوضوح في تمييز حال من نزل عندهم

١- ذكر الكرياسي في الأطلس الحسيني أن منطقة الحاجر تبعد عن مكة نحو من ٥٨٤ كيلو مترا، وأن الحسين وصلها يوم ١٢/ذي الحجة/٦٠هـ.

٢- الطبري ٤/٢٩٨.

٣- مع الركب الحسيني ٢/٤٥.

مسلم، حيث أنه نزل برهتهً في دار مسلم بن عوسجة الأسدي ونزل أخرى في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وثالثة في دار هاني بن عروة المرادي، ومن خلال تلك الوصية، ثم تنفيذ مسلم لها يعلم أن هؤلاء الرجال كانوا - على الأقل - ضمن الوضع الموجود أكثر الأشخاص الذين يطمأن إليهم ويوثق بهم، مما يشكل قرينة إضافية في حسم الجدل بشأن هاني بن عروة المرادي، والذي كان رأي الرجاليين الشيعة فيه منقسماً بين معظم له ومتأمل في شأنه.

وسياتي ذكر ما صنعه مسلم بن عقيل في الكوفة وخطواته التي اتخذها وما جرى عليه بعد ذلك.

مع الحسين من مكة إلى كربلاء

استغرقت مسيرة الحسين، من مكة المكرمة إلى كربلاء ٢٣ يوماً، تم فيها قطع مسافة ١٤٧٥ كيلو متر، وهي المسافة بين مكة وكربلاء بحساب طرق في ذلك الزمان.^(١) وهذا يعني أن الإمام عليه السلام والركب المرافق له، كانوا يمشون ما معدله ٦٥ كيلو متر في كل يوم.^(٢) فمشوا في هذه المسافة بقرب من ٣٨ منزلاً بين بئر وحيٍّ ومنزل جماعة، بعضها أقاموا فيه برهة من الزمان، وبعضها تجاوزوها، وبعضها باتوا فيه، وبعضها لم يبيتوا فيه، إلى أن وصل الإمام الحسين إلى كربلاء في اليوم الثاني من محرم سنة إحدى وستين للهجرة. بداية الخروج كانت في اليوم الثامن،^(٣) من شهر ذي الحجة، سنة ٦٠ للهجرة. وكان الخروج ليلاً مع السحر - كما يرى باحثون - وقد كان العرب في تلك الفترات يفضلون السير في الليل، ويسمونهم: بالسري، ومنه يأتي المثل المعروف: «عند الصباح يحمد القوم السري»، يعني: يمدحون أنهم ساروا ليلاً؛ وذلك نظراً لأن الإبل تأخذ راحتها في السير في الليل، بخلاف سيرها في النهار، حيث أشعة الشمس المحرقة، والأرض الحارة، فكان سيرها في الليل هو المفضل غالباً. فخرجوا في الليل، بناء على هذا، ومع الصباح وصلوا إلى التنعيم، والتنعيم: منطقة كانت خارج مكة المكرمة، لكنها الآن أصبحت داخلها على أثر التوسع العمراني لمكة.

١- الكرياسي؛ محمد محمد صادق: تاريخ المراقد ٥.

٢- بناء على ما سبق ذكره من المحقق الكرياسي، من أنهم قطعوا نحو ٥٨٤ كيلومتراً إلى الحاجر في أربعة أيام حيث وصلوها يوم ١٢ من ذي الحجة كما مر، فهذا يعني أن معدل السير إليها كان بحوالي ١٤٦ كيلومتراً في اليوم، وهذا يتفق مع ما بنى عليه - ونوافقه في ذلك - من أن معدل سير الإبل الطبيعي في كل يوم هو بحدود ١٦٠ كيلومتراً. لكن الكرياسي لا يوافق على ما يراه المشهور من أن خروجه عليه السلام كان يوم الثامن من ذي الحجة وإنما يراه قد خرج يوم الثالث، وبالتالي فيكون قد قطع هذه المسافة في تسعة أيام أي بمعدل ٦٤ كيلومتراً في اليوم. وهنا لا بد له من تفسير هذا البطء في السير إلا أن يقال إنه عليه السلام قد أطل المكث في بعض المنازل.

٣- الآراء في يوم خروج الإمام مختلفة والأرجح فيها هو ما ذكرناه.

وتشير إحدى الروايات إلى أن الإمام الحسين عليه السلام ، رأى قافلة محملة بالأحمال ، وعلم أنها عبارة عن هدية من والي اليمن إلى يزيد الخليفة الجديد. حيث كانت العادة أن بعض هؤلاء الولاة؛ ولأجل أن يبقوا في مناصبهم كانوا يرسلون للخليفة ما يصطفونه من بيت مال المسلمين عندهم، هدية للخليفة «عربون» طاعة وولاء، ومن الطبيعي أن يرد عليهم الحاكم الجديد بإبقائهم في مناصبهم تلك.

وتقول الرواية: إن الإمام الحسين عليه السلام استولى على هذه القافلة، وخير أصحاب الإبل المستأجرة بين أن يأتوا معه ويوفيهم كراءهم، وبين أن يرحلوا عنهم ويعطيهم قيمة كرائهم.

وقد رفض بعض الباحثين هذه الرواية، باعتبار أن الإمام عليه السلام لم يكن من شأنه مصادرة الأموال، بل اعتبر أن هذا من تشويه صورة الإمام بإظهاره وكأنه قاطع طريق. فيما ذهب باحثون آخرون، في أنه لو كانت الرواية صحيحة، فتوجيهها وتفسيرها واضح؛ ذلك أن هذا المال ليس مالا شخصيا لوالي اليمن، مثلما أنه ليس من الأموال الشخصية ليزيد بن معاوية، وإنما هو من أموال المسلمين. وما دامت كذلك، فإن ولاية التصرف عليها، إما أن تكون من والٍ منصوب من الله ومنصوصا عليه، وإما أن يكون شخصا منتخبا من قبل الناس. ويزيد بن معاوية مثلما لا يتوفر على الوصف الأول، كذلك لا يتصف بالثاني، فلا حق له في هذه الأموال واستيلائه عليها يعتبر عدوانا غير جائز، بينما من يحتوي على الوصف الأول هو الإمام الحسين عليه السلام كما أنه أكثر من سائر الناس في توفر صفات الخلافة من ناحية رأي الناس. هذا بالإضافة إلى أنه بمقتضى الاتفاق الذي حصل بين معاوية بن أبي سفيان وبين الإمام الحسن المجتبي عليه السلام والذي بموجبه تم التوقف عن الحرب، فإن الإمام الحسين عليه السلام هو الحاكم دستوريا، إذ تم النص على أن الخلافة لمعاوية فإن قضى فللحسن وإن قضى للحسين فللحسين عليهما السلام.

على أنه يقال أيضاً أن هذا المال قد صرف في مصالح المسلمين العامة، وفي إنقاذ بعض المسلمين من الأسر في يد الكافرين، فإن المؤرخين يذكرون: أنه في يوم عاشوراء قد أخبر بشير الحضرمي وهو أحد أصحاب الحسين أن ابنه عمراً قد أسر في ثغر الرّي في اشتباكات مع الديلمة فقال الإمام الحسين لأبيه بشر خذ هذا واسع في فداء ابنك وأعطاه حلاً بما يعادل ألف دينار ولما رفض مفارقة الإمام عليه السلام أخبره أن يعطيها لابنه الآخر لكي يستنقذ بها أخاه. فبناء على ما سبق؛ لو صحت الرواية فلا مشكلة، لأن الإمام عليه السلام هو الأوّل بها بل الوالي عليها دون يزيد، وكان مصرفها في إنقاذ أسير من أسرى المسلمين، بينما لو ذهبت ليزيد لصرفت بين أرجل الجوّاري وأيدي الساقين للخمر.

وبعد أن تجاوز الإمام عليه السلام التنعيم، وصل إلى «الصفاح» وفيها التقى بالفرزدق بن غالب،^(١) وحسبما أخبر الفرزدق نفسه فقد قال: كنت قادماً من البصرة إلى الحج مع أمي، فرأينا ركب الحسين بن علي، فجنّت إليه، فسألني من الرجل؟ قلت له: «أنا من العرب»، يقول: «فلا والله، ما فتّشني أكثر من ذلك». أي لم يسألني غير هذا عن شخصيتي.

وفي هذا تعليم تربوي، خلافاً لما يصنعه البعض فإنه حين يلتقي شخصاً في مكان ما لمدة خمس دقائق، تجده يتطلع إلى أن يستكشفه بالكامل، ويعرف أهله

١- أبو فراس، همّام بن غالب التميمي الحنظلي، يُعدُّ في الاصطلاح الرجالي من أصحاب أمير المؤمنين والحسين والسجاد عليهما السلام، يقال وُلِدَ الفرزدق في خلافة عمر وقيل بل في سنة ٣٧ هـ، فتوبع بالشعر لما ترعرع ففاق الأقران... مات سنة عشر ومائة وهو ممدوح الإمام السجاد عليه السلام بقصيدة مشهورة، في قصة أمام هشام بن عبد الملك، ويرى بعض مترجميه أن القصيدة تكشف آياتها عن حسن عقيدته بأهل البيت عليهم السلام وعن حبه لهم، ومن آياتها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا

ومواقفه السياسية، وتقليده المرجعي، وما يريد وما لا يريد، بل يرتب على ذلك آثاراً، في أنه هل يقاطعه بعدما عرف عنه ما عرف أو أن يتعامل معه بشكل عادي؟ إن الإمام عليه السلام يعلمنا هذا خصوصاً في الأزمنة التي تكون فيها القضايا المختلفة منشأ لاختلاف الآراء وقد يكون الاختلاف حاداً إلى درجة الاعتداء عند بعضهم لو علموا بأن الذي يقابلهم يحمل الأفكار المعينة، ثم سأله الإمام عليه السلام كيف تركت الناس؟ قال: قلوبهم معك وسيوفهم عليك، ثم فارق الفرزدق الإمام عليه السلام متجهاً إلى الحج كما قيل.

الفرزدق ومواقفه

ويثير هذا الموقف من الفرزدق السؤال، في أنه هل كان مستوى علاقة الفرزدق بالإمام عليه السلام هو بهذا المقدار أن يتبادل معه كلاماً عابراً ثم يمضي كل منهما في سبيله؟ فلا الإمام يدعو إلى الالتحاق به لا سيما وهو خارج من مكة، ولا الفرزدق الذي لم يستفصل من الإمام عما يريد من السؤال عن الناس خلفه؟ هذا إن لم يكن قد علم بأن الإمام خارج للعراق ضمن نهضته ضد الحكم الأموي فإن السؤال يزداد الحاحاً؟ وكيف يوصف موقفه في هذه الحال؟ بل كيف أخفى الفرزدق شخصه عن الإمام الحسين عليه السلام فلو اعتذر الفرزدق عن الالتحاق به - من جهة أن أمه معه في الحج - لما كان معاتباً في ذلك؟ فلنفترض أنه لم يشأ أن يذكر ذلك، أفهل يناسب أن يخفي شخصه وشخصيته عن الإمام عليه السلام؟

نقول: إن الآراء في الفرزدق الشاعر والذي كان في ذلك الوقت في حدود الثالثة والعشرين من العمر، بناء على أن ولادته كانت سنة ٣٧ هـ، على أنحاء: ١. هناك رأي يذهب إلى أن الفرزدق لم يكن شيعياً بحسب التصنيف، وذلك أنه لم يعرف له موقف مهم في تاريخه الذي امتد حدود ٧٣ سنة، لأن ولادته كانت في ٣٧ ووفاته كانت ١١٠ هـ سوى قصيدته في مدح الإمام زين

العابدين عليه السلام ، وهي يتيمته من بين مئات القصائد التي افتخر فيها بأسرته ووالده ونفسه ، وفيما عدا هذه القصيدة لا نجد موقفاً «شيعياً» يستحق أن يذكر عنه ، وأصحاب هذا الرأي يجدون أن موقفه من الإمام الحسين عليه السلام في عدم المناصرة أو حتى الوعد بالمناصرة بل حتى بمقدار تعريف نفسه ، يجدون هذا الموقف طبيعياً إذ لم يتوقع منه غيره .

٢. الرأي الآخر: يرى أنه رجل من شيعة أهل البيت عليهم السلام ، ولذلك فقد مدح الإمام علي بن الحسين زين العابدين أمام هشام بن عبد الملك الذي كان ولي العهد في ذلك الوقت ، وأن الإمام السجاد أرسل إليه مبالغ مالية ، فأراد أن يردها ، لكن الإمام قال له : « بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا قَبِلْتَهَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَرَّفَنِي نَبِيَّكَ وَمَكَانَكَ » فإن مثل هذا الكلام لا يقال في حق أي شخص ، هذا بالإضافة إلى أن الناظر في قصيدته يجد فيها من المعاني العقائدية العالية والحماس الديني شيئاً كثيراً ، ولا يصدر مثل ذلك إلا عن من يكون من شيعتهم الخالص .

٣. والرأي الثالث ، ولعله الأوفق : أن الفرزدق لم يكن شاعراً ، على مستوى دعبل الخزاعي والكميت ممن كان الشعر جزءاً من جهادهم ومواقفهم ، وسلاحاً يدافعون به عن عقيدتهم ، ومنبر تبليغ لأفكارهم الدينية ، ولا يهمهم بعد ذلك أن كان الشعر طريقهم إلى الشهادة كما نقل عن دعبل الخزاعي في قوله : «إِنِّي أَحْمَلُ خَشْبَتِي عَلَى ظَهْرِي ٤٠ سَنَةً ، لَا أَجِدُ مَنْ يَصْلِبُنِي عَلَيْهَا» ، يعني كلمتي هي موقفي ، وأتحمل مسؤوليتها .

وربما نقل بعضهم أن الإمام عليا عليه السلام نصح أباه وقد وفد معه على الإمام أن يلزمه بحفظ القرآن حتى يكون شاعراً مهماً ، إلا أنه هذا لا يصح إذا صح ما قيل من ولادته سنة ٣٧ هـ . فإن الإمام أمير المؤمنين قد استشهد في سنة ٤٠ ، وهذا يعني أن عمره ذلك الوقت ثلاث سنوات ، فكيف يقول أبوه : أن ابني لشاعر .

فنحن نعتقد بالرأي الثالث، هو شاعر كان له موقف نفسي وقلبي مناصر لأهل البيت، وحدود نصرته اللسانية كانت - فيما نعلم - بالقصيدة المشهورة وأما نصرته العملية فلا نجد من ذلك أثراً واضحاً.

محطة زرود ولقاء ابن القين

فيما تجاوز الإمام عليه السلام الصفاح مواصلاً مسيرته وصل إلى زرود.^(١) وينقل التاريخ فيها حدثين مهمين: لقاء الإمام الحسين عليه السلام بزهير بن القين، ووصول خبر شهادة مسلم بن عقيل.

وفيما يرتبط بموضوع زهير بن القين، فمن الواضح أن دوره بعد التحاقه بالإمام الحسين كان متميزاً، إذ يعد في الطبقة الأولى من الأصحاب غير الهاشميين، وقد يثار كلام حوله من أنه كان عثمانياً الهوى قبل ذلك أو لا؟ لا بد أن نشير إلى أن تعبير «عثماني الهوى» عندما يطلق على أحد، فإنه يعني «أموي الهوى» ولكن بتعبير مخفف يقال «عثماني الهوى» إذ لا يوجد لعثمان خط ممتد ومستمر، وإنما هو الخط الأموي الذي كان مسيطراً حتى أيام الخليفة عثمان، حتى الجاحظ لما أراد أن يكتب في الافتخار بما هو ضد العلويين، ذكر في مدح العثماني بما يشمل بني أمية.

وفي الجواب عن ذلك ذكر العلامة الطبسي^(٢): إن أقدم مصدر وردت فيه

١- تعتبر المنزل الثامن عشر من جهة مكة المكرمة باتجاه كربلاء، وفي نصف الطريق تقريبا حيث أن المنازل ٣٧ منزلاً ومكاناً.

٢- مع الركب الحسيني، ج ٣/٢٠٩ فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت! فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكّاها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية! قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً! قال: أفلسست تستدل بموقفي هذا أي منكم؟ أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسواً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام...». وأما البلاذري فقد قال: «قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانياً، فانصرف من مكة متعجباً، فضمه الطريق وحسيناً فكان يسايره ولا ينازله، ينزل الحسين

هذه الصفة عنه هو تاريخ الطبري وكانت على لسان أحد أعدائه في محاوره بينهما يوم عاشوراء، ثم نقلها عن الطبري البلاذري وغيره، ومع كونها -أي الصفة- صادرة من أعدائه فلا يمكن أن تثبت هذه الصفة في حقه، بالإضافة إلى عدم وجود أي قرينة أو حادثة (من قول أو موقف) يشير إلى كونه عثماني الهوى، هذا مع علمنا بأنه حتى لو كان سابقاً كذلك لما ضره مع تبيينه الحق ووقوفه إلى جانبه ومناصرتة، فهذا الحر الرياحي كان على رأس جيش أموي جاء لقتال الحسين وأسرته إلا أنه ختم له بالسعادة والشهادة وحاز لقب (الحر كما سمتك أمك) فيما نقل من تأييد الحسين إياه.

بل إننا نجد قرينة مخالفة على ذلك، وهي ما نقله زهير نفسه، حين قال «غزونا بلنجر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: ^(١) أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم». ^(٢) وهذه الغزوة كانت بحدود سنة ٢٢ هـ، ومن الطبيعي أن لا يقول سلمان الباهلي مثل هذا الكلام إلا في من يشتره ويقيمه ولا ريب أنه لا يبيعه لشخص له توجهات أموية.

في ناحية وزهير في ناحية، فأرسل الحسين إليه في إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى! فقالت: سبحان الله! أبيعك إليك ابن بنت رسول الله فلا تأتيه؟ فلما صار إليه ثم انصرف إلى رحله قال لامرأته: أنت طالق! فالحقى بأهلك فأبى لا أحب أن يصيبك بسبي إلا خيراً. ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد! وصار مع الحسين».

١- تارة ينسب إلى الفارسي وأخرى إلى الباهلي، وقد جاء النص في كامل ابن الأثير ٤/٤٢ على أنه: «وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد..» ونعتقد أن العبارة منسجمة تماما فإن سلمان الفارسي وعلاقته بآل بيت محمد تقتضي مثل هذا الكلام، مع علم سلمان الخاص الذي أطلع عليه.. ولا نعرف شأن سلمان الباهلي وما هي علاقته أو معرفته بآل محمد وأنهم ماذا سيصنعون في المستقبل.. ولذلك ليس بعيدا ما ذهب إليه صاحب الركب الحسيني من أن تغيير الاسم في الطبري هو من التحريفات المتعمدة.. ولا يمنع ذلك أن يكون سلمان بن ربيعة الباهلي قائدا للجيش الذي غزا بلنجر، إلا أن هذا النمط من الحديث في ترغيب الناس بالالتحاق بشباب آل محمد مستقبلا، لا يتأتى منه، وإنما يتأتى من مثل سلمان الفارسي».

٢- تاريخ الطبري ٤/٢٩٩.

وما ذكره بعض المؤرخين من أن زهيراً كان يتحاشى في الطريق لقاء الإمام الحسين عليه السلام، فبالإضافة إلى عدم إمكانه في نفسه باعتبار أن المعروف أن زهيراً كان في الحج في تلك السنة كما ينقلون، وهذا يعني أنه متأخر في المسير عن الحسين بنحو خمسة أيام هي الفاصلة بين حركة الإمام الحسين يوم الثامن من ذي الحجة، وحركة زهير في أقرب فروضها وهي في يوم الثاني عشر بعد الظهر من ذي الحجة وقت نفرة الحجيج، ومع ذلك لا معنى لأن يتحاشاه،^(١) فإنه يسير خلفه بمسافة غير قليلة، على أن هذا لو تم لا يفسره كون الرجل عثماني الهوى أو أموي الاتجاه، وإلا كان علينا أن نقول إن كل الحجاج الذين أعرضوا عن الالتقاء بالحسين هم أمويو الاتجاه وهو واضح الخطأ. ثم إن الطبسي قد نقل عن أسرار الشهادة حادثة تتضمن حديث زهير بن القين مع أبي الفضل العباس، وقد أخذ الراية له من عبد الله بن جعفر بن عقيل وسلمها للعباس وحدثه بحديث عن خطبة أمه أم البنين لأبيه أمير المؤمنين بواسطة عقيل بن أبي طالب وأنه قد انتخب وأعد لمثل هذا اليوم، ليستفيد منها في بيان اطلاع زهير على خصوصيات البيت العلوي، وهذا ما لا يكون في أصحاب الاتجاه الأموي.

وقد ذكرتها في بعض المحاضرات، لكن بدا لي ملاحظات حولها:

منها أن صاحب أسرار الشهادة ينقلها من غير سند ولا أصل، وهو على جلالته شأنه إلا أنه يأخذ عليه البعض أنه يورد روايات كثيرة لا نجد لها أصلاً بين أيدينا، كما أنه ينقلها من غير إسناد، وبالتالي فإنه يصعب الاعتماد عليه كمصدر، وقد أشار العلامة الري شهري إلى ذلك بعنوان أن: «بعض المصادر المتأخرة روت معلومات حول أبي الفضل عليه السلام لا نراها في المصادر المعتبرة»^(٢) وذكر من الأمثلة على ذلك خبر حوار زهير مع أبي الفضل العباس.

١- الطبسي؛ مع الركب الحسيني ٢١٠/٣.

٢- الري شهري؛ موسوعة الإمام الحسين ٣٢٦/٤.

ومنها ما جاء في متن الخبر فإن عليه في عباراته ما يمكن التوقف فيه، مثل أن الراية كانت بيد عبد الله بن جعفر بن عقيل، فهذا لا تؤكد المصادر التي ذكرت تقسيم الإمام الحسين عليه السلام راياته، فلم تذكره في جملة من أعطي الرايات، بل المعروف أن العباس هو صاحب الراية فلا معنى لأن يأخذ زهير الراية (استعارة) من عبد الله بن جعفر ليعطيها للعباس.

ومنها ما جاء في أن العباس لما سمع ذلك من زهير (تمطى في الركاب حتى قطعه).

أقول: إن هذه الملاحظات وأمثالها قد لا تساعد الاعتماد على مثل الخبر المذكور لإثبات صلة زهير بالبيت العلوي.

خبر شهادة مسلم بن عقيل

وفي هذه المنطقة (زرود) أيضاً وصل إلى الإمام الحسين عليه السلام خبر شهادة ابن عمه وسفيره إلى الكوفة مسلم بن عقيل، وينقله الطبري عن رجلين أسديين لحقا بالإمام عليه السلام بعد حجه، ووصلا إليه في زرود فرأيا رجلا كوفيا انحاز عن الطريق، فسأله أحدهما عن خبر الكوفة، فقال: إنه ما خرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وأنه رأهما يجران بأرجلهما في السوق، فجاء هذان بالخبر إلى الإمام وأرادا أن يخبراه منفرداً، فقال: ما دون هؤلاء الاصحاب من سر، فلما أخبراه استرجع وترحم عليهما وحوالا في الإمام أن يرجع إبقاء على نفسه وأهل بيته وأنه ليس له ناصر في الكوفة، فوثب أبناء عقيل وقالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا، فقال الحسين: لا خير في العيش بعد هؤلاء^(١).

وفي تعليقنا على هذا الخبر الذي طريقة صياغته تريد أن توحى وكأن الحسين عليه السلام كان مندفعاً في حركته حتى إذا وصله خبر مسلم بن عقيل وشهادته عزم على تغيير فكرته تلك، لكن أبناء عقيل صمموا على مواصلة المشوار فانصاع الحسين لهم، نقول:

١- تاريخ الطبري ٤/ ٣٠٠.

إنه سبق القول منا أن طريقة إجابات الإمام الحسين عليه السلام تختلف بحسب المواقف المختلفة وبحسب الأشخاص أيضاً وهذا من الحكمة، فإن ما يجاب به المجاهد الفدائي والنصير المخلص عندما يسأله يختلف عن إجابة المتفرج (مثل هذين الأسديين اللذين لم يكلفا نفسيهما أكثر من استطلاع خبر الكوفة) ويختلف عن الحديث مع العدو، ولهذا فلا نرى أن ترتيب أمر الاستمرار في المسيرة على وثوب أبناء عقيل وعدم تنازلهم عن ثأرهم لا نراه صحيحاً، ذلك أن الإمام عليه السلام قد حدد أهدافه ومنطلقاته من الأيام الأولى التي خرج فيها من المدينة وأكدها في مكة المكرمة وفي الطريق، فلا يصح أن تتغير بين عشية وضحاها لأجل غضبة ثأرية، ثم متى كان آل عقيل يعينون للحسين مساره وتوجهاته حتى تكون هذه إحداها؟ إنما هم أعوان وأنصار يأترون بأمره ويسرون وفق توجيهه.

زيالة والخبر عن عبد الله بن يقطر

في مواصلة الإمام الحسين عليه السلام لمسيره، كان قد وجه عبد الله بن يقطر إلى الكوفة برسالة جوابية لمسلم بن عقيل، وكانت المفارز العسكرية الأموية المنتشرة في تلك المنطقة بقيادة الحصين بن نمير التميمي قد اعتقلت عبد الله هذا في القادسية، فأخذ مخفوراً إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة، فلما التقاه قال له ابن زياد: اصعد فوق القصر فالعن (الكذاب بن الكذاب) يقصد بذلك الحسين عليه السلام حتى أرى رأيي فيك، وكان عبد الله أذكى من ابن زياد، فصعد أعلى القصر، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس إني رسول الحسين بن فاطمة بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة وابن سمية الدعي، فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه.

وفي منطقة زباله، نعى الحسين عليه السلام الشهداء الثلاثة قائلاً: «إنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام»^(١) وكان الإمام عليه السلام يصفى من تبعه من النخالة والشوائب الذين تبعوه للدنيا، والطريف في الأمر أن بعض هؤلاء كان (ينصح) الحسين بأنه إنما يقدم على الأسنة وحد السيوف فالأفضل له أن يوصي الناس بأن يكفوا الحسين مؤونة القتال ويوطنوا له الأمور، حتى يأتي هو وأقواس النصر تنتظره، ولم يعلم أن الحسين عليه السلام لم يكن همه في غير الإنكار على المنكر وإقامة المعروف حتى لو أدى ذلك إلى مقتله، لذلك لم يناقشه الإمام عليه السلام لأنه كان يرى أن مستوى عقله لنهضة الحسين لا يسمح له بأن يفهم ماذا يريد الامام، فاكتمى بالقول له: إنه ليس يخفي عليّ الرأي ولكن الله لا يغلب على أمره.

حين تزود بالماء ليسقي أعداءه:

وفي زباله حيث جاءه خبر عبد الله بن يقطر، تزود بالماء ليسجل أعظم صورة في الأخلاقية الدينية والإنسانية عندما يسقي أعداءه الماء وخيولهم، ليذكر البشر بعلو المناقب الحسينية.

فإذا كانت سيرة أعدائهم أن يمنعوا عنهم الماء حتى يموتوا عطشاً، فإن مناقب آل محمد تأبى عليهم هذا السلوك مهما كان أعداؤهم سيئين، فليس العداة معهم شخصياً ولأن المسألة مسألة أحقاد وانتقام، وإنما فرق بينهم الدين والأحكام الشرعية، وهم ملتزمون بها هدفاً وأسلوباً. فقد أرسل ابن زياد والي الأمويين الجديد على الكوفة جيشاً من ألف مقاتل لمحاصرة الحسين عليه السلام واعتقاله قبل وصوله إليها وحيث جاء هذا الجيش منهكاً وعطشاً، اقترح بعض المرافقين على الإمام أن يواجههم فوراً، ويشتت

١- تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٠.

قوتهم، مستعيناً في ذلك عليهم بالعطش والتعب من مشوار الطريق، إلا أن الإمام الحسين عليه السلام -كسيرة آبائه- لا يفعل إلا ما يليق بإمامته؛ فكان أن أمر أصحابه بسقي الجنود الأمويين وأن يرشوا على خيولهم شيئاً من الماء لتبريد أجسامها^(١).

ويحق لنا أن نخاطب الإمام الحسين عليه السلام بما قاله الشاعر:

سقيت عداك الماء منك تحننا بأرض فلاة حيث لا يوجد الماء
فكيف إذا تلقى محبيك في غد عطاشي من الأجداث في دهشة جاؤوا

ولا ريب أن مثل هذه المواقف بالإضافة إلى أنها تخلد في الزمان وتعبّر الدهور، فإنها تؤثر بشكل أو بآخر فيمن يشاهدها، ولعل الحربن يزيد الرياحي وهو قائد الجيش الأموي، الذي انتهى به المطاف لأن يكون من شهداء النهضة الحسينية حين انتقل يوم العاشر إلى صف الحسين عليه السلام، كانت بداية اليقظة عنده من هذا الموقف ثم ما تلاه من مواقف وخطب حسينية.

وكان هذا (السلام) الذي واجه به الحسين عليه السلام، جيش الحر الرياحي قد أفسح الطريق نحو (رد السلام) المناسب، فكان أن استمع الحر إلى خطاب الحسين وسمح لأصحابه بالاستماع إليه، ثم صلى خلف الحسين جماعة لذلك وأمثاله كان الحر ميّالاً إلى حل المشكلة وعدم التورط بالمواجهة مع الامام، ولذلك نقل أنه قال له: «فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة لتكون بيني وبينك نصفاً حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت فلفل الله إلى ذلك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك».

١- المصدر نفسه / ٣٠٢: وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحربن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسياهم فقال الحسين لفتيانه اسقوا القوم واروهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً فقام فتيانه فرشفا الخيل ترشيفاً فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أروهم وأقبلوا يملؤون القصاع والاتوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمسا عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها..

ذكر هذه الجملة من نقل خطبتها، كالسيد ابن طاووس في اللهوف / ١٠٦. ولم يكن الحسين يسير إلا بسيرة جده المصطفى الذي ما دعي إلى أمرين أحدهما فيه الرفق إلا اختاره ولم يكن ممن الذين يعبدون العناد والتصلب. فالإمام الحسين - كما قلنا - وأهل البيت عليهم السلام، لم يكن - كبعض الناس - ممن يعبدون العناد، وإنما كان يرى ما فيه رضا الله سبحانه وتعالى وما فيه رفق بمن هو معهم، لذلك سأل من معه إن كان أحد منهم يعرف الطريق على غير الجادة.

إلا أن ذلك لم يكن يعني أن يسلم الإمام الحسين عليه السلام يده بيد قائد الجند الأموي حينها - بدعوى محبته للسلام وكرهته للحرب - وإنما خطب الحسين عليه السلام بعد أن صلى بالجميع، وأخبرهم أنه تمت مراسلته من أهل الكوفة (وبالطبع هذا أبلغ في الاحتجاج من أن يقول إني أعارض يزيد بن معاوية فقط، وإنما لا بد من الحديث عن أن هناك طلباً شعبياً عاماً لمجيء الإمام الحسين وشاهد ذلك هو الكتب الكثيرة التي عرضت في ذلك الموقع، ولهذا قال الحر الرياحي: «فإننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله ابن زياد فقال له الحسين الموت أدنى إليك من ذلك». (١)

١- الطبري ٤/ ٣٠٤ « ثم قال لأصحابه قوموا فاركبوا فركبوا وانتظروا حتى ركبت نساؤهم فقال لأصحابه انصرفوا بنا فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف فقال الحسين للحر: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قال أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله كائنا من كان ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين فما تريد قال الحر أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيد الله بن زياد قال له الحسين إذن والله لا أتبعك فقال له الحر إذن والله لا أدعك فترادا القول ثلاث مرات ولما كثرت الكلام بينهما قال له الحر إني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فإذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة لتكون بيني وبينك نصفا حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئت ففعل الله إلى ذلك أن يأتي بأمريرزقي فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك.

ولما وصلوا إلى عذيب الهجانات « فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم الطرماح بن عدي على فرسه وهو يقول:

يا ناقتي لاتذعري من زجري وشمري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر حتى تحلى بكريم النجر
الماجد الحر رحيب الصدر أتى به الله لخير أمر

وحين أراد الحر أن يمنع التحاقهم بالحسين عليه السلام، بزعم إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وأنا حاسبهم أو رادهم، فقال له الحسين: لأمنعنهم مما أ منع منه نفسي إنما هؤلاء أنصاري وأعواني وقد كنت أعطيتني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فقال: أجل لكن لم يأتوا معك قال هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي فان تمت على ما كان بيني وبينك وإلا ناجزتك قال فكف عنهم الحر».^(١)

وقد عرض الطرماح بن عدي الطائي على الإمام الحسين عليه السلام أن يغير خطته وأن يذهب معه إلى جبال طي، وكان من الطبيعي أن يرفض الإمام ذلك العرض، وحيث أنه كان يأخذ ميرة لأهله فقد رأى نفسه ملزماً بإيصالها إلى تلك الأحياء، ونتج عن ذلك أنه لم يدرك عاشوراء ولم يحظ بشرف الشهادة مع الإمام الحسين مع أنه كما قيل رجع من فوره لكن كان الفرصة قد ضاعت كما هي الكثير من الفرص التي تضيع من الإنسان.^(٢)

١- نفس المصدر/٣٠٦.

٢- في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: اغتتموا الفرص فإنها تمر مر السحاب.

يوميات الإمام الحسين في كربلاء

ربما يكون من المناسب التعرض -ولو باختصار- إلى الشخصيات التي تولت أمر قتل الإمام الحسين عليه السلام ، ومن الطبيعي هنا أن يشار إلى رأس النظام السياسي آنئذ وهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكان عمره حين ارتكب جريمة قتل الإمام عليه السلام ٣٥ سنة، إذ من المعروف انه ولد سنة ٢٦ هـ وعاش في طفولته ضمن أجواء وبيئة أمه المسيحية ميسون بنت بجلد الكلبية، وبالرغم من أن قبيلتها كانت تنتمي إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، ويفترض أن الأرثوذكس متعصبون لعقائدهم إلا أنه يظهر من بعض القرائن أن يزيد نشأ في طفولته وشبابه بعيداً عن حالة الالتزام الأخلاقي والديني فلا هو متأثر بجو مسيحي ملتزم ولا هو في جو اسلامي ملتزم، ومن ذلك غلب عليه العبث والفسق وظهور هذا الأمر منه حتى نصحه والده أن يخفف من التظاهر بالانحراف أمام الناس وفي وضح النهار -لأن يمتنع عنه - وأن يستعين بدل ذلك بستر الليل .

فانضم إلى حداثة السن وعدم التجربة والحكمة، عدم توفر جو أخلاقي أو ديني ملتزم، لينتج شخصية ارتكبت خلال ثلاث سنوات من عمره في الخلافة ثلاث فظائع، الواحدة منها أعظم من الأخرى (قتل الحسين، واقتحام المدينة النبوية، ومهاجمة مكة وحرق الكعبة).

والشخصية الأخرى؛ كان عبيد الله بن زياد، وعمره حين ارتكاب الجريمة ٢٩ سنة فإنه ولد حوالي سنة ٣٢ هـ، وهذا الآخر بالإضافة إلى صغر سنه وعدم حكمته في الحياة لا ريب كان يعيش مركب النقص عندما يرى موقع الإمام الحسين عليه السلام من جهة أمه وأبيه وجدته، وفي المقابل يرى أن أمه مرجانة (المجوسية) المتهمه به كما ذكر مؤرخون، ويرى أباه الذي كان ابن (أبيه) واضطر أن يأخذ (إضافته) إلى أبي سفيان بعد نحو خمسة عقود

من ولادته بعملية جراحية مخزية، وفي المقابل يرى منزلة الحسين عند الله وبين الناس لذلك لا نستغرب أن يرسل رسالة إلى عمر بن سعد، أنه: « فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فاحذف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم»^(١)، وفي بعض المصادر أنه قال بعد ذلك «وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَلَكِنْ لِأَمْرِ فِي نَفْسِي» مما يشير إلى النوازع النفسية المعوجة والحاكمة في داخله.

ويستطيع الباحث أن يتتبع الإشارات الواضحة في المواقف المتعددة على الخلل النفسي في هذه الشخصيات فضلاً عن المراهقة والتهور في القرارات. وعمر بن سعد بن أبي وقاص (عمره ٣٨ سنة) قائد الجيش الذي كان يتنازعه حب الدنيا (وهو رأس كل خطيئة) والرئاسة، ويعارض ذلك الشعور بالنسب والعلقة الرحمية من جهة والتأثم من قتل الحسين عليه السلام ولكن انتصر عنده الأول وطوى كل نداء للضمير، ولكم أتاحت له من فرصة ليتخلص من جريمة القتل تلك، لكنه كان يتمثل (ولكن لي في الري قرّة عين)، ولأن عبید الله بن زياد كان يعرف نقطة الضعف هذه عنده فكان يلسعه بسياط العزل منها، ففي أول الأمر وقد كان متجهزاً للذهاب إلى منطقة ولايته الجديدة (الري) ربط ابن زياد (وهو أصغر منه بعشر سنين) ولايته على الري ودشتي بالفراغ من قتل الحسين وبذل عمر محاولات كثيرة للتملص من الربط ذاك، واقترح عليه أن يبعث لقتال الحسين غيره، لكن ابن زياد كان يعرف أي جرح ينكشه فيه.

ورابع القتلة هو شمربن ذي الجوشن الضبابي وابن راعية المعزى،^(٢) ويظهر

١- الكامل في التاريخ ٥٥/٤.

٢- مستدرک سفينة البحار ٤٤/ عن مثالب العرب لابن الكلبي ان امرأة ذي الجوشن -يعني أم الشمرب- خرجت من جبانة -مقبرة- السبيع إلى جبانة كندة فعطشت في الطريق ولاقت راعياً يرعى الغنم فطلبت منه أن يسقيها الماء فأبى أن يعطيها الا بالإصابة منها فمكنته فواقعها الراعي فحملت بشمرب. فأصبح هذا الفعل سبة عليه حيث ناداه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: (يا ابن راعية

من مواقفه أنه من مصاديق من عبر عنهم القرآن الكريم بـ (القردة والخنازير وعبد الطاغوت) ^(١)، ومنذ أن التحق بالخوارج مضاداً لأُمير المؤمنين ^(٢) عليه السلام ، ثم انتمى لبني أمية، محرصاً على قتل الحسن المجتبي، ومخذلاً للناس عن مسلم بن عقيل في الكوفة بعد مجيء ابن زياد، وأخيراً قائداً لفرقة من الجيش مع تحريضه أميره ابن زياد على أن يعزل عمر بن سعد عن قيادة الجيش بكامله ليأخذها هو، وأخيراً لكي يختم الكلب الأبقع صحيفته السوداء بذبح الحسين عليه السلام .

ولم يذكر المؤرخون تاريخ ميلاده أو عمره حين هلك مقتولاً بيد أنصار المختار الثقفي، لكننا نعتقد أنه ربما كان حين شارك الخوارج في خروجهم على الإمام عليه السلام بين العشرين والخامسة والعشرين، وبناء عليه يكون ميلاده بين ١٠ إلى ١٥ هـ، وعمر الشقي في كربلاء ربما يكون بحدود ٤٠ - ٤٥ سنة.

(المعزى). وموضوع عدم الطهارة في أمهات قتلة الحسين يشكل ظاهرة غالبية، ولا نشك أن له تأثيراً في سلوك هؤلاء، لا سيما وقد أشار الأئمة عليهم السلام لذلك فمنه ما قاله الحسين عليه السلام (يا أبا الله ذلك لنا ورسوله .. وحجور طابت وطهرت)، كما أشار إليه الإمام زين العابدين بقوله (أنا ابن نقيات الجيوب، أنا ابن عديمات العيوب)

١- عباد الطاغوت: أولئك الذين لا مانع لديهم أن يرتكبوا الفجائع ما دام «الأمر» أو «الحاكم» قد أمرهم بذلك، حتى لو كان أمرهم الرب العظيم بخلافه، لقد سأله أحدهم وقد سمعه يدعو بمغفرة الله: كَيْفَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، وَقَدْ حَرَجْتَ إِلَى ابْنِ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَعَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ؟ قَالَ: وَجُحُكَ، فَكَيْفَ نَصْنَعُ، إِنَّ أُمَّرَاءَنَا هَؤُلَاءِ أَمَرُونَا بِأَمْرٍ، فَلَمْ نُخَالِفْهُمْ، وَلَوْ خَالَفْنَا هُمْ كُنَّا شَرًّا مِنْ هَذِهِ الْحَمْرِ السَّقَاةِ!. أقول: لا ريب أن الحمار (إذا كانت الحمر جمع حمار) أشرف منه وأعقل. وكذلك لو كانت جمع حمراء تعبيراً عن الموالي.

٢- مما يضحك الثكلى انتشار بعض الكلمات التي لا أصل لها من أنه كان من خلص أصحاب الإمام علي وأنه حج سبع عشرة مرة وأنه .. فأما موضوع صحبة الإمام علي فهذا من الأخطاء الشائعة عند الكثير، ولم يلتفتوا إلى أن الإمام عليا كان خليفة المسلمين جميعاً، فكون شخص ما في جيشه يفرضه طبيعة الجيش الرسمي، الذي يضم شيعة الإمام الحقيقيين كما يضم الخوارج ويضم المنافقين، الذين يعارضونه! ولذلك ينبغي الالتفات لهذه القضية على أن الأمور بخواتيمها ولو فرضنا أنه كان من أصحاب الإمام (وهو فرض غير صحيح) فلا ينفعه ذلك ما لم يستمر على المنهج الصحيح باتباع أبنائه الظاهرين. وكذلك الحال في موضوع الحج أو قراءة القرآن فهذا كله لا يشفع للإنسان وهو سيرتكب أعظم جريمة في حق الدين.

والملفت للانتباه أن هؤلاء جميعاً وقد ارتكبوا ما ارتكبوا كانوا يريدون أن يتمتعوا في هذه الحياة الدنيا، إذ لا أمل لهم في الأخرى، ولكنهم كما أضعوا تلك لم يحصلوا على هذه، فلم يبق أطولهم بقاء بعد واقعة كربلاء سوى ٦ سنوات، وتحقق فيهم «بشر القاتل بالقتل ولو بعد حين».

هؤلاء القتلة هم الذين سيشكلون المشهد الأساس في مقتل الإمام الحسين عليه السلام لذلك أحببنا أن نعرض للتعريف بهم وبنوازعهم^(١) ونحن نريد سرد يوميات الحركة الحسينية منذ الوصول إلى نينوى في يوم الأربعاء الحادي من شهر محرم ٦١ هـ ونينوى تقع شرق كربلاء، لبيات فيها ليلة الخميس وليفد إلى كربلاء في اليوم التالي كما صرح بذلك المحقق الكرياسي^(٢). في الكوفة كان عمر بن سعد بن أبي وقاص، قد جهّز له جيش، بحوالي ٤٠٠٠ رجل؛ لكي يتوجه لحكم الري ودستبي (معرب دشتبي) وهو سهل واسع بين الري وهمدان ألحق فيما بعد بقزوين وأمره ابن زياد بالقضاء على فتنة الديالمة^(٣) فعسكر ابن سعد مع أربعة آلاف مقاتل خارج الكوفة، لكنه ما لبث أن استدعاه قبل أن يتحرك إلى ولايته تلك لقتال الحسين عليه السلام.^(٤)

١- لا ريب أن الأمر يحتاج إلى بحث أكثر من هذا المقدار في تحليل شخصيات هؤلاء غير السوية، وربما يمكن الاستعانة ببعض الخبراء النفسيين ليحللوا المعلومات المتوفرة عنهم. وبأي مقدار كانت تؤثر فيهم لارتكاب تلك الجريمة.

٢- الكرياسي: الأطلس الحسيني ٤٤٧/٢.

٣- الدينوري، الأخبار الطوال، ص ١٥٣.

٤- في تفصيل ذلك قال ابن الأثير في الكامل ٥٣/٤: وكان سبب مسيره إليه أن عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف إلى دستبي، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وكتب له عهده على الري، فعسكر بالناس في حَمَام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له: سر إلى الحسين فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عمك. فاستعفاه. فقال: نعم، على أن تردّ عهدنا. فلما قال له ذلك قال: أمهلني اليوم حتى انظر. فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه، وأتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خالي أن تسير إلى الحسين فتأثم وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض لو كان لك خير من أن تلقى الله بدم الحسين! فقال: أفعل. وبات ليلته مفكراً في أمره، فسمع وهو يقول:

أترك ملك الرّي والرّي رغبة
أم ارجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها
حجاب وملك الرّي قرّة عين

وكما انتهى الصراع عنده بحقيقة أنه أتريد أن أترك الري تصير لغيري؟^(١) وخادعها بقوله: فإني أتوب إلى الرحمن من سنتين، فهذا هو الآن متجه إلى كربلاء ليصلها في اليوم الثاني أو الثالث وهو الأرجح من محرم سنة ٦١ هـ.^(٢) وبعد أن استقربهم المقام خطب الإمام الحسين فيهم فقال: «أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما.

فقام زهير (بن القين) وقال: سمعنا يا ابن رسول الله مقاتلك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها. وقال برير (بن خضير): يا بن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

وقال نافع بن هلال: أنت تعلم أن جدك رسول الله لم يقدر أن يُشرب الناس محبته ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمر من الحنظل حتى قبضه الله إليه وإن أباك علياً كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى

ثم أتى ابن زياد فقال له: إنك قد وليتني هذا العمل وسمع الناس به، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك فافعل وابعث إلى الحسين من أشراف الكوفة من لست أغنى في الحرب منه، وسمى أناسا. فقال له ابن زياد: لست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث، فإن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا.
١- الفتوح ٩٦/٥.

٢- المقرّم، عبد الرزاق: مقتل الحسين عليه السلام / ٢٢٩ وكان الإمام الحسين عليه السلام قد وصل قيل ذلك وكان الحريسايره، «ويقال: بينا هم يسرون، إذ وقف جواد الحسين، ولم يتحرك، كما أوقف الله ناقة النبي صلى الله عليه وآله عند الحديبية، فعندها سأل الحسين عن الأرض، قال له زهير: سر راشدا، ولا تسأل عن شيء، حتى يأذن الله بالفرج، إن هذه الأرض تسمى الطّف. فقال عليه السلام: فهل لها اسم غيره؟ قال: تعرف كربلاء. فدمعت عيناه وقال: اللهم أعوذ بك من الكرب والبلاء، ها هنا محطّ ركابنا، وسفك دماننا، ومحلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول الله.

إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه والله مغن عنه، فسر بنا راشداً معافى مشرقاً إن شئت أو مغرباً فوالله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نيائنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك.^(١)

ملاحظات في موضوع التوقف في كربلاء

١. لم أعثر على مصدر قديم يثبت -ولا يعني ذلك عدم وجوده- توقف الفرس الذي كان يركبه الإمام الحسين عليه السلام، حينما وصل إلى كربلاء، فالمنقول غالباً هو في المصادر المتأخرة، مثل المنتخب للطريحي، وينايع المودة للقندوزي، وربما لهذا السبب قال المحقق المقرم (ويقال) ثم نقل الخبر كما تجد نصه في الهامش وذكر أيضاً في بعض المصادر عن المقتل المنسوب لأبي مخنف الأزدي، والمحققون على نفي نسبته إليه.

٢. فيما لو ثبت بنقل صحيح -بأي نحو تم تعريف الصحة في الموضوع التاريخي- فلا نجد مانعاً من قبوله بعدما كان الأمر غيبياً وله نظائر فقد نقل^(٢) أن نبينا المصطفى محمداً صلى الله عليه وآله في طريقه إلى الحديبية، ولما وصل إلى ثنية المرار، وكان المقرر أن يحدث في ذلك المكان صلح الحديبية، بركت ناقته القصواء، وهي ناقه ناهضة نشيطة قوية، لكن بركت وما تحركت، بعثوها فلم تنبعث. فقال: بعض من كان معه: خلأت الناقة، خلأت القصواء، يعني: صارت عندها حالة معينة فلم تتحرك، فقال: «مَا خَلَأَتِ النَّاقَةَ، وَمَا ذَلِكَ لَهَا بِجُلُوقِي، وَإِنَّمَا حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ». فالقضية غيبية، فالله سبحانه وتعالى الذي حبس الفيل عن أن يهاجم الكعبة حبس هذه الناقة عن الاستمرار.

وكذلك ينقل في قضية هجرته صلوات الله عليه، لما وصل إلى المدينة،

١-المقرم / ٢٠٠.

٢- ابن هشام / السيرة النبوية ٣ / ٧٧٦.

وطمع كل حي من أحياء المسلمين، وكل قبيلة أن يكون النبي عندها، فألقى النبي خطامها على عنقها، وجعل رحله عليها، وقال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» إلى أن توقفت من تلقاء نفسها.

٣. ثم إن الكثير من المصادر قد نقلت تساؤل الإمام الحسين عليه السلام عن اسم تلك الأرض، وقد فسره المرحوم المقدم بتساؤل العارف ليلفت نظر من معه بل من يأتي من بعده إلى الخصائص التي ستقال بعد ذلك التساؤل، ومن دون ذلك السؤال وترتب الجواب عليه ربما لا يكون هناك مناسبة للحديث عن هذه الخصائص ونظر له بما في القرآن بأنه «إذا كان فاطر الأشياء الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً يقول لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(١) ويقول لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ﴾^(٢) لضرب من المصلحة وقال سبحانه للخليل عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تَوْمَنَ﴾؟^(٣) مع أنه عالم بإيمانه فالإمام المنصوب من قبله أميناً على شرعه لا تخفى عليه المصالح» وهو كلام سليم ومتمين، فإنه سياتر على هذا أن يعرف موسى العصا بأنها عصا عادية، ليقول له ربه: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(٤) وهكذا عندما يقول لعيسى ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾؟ حتى ينفي عيسى ذلك بالصراحة ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾^(٥).

والذي يدل على كلام السيد المقدم أن الإمام الحسين عليه السلام كان مع أبيه في مسيرهم إلى صفين ورأى أن أباه توقف لتلقاء نينوى وتحدث عن شهادة آل محمد هناك..

١- سورة طه: آية ١٧.

٢- سورة المائدة: آية ١١٦.

٣- سورة البقرة: آية ٢٦٠.

٤- طه: ١٩-٢٠.

٥- المائدة: ١١٦.

اليوم الثالث من محرم ٦١هـ الجمعة

وصل عمر بن سعد بن أبي وقاص، ومعه ٤٠٠٠ مقاتل ليضم الحراريحي بجنده إليه، ويصبح المجموع ٥٠٠٠ آلاف شخص، وكانت رسالة من الحراريحي قد وصلت إلى ابن زياد في اليوم الماضي يخبره فيها بأن الحسين نزل كربلاء، فأرسل ابن زياد، إلى الحسين رسالة يدعوه فيها إلى البيعة ليزيد بن معاوية والنزول على حكمه هو وحكم يزيد، بهذا النص «أما بعد يا حسين، فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ألا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخبز (الخمير)، أو ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام.

فلما ورد الكتاب قرأه الحسين ثم رمى به ثم قال: لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق. فقال له الرسول: أبا عبد الله جواب الكتاب؟ قال: ما له عندي جواب لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب، فحين أخبر الرسول ابن زياد ذلك، غضب من ذلك أشد الغضب.^(١)

ولقد كانت هذه الحركة من الإمام عليه السلام بالاستهانة بعبيد الله بن زياد أمضى من سنان يمزق قلبه، ذلك أن ابن زياد قد تعود من العبيد الذين هم حوله أن يسارعوا إلى إرادته بدون أن يأمرهم، فإذا بالحسين عليه السلام لا يراه مستحقاً حتى لجواب من سطين، لقد هشم شخصيته كلوح زجاج تناثر على الأرض، ولا ريب أن هذه الحادثة وأمثالها من الدوافع الشخصية والنفسية كانت تحرك ابن زياد في هذه المرحلة وما بعدها بشكل أكبر من سائر الدوافع، وقد استغل شمر بن ذي الجوشن هذه الجهة عنده لكي يسجرتنور الغضب في داخله، لا على الحسين فحسب بل على عمر بن سعد الذي كان يريد أن يتخذ حلاً وسطاً يجعله لا يتورط في قتل الحسين من جهة ويؤمن له الذهاب سريعاً إلى بلاد الري رغبتة ومنيته كما سنرى في الأيام التالية.

وفيما كانت أعداد المقاتلين تتوارد إلى كربلاء على دفعات، كما ذكر ذلك في الأعيان^(١): «جاءه شمر^(٢) في أربعة آلاف ثم اتبعه ابن زياد بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين والحسين بن تميم السكوني في أربعة آلاف وفلان المازني في ثلاثة آلاف ونصر ابن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألف فارس تكملت عنده إلى ست ليال خلون من المحرم، وبعث كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف وشبث بن ربعي الرياحي في ألف وحجار بن أجمري في ألف فذلك خمسة وعشرون ألفاً وما زال يرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل، هكذا ذكره المفيد في الارشاد وهو المروي عن الصادق».

على الطرف الآخر كانت هناك محاولات حثيثة من قبل عمر بن سعد لكي ينصرف عن خوض القتال إلى الاستمتاع بولاية الري، وزعم أنه يجب أن يعافيه الله من هذه المعركة، ولذلك فقد دج كتاباً كذاباً على لسان الحسين عليه السلام، وأرسله لابن زياد.

ونشطت سوق الدعايات، فبعد أن دعا الحسين عليه السلام عمر بن سعد للحديث معه بين الصفيين وكان كارهاً لذلك لأنه علم أنه سيقوم بنصحه وتذكيره، لكن لم يجد بُدّاً من لقاء الإمام عليه السلام، ولعله بعد ذلك نقل صورة عن اللقاء لكل جماعة بحسب ما تهواه، ولذلك فإن ابن الأثير في الكامل^(٣)، ينقل بعنوان «وتحدّث الناس أنّ الحسين قال لعمر بن سعد.. كذا وكذا» وبشكل أكثر صراحة قال: «وتحدّث الناس بذلك ولم يسمعه» لا سيما عندما نقل هؤلاء الناس الذين لم يسمعوا!، أن الحسين عليه السلام خيرهم أن يقبلوا منه أحد ثلاث، أن يرجع إلى مكانه الأول أو

١- أعيان الشيعة ١/٥٩٨.

٢- كأن في الأمر تأملاً إذ أنه سيأتي أن شمرا بن ذي الجوشن سيأتي في اليوم التاسع ومعه رسالة من ابن زياد يهدد فيها عمر بن سعد بأن يزحف على معسكر الحسين أو فهو معزول ويكون القائد شمر بن ذي الجوشن. وكونه جاء في أول الأيام ثم رجع إلى الكوفة ليعود مرة أخرى يوم التاسع لا توجد قرائن عليه.

٣- الكامل في التاريخ ٤/٥٤.

أن يضع يده في يد يزيد فيرى في الحسين رأيه، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور. هذا بالرغم من أنه نقل ما روي عن عقبه بن سمعان^(١) أنه قال: صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنه يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين..^(٢)

وأظن - والله العالم - أن عمر بن سعد أراد أن يصنع ما يشبه الرأي العام والضغط الشعبي من جهة المقاتلين لتغيير القرار السياسي بجمية المعركة العسكرية، فمن جهة «سرب» حلولاً مقترحة يمكن أن تلامس رغبة الكثير من المقاتلين الذين لا مصلحة واضحة لهم في القتال بل قد يفقدون حياتهم في المعركة، ومن جهة أخرى أرسل رسالة تصالحية لابن زياد في الكوفة هذا نصها «أما بعد فإنّ الله أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أقبل منه أو أن نسيره إلى أيّ ثغر من الثغور شئنا، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رضى وللاّمة صلاح».^(٣)

وبالرغم من أن ابن الأثير ذكر في كتابه أنه: لما قرأ ابن زياد الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأمره، مشفق على قومه، نعم قد قبلت. إلا أنني أستبعد جداً أن يقول قبلت وينهي الموضوع ولا أشك أن الأمر هو من إضافات الرواة أو المؤلف، ولا سيما مع وجود اتجاه عند بعض المؤرخين يحيل مسؤولية الجريمة عن الرأس الأصلي إلى الحاشية، فهم في موضوع يزيد ومسؤوليته يحيلونها إلى ابن زياد وأن يزيد لم يكن راضياً، وفي موضوع ابن زياد يحيلونها إلى شمر بن ذي الجوشن وهكذا.

١- مرت ترجمته في أول الكتاب.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٥٤/٤.

٣- نفس المصدر ٥٥/.

لذلك فإن صاحب الكامل، قال بعد هذا فوراً: «فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوّة والعزّة ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كنت وليّ العقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك، والله لقد بلغني أن الحسين وعمر يتحدثان عامّة الليل بين العسكرين». على أن شخصية ابن زياد تخالف ما هو المذكور، فلم يكن أمر التهذئة والسعي وراء الحلول السياسية الناتجة عن المفاوضات في فكره أبداً، ويدلك على هذا سعة وكيفية الاستعدادات لقتال الإمام الحسين، إذ أنه مع علمه بأنه حين وصل الحسين عليه السلام كربلاء لم يكن يزيد عدد معسكره يزيد - في أكثر الاحصاءات مبالغة - على ثلاثمائة شخص، ومع ذلك دفع له ابن زياد بمائة ضعف من المقاتلين (٣٠٠٠٠)، إن مثل هذا لا يفكر أبداً في موضوع المصالحة ويقول على الفور قبلت. كذلك فإن طباعه النفسية لم تكن تسمح له بذلك فإن منطق (فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره) هو المتحكم به والدافع له، لذلك نعتقد أن ابن زياد لم يكن بحاجة كبيرة لتحريض شمر بن ذي الجوشن إياه على الحسم العسكري أو الإذلال عند التسليم، كما سبق في حوارهما.

اليوم الرابع والخامس والسادس من محرم

في هذه الأيام كانت أعداد المقاتلين الأمويين تترادف في الوصول إلى كربلاء، ونفترض أن حبيباً بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه قد وصل في هذه الأيام، ولعله في اليوم الرابع أو الخامس، ولما يتمتع به من وجهة وموقع تاريخي في الولاء لأهل البيت عليهم السلام فقد أخذ موقعه المتميز حتى أنه في يوم العاشر أعطي راية من الرايات.

ويظهر أن اللقاءات والرسائل كانت بين الإمام الحسين عليه السلام وعمر بن سعد تكثر، وفيما كان عمر يحاول أن يجترح حلاً سلمياً مستحيلاً، كان الإمام الحسين عليه السلام -كعادته في الرحمة- يحاول إنقاذ عمر بن سعد من الغوص في هذا المستنقع الآثم في تنفيذ مأساة كربلاء، وتعددت أشكال الجواب له، فتارة يقول له: إن أهل الكوفة هم الذين دعوني وكتبوا لي أن أقدم، وأخرى يخاطب فيه الدوافع الشخصية فيقول له: ويحك يا بن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك أن تقاتلني؟ وأنا ابن من علمت من رسول الله صلى الله عليه وآله، فاترك هؤلاء وكن معي فإني أقربك إلى الله عز وجل، فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله أخاف أن تهدم داري، فقال له حسين رضي الله عنه: أنا أبنيها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي، فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز. قال: فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين رضي الله عنه وهو يقول: ما لك ذبحك الله من على فراشك سريعاً عاجلاً ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فو الله إني لأرجو أن لا يأكل من بر العراق إلا يسيراً»^(١).

يظهر أنه في اليوم السادس اكتمل عدد الجيش الأموي فقد كان أربعة الاف وأصبح ثلاثين ألف مقاتل كما مر ذكره وهذا يدل على مجهودات مكثفة على تعبئة الجيش بهذه الأعداد الهائلة، وهناك روايتان تدلان على ان العدد كان ثلاثين ألفاً؛ أحداها ما روي من «إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ يَوْمًا إِلَى الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ بَكَى، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَبْكِي لِمَا يُصْنَعُ بِكَ. فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الَّذِي يُؤْتِي إِلَيَّ سَمٌ يُدْسُ إِلَيَّ فَأَقْتُلُ بِهِ، وَلَكِنْ لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ! يَزْدَلِفُ إِلَيْكَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ، يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّةٍ جَدْنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَيَنْتَحِلُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى قَتْلِكَ،

١- الكوفي؛ ابن أعمش: الفتوح ٩٣/٥.

وَسَفَكَ دَمَكَ، وَأَنْتِهَائِكَ حُرْمَتِكَ، وَسَبِي ذُرَارِيكَ وَنَسَائِكَ، وَأَنْتِهَابِ ثَقَلِكَ»^(١).
ومثله ما نقل عن الإمام السجاد عليه السلام : «ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه السلام : ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغيا وظلما وعدوانا»^(٢).

التمنيات الكاذبة

نلتقي في أحداث كربلاء بشخصيات متعددة، ومن تلك الشخصيات أصحاب التمنيات الكاذبة، الذين يتمنون دائماً ولا يعملون لتحقيق تلك التمنيات ما تستحق من جهد وعمل وموقف، ويذكرنا موقفهم هذا بقول الشاعر:
أتمنى في الثريا مجلسي والتمني رأس مال المفلس!
قرة بن قيس الحنظلي أحد هذه النماذج فإنه جاء برسالة من عمر بن سعد إلى الإمام الحسين عليه السلام ، فلما أداها وأراد الانصراف، وكان يعرفه حبيب بن مظاهر الأسدي، فدعاه للبقاء معهم، وقال له: ويحك يا قرة بن قيس أتى ترجع إلى القوم الظالمين انصر هذا الرجل الذي بأبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك فقال له قرة أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي^(٣) قال فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر.. وبالطبع لم يرجع.

وحصلت له فرصة أخرى في موقف آخر يوم عاشوراء، إذ كان بجانب الحر بن يزيد الرياحي، والحر يفكر، ثم أخذه مثل الإفكل (الرعدة)، ورآه يتحرك قليلاً، وقال له: يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: إنما تريد أن

١- الصدوق، الأمالي / ١٧٧.

٢- المصدر نفسه ٥٤٧.

٣- تاريخ الطبري ٣١١/٤.

تسقيه قال فظننت والله أنه يريد أن يتنجى فلا يشهد القتال وكره أن أراه حين يصنع ذلك فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فساقيه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، قال: فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين.^(١)

أقول: لا ريب أنه كان كاذباً، فقد تواردت عليه الفرص واحدة بعد أخرى ومع ذلك كان يعرض عنها. ثم لقد رآه قد انضم إلى معسكر الحسين وبين انضمامه ومقتله حوالي نصف نهار، ألم تكن هذه كافية له لكي ينسل وينضم إلى المعسكر الحسيني؟ لكنه التمني الكاذب.

نقل أيضاً أنه في مساء يوم السادس استأذن حبيب بن مظاهر الإمام الحسين لدعوة حي من بني أسد لما فيه خير آخرتهم لنصرة الحسين فأذن الحسين له، ولما وصل إليهم قال: إني أدعوكم إلى شرف الآخرة وفضائلها وجسيم ثوابها أنا أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله نبيكم صلى الله عليه وآله فقد أصبح مظلوماً، دعاه أهل الكوفة لينصروه فلما أتاهم خذلوه وعمدوا عليه ليقتلوه.

فاستجاب له سبعون شخصاً وكان من بينهم عبد الله بن بشر الأسدي، فقال: أنا أول من يجيب هذه الدعوى ثم جعل يرتجز.

قد علم القوم إذا تواكلوا وأحجم الفرسان أو تناقلوا
إني شجاع بطل مقاتل كأنني ليث عرين باسل

وخفوا إلى نصرة الإمام إلا أنه كان في المجالس عين لابن سعد فأسرع إليه وأخبره بذلك، فجهز مفرزة من جيشه بقيادة جبلة بن عمر فحاولوا بينهم وبين الالتحاق بالحسين.^(٢)

١- المصدر نفسه ٣٢٥.

٢- البلاذري؛ أنساب الأشراف ٣/ ١٨٠ والقرشي؛ حياة الإمام الحسين ٣/ ١٤٢.

اليوم السابع والثامن من محرم

تتحدث الروايات هنا عن أن مقاتلي بني أمية بعدما أحاطوا بشريعة الفرات وجعلوا عليها حراساً يمنعون من يأتي إليها من الاستقاء وحيث أن الماء قد نفذ من مخيم الإمام الحسين عليه السلام فقد أخذ العباس بن علي بن أبي طالب عدداً من بني هاشم وأنصارهم وجاءوا إلى النهر لكي يملؤوا قربهم وأوعيتهم ولما لم يسمحوا لهم بذلك هاجموا الفرقة المكلفة بالحراسة وأزالوها عن موقعها وملأوا الأوعية والقرب .

التاسع من محرم

وصول بعض الرسائل الجديدة من عبيد الله بن زياد منها رسالتان حملهما شمر بن ذي الجوشن الذي وصل كربلاء في هذا اليوم .

أحدى هاتين الرسالتين هي رسالة (أمان) للعباس بن علي بن أبي طالب واخوته عبد الله وعثمان وجعفر وهم أبناء أم البنين وكان هذا الأمان من أحد أقاربهم من جهة الأم وكان يريد بهذه الطريقة إبعادهم عن الحسين ومن الواضح ان العباس رفض كتابهم .

الكتاب الثاني كان إلى عمر بن سعد جاء فيها: إني لم ارسلك للحسين حتى تمنيه السلامة وتقاوله وتحدث معه - حيث كان كل ليلة يجالسه ولا يبدو عليه نية الحرب - ان نزل الحسين على طاعة يزيد فذلك المراد وإلا فاحمل عليه وإذا قتلته فأوطئ الخيل صدره وظهره واعلم ان ذلك لا يضره ولكن لقول قتلته .

عندما وصلت هذه الرسالة صلى الجميع صلاة العصر من يوم التاسع من المحرم وأخذ الحسين غفوة، هنا بدأت طبول الحرب تدق وتحرك الجيش الاموي كله في حركة بسيطة نحو الحسين إشارة الى ان القتال سيبدأ بعد قليل فنبهته العقيلة زينب مخبرة إياه أبا عبد الله أراقد انت وقد بدا الجيش

يتحرك فقام الحسين وقال للعبّاس: أخي ابا الفضل اسألهم ما الذي حركهم وماذا يريدون؟ فذهب العباس لهم فقالوا له: كتاب وصلنا أما أن تسلموا لحكم يزيد او نناجزكم القتال الان قال امهلوني ريثما أخبراخي الحسين وارجع اليكم، فذهب للحسين وأخبره بما قالوا، فقال له الحسين عليه السلام: سلهم أن يمهلونا سواد هذه الليلة حتى نصلي لربنا ونقرأ القرآن فانه يعلم اني احب الصلاة وقراءة القرآن - أي تتودع من الصلاة والقران - وذهب أبو الفضل بالفعل وسألهم ذلك، ومع أن البعض كان يزايد على البدء في القتال وعدم التأخير، إلا أن هناك من أحجلهم بالقول: ويحكم لو كانوا من كفار التترك أو الديلم وسألوكم لتركتموهم فكيف وهم من علمتم؟

مختصر مقتل الإمام الحسين عليه السلام

اليوم العاشر^(١)

أيها الناس إليكم الأنموذج

عبرة وعبرة

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة.

بالرغم من أن يوم العاشر من شهر محرم الحرام هو يوم المصيبة الكبرى والفاجرة العظمى، وأنَّ شجى المصيبة وأسى الفاجعة يخيِّم على النفوس ويعيش في القلوب ويظهر في العيون دموعاً، إلا أنه ينبغي أيضاً أن ننطلق إلى جانب العبرة بعد العبرة، وجانب العظة بعد المأساة.

دماء الحسين أبلغ عظة

وأى عظة أبلغ من عظة الحسين، وأى واعظ أفصح من الحسين، لقد قال الحسين من خلال دمانه الزكية كلَّ ما يستطيع الوعظ والخطباء أن يقولوه، ولقد برهن بموقفه على حقائق يعسرُ على المتكلمين أن يصلوا إليها بالألفاظ والجمل.

الحسين عليه السلام لم يمت

لقد قال الحسين إذا كان لهذا الإنسان عمرٌ محدودٌ من حيث الزمان، لا يلبث أن يقضيه بعد فترةٍ من الزمان، فإنك ميتٌ وإنهم ميتون، لكن عمرَ الخلود والتأثير، وعمرَ المعنى يبقى ثابتاً لا يحده الزمان ولا يقيدُه المكان أبداً.

الحسين لو لم يقتل في كربلاء، ترى كم كان يعيش؟

يعيش كجده رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً وستين سنة أو كأبيه

١- تصرف في الخاتمة والمصيبة وأبياتها مع التعليق ومراجعة المصادر سماحة العلامة الشيخ حسين مبارك - لبنان - حفظه الله تعالى وأجزل ثوابه وأجره.

المرتضى قريباً من ذلك، أودون ذلك بكثير كأخيه الحسن عليه السلام، سنوات وإذا به أيضاً يذهب من هذا العالم، وهذا الحال بالنسبة إلى كل إنسان، سوف يبقى على هذه الأرض مدّة محدودة من الزمان، طالت أو قصرت لكنه ليس بخالدٍ أبداً، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(١) كلا ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢). أما عُمرُ المعنى وبقاء القِيم التي يفضّلها هذا الإنسان بموقفه ودمه، فإنّها تبقى لا يحدها زمنٌ ولا يحيط بها مكانٌ ولا تعترف بالمسافات أبداً.

يُبعدنا عن الحسين اليوم أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، ولكننا لا نزال نراه حياً باقياً يؤثّر في الجموع ويحرّكها ويثقفها، ويحييها بعد أن ماتت ويبعث فيها شعور العزّة والكرامة والإباء.

هل رأيت أحداً على بُعد ثلاثة عشر قرناً من الزمان يستطيع أن يؤثّر كما يؤثّر الحسين؟ ويستطيع أن يحرك الجموع، وأن يوجّه هذا الإنسان لكي ينفق خالص ماله من أجل قضية الحسين؟ ويحرّك ذلك الشاب لكي يترك عمله حتّى يأتي في مجلس الحسين؟ وذاك الكبير يعطل أعماله وقضاياه حتّى يجلس مستمعاً إلى قضية حدثت قبل ذلك الزمان فيتأثّر بها ويتفاعل معها وتبقى آثارها مؤثّرة فيه إلى سنةٍ أخرى؟

تأثير المجالس تراكمي

لا تظنّوا أنّ هذه المآتم والمواكب والعزاء والمجالس لا تؤثّر في النفوس، كلا هي ذات تأثير تراكمي، ليس لها تأثير حديّ مباشرٍ تغييريّ في نفس الوقت، ولكن تأثيرها تأثير تراكمي.

في هذه السنة أنت تتأثر من دون أن تشعر بمقدارٍ من المقادير، قلبك يتأثر، ونفسك تتأثر، وفكرك يتغيّر تغيراً في كلّ هذه المستويات، وأنت لا تشعر به،

١- الأنبياء: ٣٤.

٢- الأنبياء: ٣٥.

وفي السنة الأخرى يحصل تغيرٌ جديد وإضافة جديدة، تتراكمُ التغيرات على قلبك وفي نفسك وفي ثقافتك، على مدى السنوات سنةً بعد سنةً، وشهراً بعد شهر، فإذا بك بعد فترةٍ من الزمانِ أصبحتَ حسيني النفس والفكر والثقافة.

الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة في كل شيء

هل رأيتَ مؤثراً يؤثرُ في أحدٍ وهو ميّتٌ بحسب الظاهر؟ وهو جديل وصریح؟

لم نر أحداً في مثل تأثير الحسين.... وصدق جدُّه صلى الله عليه وآله الذي قال: (الحسين مصباحٌ هدى وسفينة نجات) ^(١).

الهدى في كلِّ القضايا، في داخل النفس، وفي السياسة وفي الأخلاق وفي الاجتماع وفي الثقافة، تحتاج فيها إلى مصباحٍ وإلى إضاءة، ولن تجد كالحسين عليه السلام مصباحاً، وفي تلاطم هذه البحار، بحار الأهواء والظلمات الفكرية سوف تجد سفينةً منجية هي سفينة النجاة الحسينية صلوات الله وسلامه على صاحبها.

الحسين فاتحٌ والحسين منتصرٌ والحسين باقٍ وفي ذلك عظة.

أرادوا وأراد الله ولم يكن إلا ما أراد ولن يكون إلا ما يريد

لقد رأت زينب عليها السلام عليها مستقبل الأيام، وقالت ليزيد ولكل اليزيديين الطواغيت: فَكِدْ كَيْدَكَ وَأَسْعَ سَعْيَكَ وَنَاصِبْ جُهْدَكَ ^(٢).

١- من حديث نقله الشيخ الصدوق، في عيون أخبار الرضا (ع ٦٢/١) حدثنا علي بن عاصم عن (الامام) محمد بن علي بن موسى عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : مرحبا بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين قال له أبي: وكيف يكون يا رسول الله صلى الله عليه وآله زين السماوات والأرضين أحد غيرك؟ قال: يا أبي والذي بعثني بالحق نبيا ان الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض وانه مكتوب عن يمين عرش الله عز وجل: مصباح هدى وسفينة نجات وامام خير ويمن وعز وفخر وعلم وذخر..

٢- اللهوف على قتلى الطفوف - ترجمة فهرى: ١٨٥.

دمّر القبر إن استطعت، وزّع أشلاء الحسين، هم أرادوا هكذا، أرادوا أن يبقوا الحسين أولاً بلا رأس ثم يرضوا جسده الشريف بجوافر الخيل؛ لكي يتحطّم ثم بعد ذلك يُترك هكذا، لكي تأتي الوحوش والطيور الجارحة فتأكل من جسده ويتوزّع هنا وهناك، فلا يبقى له أثر ولا يبقى له ذكر وينتهي الحسين بدنًا ورمزًا واسمًا، حتى يستطيع أولئك الطواغيت بأن يتمتعوا بديناهم. فالحسين الذي يملك كل هذا التأثير هو باقٍ وخالدٌ وهذه عِظَةٌ كبرى من عِظَاتِ الواقعة، أن ما كان لله يبقى وينمو ويبارك الله فيه. فاسع إذا سعيت أن يكون عملك لله، ومالك وجهك وفكرك كله لله؛ لأنّ هذا هو الذي يبقى وغيره يتبخّر وينتهي بانتهاء أمد الزماني^(١).

لن يجد العالم أنقى من راية الحسين عليه السلام

(الحسين) نقدّمه لعالم المسلمين مشروع وحدة ومشروع إصلاح، ألم يقل الحسين لجيش أمية: انسابوني من أنا؟ ألسنتُ أنا ابن بنت نبيكم وابن وصيّه؟ أليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي؟ أليس جعفر الطيار عمي؟^(٢). لماذا كان يقول هكذا؟

لكي يقول لهؤلاء: إنني في موقعي ينبغي أن أكون محوراً يلتف حوله المسلمون جميعاً، فأنا نقطة اشتراك، وأنا نقطة لا ينبغي أن يختلف عنها أحد، لا هذه الطائفة ولا تلك الطائفة، فإنني أنا ابن رسول الله، أنا ابن مؤسس هذه الدولة وهذه الديانة، وهذه الدعوة، ولذلك فإنني مرشّح لأن أكون محوراً يلتف حولي جميع الناس. في زماننا هذا العالم الإسلامي كله ينادي بالإصلاح ويريده، الإصلاح في السياسة وفي الثقافة الدينية وفي الوضع الاجتماعي.

١- مثلاً قرره القرآن بقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٦. وأكد على أن: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾، سورة الكهف: ٤٦، وفي سائر السور.
٢- خطبهم فقال: فَأَنْسِبُونِي فَأَنْظُرُوا مَنْ أَنَا ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُواهَا فَأَنْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَأَنْتِهَآكَ حُرْمَتِي أَلَسْتُ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنُ وَصِيِّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَأَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللَّهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ أَوْلَيْسَ حَمَزَةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمِّي أَوْلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ بَيْنَا حِينَ عَمِّي أَوْلَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِي وَوَلَّخِي هَذَانِ سَيِّدًا سَبَّابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢: ٩٧.

لن يجد العالم الإسلامي راية إصلاح أنقى وأصفى وأولى بالاتباع من راية الحسين عليه السلام الذي يقول: إنما خرجت لطلب الإصلاح^(١)، إنما هنا للتحديد وللقصر، يعني لا يوجد أي غرض عندي إلا غرض الإصلاح. وإذا خضتُ صراعاً مع يزيد فأنا لم أكن راغباً في القتال ولم أكن راغباً ولا مبادراً في المواجهة.

وهكذا كان حال رسول الله فإنه لم يبدأ بالمواجهة حتى مع كفار قريش، كان يوجه ويرشد ويدعو، وكانوا في المقابل يحاربون ويؤذون أتباعه ويهجرونهم، حتى إذا ذهب رسول الله إلى المدينة ذهبوا خلفه لكي يقاتلوه في مكانٍ بعيدٍ، أنتدٍ لم يجد بُدّاً من مواجعتهم.

إني أكره أن أبدأهم بقتال

الحسين عليه السلام سار على نفس المنهج، شعاره كما كان شعار جدّه، فكان شعار جدّه عندما يقول له بعض المسلمين: هلا ندافع عن أنفسنا لأن عندنا سلاحاً ونستطيع أن نقاوم، قال: لم أوامر بقتال. والحسين عليه السلام يكرر هذا الشعار، فيقول: إني أكره أن أبدأهم بقتال^(٢).

كان بإمكان الحسين أن يقوم بمواجهة عسكرية في المدينة وأن يحتلّ مثلاً قصر الإمارة، وأن يقاتل الوليد بن عتبة، لكنه لم يكن المبادر للقتال، ولا الراغب في المشكلة، وإنما كان يريد الإصلاح، خرج من المدينة لعله يتيسر له أن يغير وضع الأمة بطريقةٍ أخرى.

١- كما جاء في وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية رضوان الله عليه، حيث قال في ضمنها: وَأَيْ نَمَ أَرْجُ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبُولِ الْحَقَّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ لِوَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. [وردت الآية في ثلاث سور، الأعراف: ٨٧، ويونس: ١٠٩، ويوسف: ٨٠، ومن مصادر الوصية: بحار الأنوار (ط - بيروت) ٤٤: ٣٢٩ - ٣٣٠.

٢- بحار الأنوار ٤٥: ٥، عوالم العلوم والمعارف ١٧: ٢٤٩.

لكن الطرف الآخر كان يريد القتال على كلِّ حال، فأرسل مقاتلين إلى داخل الحرم المكي لكي يقتلوا الحسين، فخرج -بأبي هو وأمي- من ذلك المكان لم يكن خوفاً ولا جبناً، فإنَّ هذا نفس أبيه بين جنبيه.

والفضل ما شهدت به الأعداء

رجلٌ يتحدث عن أنه: لو اجتمعتِ العرب على قتالي لما وُلِّيتَ عنها^(١)، هذا أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ابنه يقول فيه بعض من حضر: فوالله ما رأيت مكثوراً قط^(٢)، والمكثور هو من أحاطت به الكثرة^(٣)، واحد في الوسط والجيش قد دار عليه من كل جانب، محاصر من كل الجهات، لو أراد أن يقاتل الذي أمامه فالذي خلفه يستطيع أن يقتله، والذي على جانبه يستطيع أن يرميه، (مَا رَأَيْتُ مَكْثُورًا قَطُّ، أَرْبَطَ جَأْشًا وَلَا أَمْصَى جَنَانًا^(٤) - قلباً من الحسين بن علي).

هل يخاف الموت؟

إنما يخاف أن تهتك حرمة الكعبة، يخاف أن تلقى الأمة في معركةٍ في بداية الأمر مع أنه لم يستنفد وسائله في إصلاحها إلى آخر لحظات حياته، إلى مثل صبيحة ذلك اليوم، عندما بدأ يومه بموعظتهم وخطابته فيهم، وكلامه معهم وتحذيرهم من الدنيا وغرورها وخداعها، ومحاولة إيقاظهم إلى الفترة الأخيرة، إلى أن أغلقت كلُّ الطرق، وجاء عمر بن سعد ورمى سهماً وبدأ القتال، فجاءت السهام، على أثر ذلك قال الحسين: قوموا إلى الموت الذي لا بد منه فهذه رسلُ القوم إليكم^(٥).

١- العبارة هكذا: وَاللَّهِ لَوْ تَطَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَيَّ قِتَالِي لَمَا وُلِّيتَ عَنْهَا. نهج البلاغة: ٤١٨، في كتابه الذي أنكر فيه على عامله على البصرة عثمان ابن حنيف في قبوله لوليمة هناك.

٢- اختلفت كتب السيرة في تحديد القائل لهذا القول ولكنهم ذكروا هذه العبارة بالقسم أو بدونها، وهي كما في إرشاد المفيد: قَوْلَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَكْثُورًا قَطُّ قَدْ قُتِلَ وُلْدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ أَرْبَطَ جَأْشًا وَلَا أَمْصَى جَنَانًا مِنْهُ. الإرشاد ٢: ١١١.

٣- وفسر بالمغلوب وهو الذي تكاثر عليه الناس فقهره.

٤- تقدمت عبارة الإرشاد فراجع.

٥- في اللهوف: ١٠٠-١٠١ قَالَ الرَّأوي: فَتَقَدَّمَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فَرَمَى نَحْوَ عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ بِسَهْمٍ وَقَالَ اشْهَدُوا

الحسين عليه السلام أراد أن يجي القيم والأخلاق في النفوس

الحسين يوجّه صراعه إلى جهة القيم والأخلاق، فهو يقول لهؤلاء الذين يتصارعون في كلّ بلاد المسلمين لا تتسابقوا إلى القتال، فبدء القتال لا يشكل حلاً للمشكلة، القتال هو آخر المطاف.

ولو فهم المسلمون هذا المعنى لما وجدنا هذه المشكلة في العراق ولا في أفغانستان ولا في فلسطين ولا في سائر الأماكن الأخرى، ليكن القتال آخر شيء بعد أن تستنفذ الوسائل كلّها، لا أول شيء لكي يوجّه الناس إلى هذا المعنى.

يقول لهم: أن الصراع أيضاً فيه أخلاق وقيم، أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونى والنساء ليس عليهن جناح، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم^(١)، ارجعوا إلى القيم الإنسانية إذا لم تكن الأحكام الشرعية تضبطكم وتقيّد من حركتكم، ارجعوا إلى أخلاقكم وإلى أصولكم وتاريخكم، وانظروا... هل يصح أن تضرب النساء وأن تقتل؟! وأن يقتل الأبرياء ويفجّر الأطفال؟! ارجعوا إلى هذه القيم لو لم يكن لكم دين أيضاً.

حاجتنا إلى الحسين عليه السلام لا تنحصر في زمن أو مكان

فالحسين تزداد الحاجة إليه في كلّ زمنٍ ولا سيما في زماننا، ومن المؤسف أنّ فريقاً من أبناء الأمة لا يتعرّض لعطاء الحسين، كان من الحرمان أن جعل الحسين مقصوراً وحكراً على فئة من المسلمين واعتبر قسم آخر من المسلمين أنّ الحسين وقضيته لا تهمهم من قريبٍ ولا من بعيد، فتمرّ ذكراه ولا أثر في هذه الأجهزة الإعلامية!!!

لي عند الأمير أيّ أول من رمى، وأقبلت السهام من القوم كأنّها القطر، فقال لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم.

١- في اللهوف: ١١٩-١٢٠، قال: فصاح ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما ترغمون. قال: فنأذاه شمر لعنه الله: ما تقول يا ابن فاطمة؟ فقال: إني أقول: أقاتلكم وتقاتلونى والنساء ليس عليهن جناح فأمنعوا عنّاكم وجهاً لكم وطعناكم من التعرض لحرّمي ما دمت حياً... وفي البحار عنه وعن غيره ٥١: ٤٥، مع اختلاف يسير.



لقد كان طاغيةً جلاًدُ شغل الناس في مقتله على مدّة شهرٍ من الزمان^(١)، بينما سبط رسول الله وابن بنت رسول الله، هذا الثائر الإسلامي الأول، يُستشهد فلا يُذكر إلا لماماً وبصورةٍ ضئيلة، بينما لو تعرّض الناس لعطائه لفازوا ونجحوا. نسأل الله أن يجعلنا في جملة أنصار الحسين، وأن يكتبنا من أحباب الحسين، وأن يحشرنا معه ومع آبائه الطاهرين، إنه على كل شيء قدير.

جانب العبرة

لا نطيل الحديث كثيراً، فإنّ المصيبة تسيطر على النفوس وتتغلغل إلى داخل القلوب، كأنّ في قلبك ماتماً، وكأنّ في عينك عبرةً، وكأنّ في داخلِك أسىً وشجىً، أطلقه هذا اليوم لا تتحفّظ، فإنّ هذا الوقت بالضبط بعد صلاة العصر، يعني حوالي الساعة الرابعة أو قريب منها الحسين عليه السلام، قد صُرع على الرمضاء.

تصوّر بقلبك كربلاء، تصوّر بقلبك الواقعة، ارجع بنفسك إلى ذلك الزمان؛ لكي تتصوّر الحدث كما جرى لحظةً بلحظةً حتى تصل إلى هذا الوقت من النهار وتجد الحسين عفيراً، متى عاينته الكماة يختطف الرعبُ ألوانها.

أقول^(٢): الأحداث التي جرت في يوم عاشوراء كثيرة ومتعددة، والكلمات والمواقف التي أطلقت في تلك الساعات سواء الخطب أو الأشعار أو غيرها، من إمامنا الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته مهمة وعظيمة، فهي تشكل لنا دروساً عالية المضامين، وتربي أنفسنا تربيةً يرضاها الله ويريدها لنا، فلا ينبغي أن نغفل عنها ونتجاوزها وإن تجاوزناها في قراءة اليوم العاشر من محرم الحرام، فليكن ما نقرأه محفزاً للتعرف على باقي المواقف بدقة وتأمل.

١- إشارة إلى مقتل صدام حسين.

٢- المحقق.

الحسين عليه السلام يعظ القوم ويحذرهم... بعض كلامه عليه السلام يوم عاشوراء

بدأ الحسين يومه بخطبةٍ أمام القوم فقال ^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الدُّنْيَا فَجَعَلَهَا دَارَ فَنَاءٍ وَزَوَالٍ مُتَصَرِّفَةً بِأَهْلِهَا حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَالْمَعْرُورُ مَنْ غَرَّتْهُ وَالشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلَا تَعُرَّتْكُمْ هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا تَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا وَتُحَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فِيهَا، وَأَرَاكُمْ قَدْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسَخَطْتُمْ اللَّهَ فِيهِ عَلَيْكُمْ وَأَعْرَضَ بَوَاجِهُهُ الْكَرِيمُ عَنْكُمْ وَأَحَلَّ بِكُمْ نَقَمَتَهُ وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا وَيَسَّ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ؛ أَفَرَرْتُمْ بِالطَّاعَةِ وَأَمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، ^(٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعَثَرْتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَتَبَّ لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ إِنْ أَلَّ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ... ^(٣)

أَمَّا بَعْدُ فَانْسُبُونِي فَاَنْظُرُوا مَنْ أَنَا ثُمَّ رَاغِبُوا أَنْفُسَكُمْ وَعَاتِبُواهُمْ، فَاَنْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكَ حُرْمَتِي؟! أَلَسْتُ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وَابْنُ وَصِيِّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَأَوَّلُ مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ لِرَسُولِ اللَّهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، أَوَلَيْسَ حَمْرَةَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمِّي، أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي، أَوْلَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِي وَلِأَخِي: هَذَا نِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مَذْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقَّتْ عَلَيْهِ أَهْلُهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، اسْأَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ وَسَهْلَ

١- راجع البحار ٤٥: ٥. ومثله بقية المصادر.

٢- يعني أنتم تقولون هكذا، وهذا يَحْمَلُكُمْ مسؤولية. (منه حفظه الله)

٣- إشارة إلى أنه هنا تنمة في المصدر متروكة في الكلام.

بَن سَعْدِ السَّاعِدِيِّ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ لِي وَلِأَخِي أَمَا فِي هَذَا حَاجِرٌ لَكُمْ عَنْ سَفِكِ دَمِي (وَأَنْتِهَاكَ حُرْمَتِي) (١)؟! فقال (٢):

(أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السَّلَّةِ (٣)) وَالذَّلَّةَ وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهَّرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللَّنَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ أَلَا وَإِنِّي زَاحِفٌ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قَلَّةِ الْعَدَدِ وَخِذْلَةِ النَّاصِرِ)...

فَإِنْ نَهَزِمُ فَهَرَامُونَ قَدَمَا	وَإِنْ نَغْلِبُ فَغَيْرُ مُغْلِبِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ	مَنَايَانَا وَدَوْلَةَ آخِرِينَا
إِذَا مَا الْمَوْتُ رَفَعَ عَنْ أَنْاسِ	كَلَّا كِلَاهُ أَنْأَخَ بِآخِرِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكُمْ (سَرَوَاتٍ) قَوْمِي	كَمَا أَفْنَى الْقُرُونَ الْأَوَّلِينَا
فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا	وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا	سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

قام غيره وخطب، قام زهير وقام برير، وقام غيرهم وخطبوا، لكن:

قَسَتِ الْقُلُوبُ وَلَمْ تَمَلْ لِهِدَايَةٍ	تَبَّأَ لِهَاتِيكَ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ
---	--

قوموا إلى الموت الذي لا بد منه

ولما فرغوا جاء عمر بن سعد وألقى سهماً بعد أن توسَّط العسكرين، نحو مخيم الحسين وقال اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى بسهم، (فرمى أصحابه كلهم بأجمعهم، فما بقي أحد من أصحاب الحسين إلا أصابه من سهامهم) (٤) فتتابع السَّهَامُ والنبالُ على مخيم الحسين، حتى وصل بعض

١- (وَأَنْتِهَاكَ حُرْمَتِي)، ليست في البحار، وقد ذكرت في كشف الغمة في معرفة الأئمة، وفي مثير الأحرار.
٢- اللهوف على قتلى الطفوف: ٩٧-٩٩ وهذا الكلام قاله في خطبة أخرى خاطب به خصومه بعد أن عبأ أصحابه للقتال.

٣- السلة: أي استلال السيوف، كما في الصحاح واللسان وتاج العروس، وأضاف الأخير أنه يكسر أيضاً.

٤- تسليمة المجاليس وزينة المجاليس (مقتل الحسين): ٢٧٨.

النبالِ إلى أُزْرِ النساءِ، فصَحَنَ وأرْعَبَنَ ونادِينَ وارسولَ الله، واهمَّده، فقال الحسين: قوموا إلى الموت الذي لا بد منه^(١).

اعترك الجميعُ في معركةٍ قويَّةٍ، واشتَبَكَ جيشُ الحسينِ القليلُ بذلكَ الجيشِ اللَّجَبِ^(٢)، وثارَ الغُبارُ، وعلا القسطلُ^(٣)، فما انجلتِ العَبْرَةُ^(٤) إلا عن خمسينَ صريعاً من جيشِ الحسينِ عليه السلام، والحسينُ ينادي ويقول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ.

وتقدَّم أنصار الحسين عليه السلام

لقد قتل أصحابُ الحسينِ عدداً كبيراً من ذلك الطرف، ولكن لكثرتهم لم يكن ليظهرَ فيهم، لكنَّ خمسينَ صريعاً من جند الحسين كانت تشكُّلُ نسبةً كبيرةً، فبانَ النقصُ في معسكر الحسين عليه السلام.

ثمَّ بدأ يبرز الواحدُ منهم تلو الآخر، إلى أن تَفانى الأَنصارُ بأجمعهم، فقتلَ حبيبُ بنُ مَظَاهر، وقتلَ زهيرُ بنُ القينِ، وقتلَ مسلمُ بنُ عوسجة، وقتلَ بقیةُ الأصحابِ، بعد أن أدوا وظيفتهم.

كغضوق العليهم دون الخيام
لما طاحوا تفايض منهم الهام
هذا الرمح بفؤاده تثنه
أو هذا الخيل صدره ررضنه
أولا خلوا خوات احسين تنضام
تهاووا مثل مهوى النجم من خر
أو هذا يبه للنشاب رنه
أو هذا أو ذاك بالهندي اموذر

١- عبارة اللهوف: قال الراوي فتقدَّم عمرُ بنُ سعدٍ فرمى نحوَ عسكرِ الحسينِ بسهمٍ وقال: أشهدوا لي عندَ الأميرِ أيُّ أولٍ من رمى وأقبلتِ السَّهامُ من القومِ كأنَّها القطرُ. فقال لأصحابه: فوموا رحمكم اللهُ إلى المَوتِ الذي لا بدُّ منه فإنَّ هذه السَّهامُ رُسلُ القومِ إليكم، المصدر: ١٠٠-١٠١، ترجمة السيد أحمد الفهري الزنجاني.

٢- العسكر اللَّجِب: أي ذو اللَّجِب، واللَّجِب: الصوت والجلبة، كما ذكرت كتب اللغة، وفي النهاية: أنه كثر عنده اللَّجِب هو بالتحريك: الصَّوت والغلبة مع اختلاط، وكأنه مقلوب الجلبة. المصدر: ٤: ٢٣٢، باب اللام مع الجيم. فالخلاصة: يكون هذا التعبير كناية عن كثرة الجيش.

٣- القسطل والقسطال والقسطول والقسطلان، كله: الغبار الساطع. والقسطل، بالصاد أيضاً.

لسان العرب ١١: ٥٥٧.

٤- الصحيح كما أثبتته بالتحريك كما في كتب اللغة.

وجاء دور الهاشميين ليحاموا عن إمامهم

ثم إنَّ الهاشميين قد برزوا بعد الأنصار، فبرز عليُّ الأكبر عليه السلام ، (فقاتل قتالاً شديداً وقتل منهم جمعاً كثيراً ثم رجع إلى أبيه الحسين يشتكى ما أصابه من شدة العطش والجهد، فصبره الحسينُ وبشره بشربةٍ سرعان ما ينالها من يد جده رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرجع إلى القتال وقاتل قتال الأبطال، فرماه مُنقِذُ بنِ مرَّة العبدِيُّ لعنه الله بسهمٍ فصرعه)^(١)، وقيل ضربه بالسيف على رأسه، فحملهُ الجواد إلى عسكرِ الأعداء، فانثالوا عليه حتى مرقوه إرباً إرباً - أي وا عليه -.

فَجَاءَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى خَدِّهِ وَقَالَ قَتَلَ اللَّهُ قَوْمًا قَتَلُوا مَا أَجْرَاهُمْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى اتِّهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَاءُ.^(٢)

وبرز بعده آل عقيل، فقتلناوا^(٣).

وبرز أبناء الحسن فقتلوا^(٤).

العباس عليه السلام يطلب الماء للأطفال فيغدرون به

ولم يبق إلا أبو الفضل العباس عليه السلام ، وجاء إلى المشرعة ليحمل الماء إلى الأطفال والعيال، فأرادوا منعه فلم يتمكنوا، فلجأوا إلى الغدر والخديعة ...

١- المحقق: هذا المعنى استفدته مما ذكر في اللهوف: ١١٣، ترجمة الفهري.

٢- المصدر السابق: ١١٤.

٣- في اللهوف: ثُمَّ جَعَلَ أَهْلُ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بَعْدَ الرَّجُلِ، حَتَّى قَتَلَ الْقَوْمُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً فَصَاحَ الْحُسَيْنُ فِي تِلْكَ الْحَالِ: صَبْرًا يَا بَنِي عُمَوِيَّ، صَبْرًا يَا أَهْلَ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ لَا رَأْيُنْمُ هَوَانًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا، المصدر: ١١٥.

٤- في اللهوف: يذكر بعد مقتل جملة من أهل بيته خروج القاسم بن الإمام الحسن ثم استغاثة الحسين، ثم مقتل الطفل الرضيع عليه السلام ، ثم خروج الحسين إلى القوم قبل مقتل أخيه العباس صلوات الله عليه وإصابته بسهم في حنكه الشريف، ثم حيلولة الأعداء بينه وبين أخيه ومقتل العباس باختصار، ثم دعوة إمامنا القوم إلى البراز، وبقيّة مصرعه وما جرى بعد المصراع.

فقطعوا يمينه ويساره، وجاءته سهامهم كالمطر فأصابوا بها القربة،
وأريق ماؤها، وجاءه سهم فأصاب صدره الشريف، وسهمٌ أصاب عينه اليمنى
فأطفأها، وضربه رجل من بني تميم بعمودٍ من حديدٍ على رأسه فخر صريعاً.
فنادى بأعلى صوته: عليك مني السلامُ يا أبا عبد الله أدركني يا أخي.

الآن انكسر ظهري

فأتاه الحسين عليه السلام ، ورآه بتلك الحالة: مقطوع اليدين،
مرضوض الجبين، والسهم نابت في العين، فنادى: الآن انكسرَ ظهري وقلَّتْ
حِيلَتِي وشِمَّتْ^(١) بي عدوِّي^(٢).

صرت مركز يخوي الكل الهموم	يخوي انكسر ظهري اولا اكدر اوكوم
اولا واحد عليه بعد ينغر	يخوي استوحدوني عكبك الكوم
يخوي اساو كع بيتي عليه	يخوي امنين اجتني هالرميه
وشوفنك يبو فاضل امطبر	يخوي اسأ عدوي شمت بيه

الحسين عليه السلام يودّع العائلة

ولما رأى الحسين مصارعَ فتَيَانِهِ وأحْبَتِهِ عَزَمَ على لقاء القومِ بِمُهْجَتِهِ،
فجعل ينادي: هل من راحمٍ يرحمُ آلَ الرسولِ؟ هل من ناصرٍ ينصرُ ذرِيَّةَ
الطاهرةِ البتولِ؟ أما من ذابٍ يذبُ عنَّا؟ أما من معينٍ يعيننا؟
ثمَّ التفتَ إلى الخيامِ فنادى: يا سكينَةُ يا فاطمَةُ (يا زينب)^(٣) يا أمَّ
كُلُّوْمٍ عليكَ منِّي السلامُ، فهذا آخر الاجتماعِ، وقد قَرَّبَ منكنَّ الافتجاعُ،

١- شَمَّتَ العَدُوُّ: كَفَّرَ وَزَنَّا وَمَعْنَى. تاج العروس من جواهر القاموس ٣: ٨٠، والشَّمَاتَةُ: فَرَحَ العَدُوُّ
بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِمُعَادِيهِ. كتاب العين ٦: ٢٤٧، والنهية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٩٩.

٢- هذه خلاصات يذكرها جناب الشيخ لأجل الدخول في المصرع الشريف وعدم التطويل على المستمع،
لأنه من المفترض أن مصيبتهم عليه السلام م ذكرت بتمامها في الأيام المخصصة لهم في العشرة الأولى.
وقد أضفت على ما ذكره الشيخ حفظه الله لتركيز خلاصة ما جرى من مصيبة على أبي الفضل العباس
صلوات الله وسلامه عليه.

٣- كما في البحار ٤٥: ٤٧.

فَعَلَّتْ أَصْوَاتُهُنَّ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، وَصَحَنَ: الْوَدَاعَ الْوَدَاعَ، الْفِرَاقَ الْفِرَاقَ^(١).
نعي نصاري^(٢):

رد واعياله امن العطش يومن
مثل سرب الكطا گامن يحومن
اجت زينب أو باجي الحرم يمه
يشم سكنه وهي گامت تشمه
يبوي ايطول من بعدي ونيچ
يبوي لا تشوفيني ابعينچ
أوصاح ابصوت للتوديع گومن
تطيح اعليه وحدثهن أو تعثر
أوصارت للوداع اعليه حنه
يجبها والدمع ليلو ايتنثر
أو مثل النيب چن اسمع حنينچ
اخافن ينخطف لونچ أو يصفر
فأحظن به من كل جانب، وتعلقن بأذياله، هذه تقبل رأسه، وتلك تقبل
وجهه، وأخرى تقبل يديه ورجليه، وتلك تقول: إلى أين يا حمانا؟ إلى أين يا
رجانا، إلى أين يا نعم الخلف، إلى أين يا بقية السلف.
وبينما الحسين عليه السلام في ذلك الحال وإذا بمنادٍ ينادي: يا حسين
قعدت عن الحرب، وجلست في خيمة النساء؟

امسح على رأسي كاليتامي

فقام الحسين عليه السلام وركب جواده وانحدر نحو القوم، فبينما هو
يسير وإذا بصوتٍ من خلفه: أبه يا حسين لي إليك حاجة.
فالتفت الحسين، وإذا بها ابنته سكينه، فقال لها بنية ما حاجتك؟
قالت: أبه حاجتي أن تنزل عن ظهر جوادك، أودعك وداع اليتامي، تجلسني في
حجرك وتمسح على رأسي كما يمسح على رؤوس الأيتام.

١- لقد غيرت ما ذكره سماحة الشيخ هنا؛ لأن هذه أشد تأثيراً وأكثر دقةً، فقد ذكر في بعض كتب
علمائنا كمعالي السبطين والدمعة الساكبة، كما نقل في مجمع المصائب ٢: ٦٦-٦٧. وقد نقلتها عنه
بتصرف واختصار يسيرين مع الاحتفاظ بالمعنى.

٢- النصاريات الكبرى: ٢٢.

فنزل الحسين عن ظهر جواده، أجلسها في حجره ودموعها تتحادر على خديها، قالت: يَا أَبَهُ (أراك قد) اسْتَسَلَمْتَ لِلْمَوْتِ؟ فَقَالَ: كَيْفَ لَا يَسْتَسَلِمُ (للموت) مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينٍ! فَقَالَتْ: (إذن) يَا أَبَهُ رُدَّنَا إِلَى حَرَمِ جَدَّنَا فَقَالَ هَيْهَاتَ لَوْ تَرَكَ الْقَطَا (ليلاً) لَنَامَ^(١). (يعني بنية: هذا خارج عن إرادتنا، فإن القوم قد أكرهونا وألجأونا وسدوا علينا الطرق، كما تكره طيور القطا على الطيران ليلاً وتثار في أماكنها)^(٢).

فصبرها الحسين عليه السلام وودَّعها بقوله:

سَيَطُولُ بَعْدِي يَا سَكِينَةَ فَاعْلَمِي	مَنْكَ الْبُكَاءُ إِذَا الْجِمَامُ دَهَانِي
لَا تُحْرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكَ حَسْرَةً	مَادَامَ مِنِّي الرُّوحُ فِي جُثْمَانِي
فَإِذَا أَنَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَى بِالَّذِي	تَأْتِيَنَّهُ يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ

نصاري

يبويه انروح كل احنا فداياك	اخذني للقبر يحسين وياك
اهي غيبة يبوي واكعد اتناك	وكولن سافر اويومين يسدر
يبويه كقول لا تخفي عليه	هذي روحك يو بعد جيه
يبوي انجان رايح هاي هيها	خذني اويياك عنك مقدر اصبر

أماها يا فاطمة قد أدبت الأمانة

ودعها الحسين عليه السلام، بعد أن صبرها وسلاها، وامتنطى صهوة جواده، وإذا بصوت الحوراء زينب عليها السلام يملأ سمعه: أخي حسين قف لي هنيئة، انزل من على ظهر جوادك، فنزل الحسين، قالت: أخي اكشف لي عن صدرك، وعن نحرك، فكشف الحسين عن صدره وعن نحره، فشمتته في نحره، وقبلته في صدره، ثم حوّلت وجهها نحو المدينة، وصاحت: أماها يا فاطمة قد استرجعت الوديعة وأدبت الأمانة.

١- بحار الأنوار ٤٥: ٤٧، من دون ما بين القوسين، فهي لتحسين الوقع على السمع.

٢- هذه التعليقة أولى مما جاء به سماحة الشيخ حفظه الله، للحاجة إليها. وقد أشار إلى ذلك في الحاشية من بحار الأنوار ٤٥: ٢.

فقال لها: أختي وما الأمانة؟

قالت: اعلم يا بن والدي، أنه لما دنت من أمتنا فاطمة الوفاة، قربتني إليها، شمتني في نحري، وقبلتني في صدري، وقالت لي: بنية هذه وديعتي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً، شميه في نحره وقبليه في صدره. ولا أدري هل أخبرتها الزهراء عليها السلام عن السبب، وهل سألتها العقيلة؟

ولكنها العاملة غير المعلمة، فتعلم بأن الزهراء أرادت منها أن تقبله في نحره لأنه موضع السيوف، وتريدها أن تقبله في صدره لأنه موضع حوافر الخيول.

من شعر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

امتطى صهوة فرسه^(١) وتقدّم نحو القوم مُصليّاً سيفه، آيساً من الحياة، عازماً على الموت.

أَنَا ابْنُ عَلِيِّ الطُّهْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ أَكْرَمُ مَنْ مَضَى
وَفَاطِمُ أُمِّي مِنْ سُلَالَةِ أَحْمَدٍ
وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ أَنْزَلَ صَادِقاً
وَنَحْنُ أَمَانُ اللَّهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ
وَنَحْنُ وِلَاةُ الْحَوْضِ نَسْقِي وُلَاتَنَا
وَشِيعَتَنَا فِي النَّاسِ أَكْرَمُ شِيعَةٍ
كَفَانِي بِهَذَا مَفْحَرًا حِينَ أَفْحَرُ
وَنَحْنُ سِرَاجُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ نَزْهَرُ
وَعَمِّي يُدْعَى ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وَفِينَا الْهُدَى وَالْوَحْيُ بِالْخَيْرِ يُذَكَّرُ
نُسِرُّ بِهَذَا فِي الْأَنَامِ وَنَجْهَرُ
بِكَاسِ رَسُولِ اللَّهِ مَا لَيْسَ يُنْكَرُ
وَمُبْغِضَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْسَرُ^(٢)
ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ فَلَمْ يَزَلْ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ دَنَا مِنْهُ مِنْ عُيُونِ الرَّجَالِ
حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً^(٣).

١- صَهْوَةٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ... وَهِيَ مِنَ الْفَرَسِ مَوْضِعُ اللَّبْدِ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقِيلَ: مَقْعَدُ الْفَارِسِ. لِسَانَ الْعَرَبِ ١٤: ٤٧١. وَكُلُّ شَعْرٍ أَوْ صُوفٍ مُلْتَبَدٍ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَهُوَ لُبْدٌ. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٣: ٣٨٦.

٢- بَحَارُ الْأَنْوَارِ ٤٥: ٤٩.

٣- الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْمَيْمَنَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

الْمَوْتُ أَوْلَى مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ وَالْعَارُ أَوْلَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ
تَاللَّهِ مَا هَذَا وَهَذَا جَارِي

لا حول ولا قوة إلا بالله

قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَكْثُورًا^(١) قَطُّ قَدْ قُتِلَ وُلْدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ
وَأَصْحَابُهُ أَرْيَطَ جَأَشًا مِنْهُ وَإِنْ كَانَتْ الرَّجَالُ لَتَشُدُّ عَلَيْهِ فَيَشُدُّ عَلَيْهَا بِسَيْفِهِ
فَيُنْكَشِفُ عَنْهُ انْكِشَافَ الْمِعْزَى إِذَا شَدَّ فِيهِ الذُّبُّ، وَلَقَدْ كَانَ يَحْمِلُ فِيهِمْ
وَلَقَدْ تَكَمَّلُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَيُهْزَمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُمُ الْجَرَادُ الْمُنْتَشِرُ. ثُمَّ يَرْجِعُ
إِلَى مَرْكَزِهِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٢).

وَحَمَلَ عَلَى الْمَيْسِرَةِ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ أَلَيْتُ أَنْ لَا أَنْتَنِي
أَحْمِي عِيَالَاتِ أَبِي أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ

أنت عطشان وأنا عطشان

وَأَفْحَمَ الْفَرَسَ عَلَى الْفُرَاتِ فَلَمَّا أَوْلَعَ الْفَرَسُ بِرَأْسِهِ لِيَشْرَبَ قَالَ: أَنْتَ
عَطْشَانٌ وَأَنَا عَطْشَانٌ وَاللَّهِ لَا أذُوقُ الْمَاءَ حَتَّى تَشْرَبَ، فَلَمَّا سَمِعَ الْفَرَسُ
كَلَامَ الْحُسَيْنِ سَالَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَشْرَبْ كَأَنَّهُ فَهِمَ الْكَلَامَ فَقَالَ الْحُسَيْنُ: اشْرَبْ
فَأَنَا اشْرَبُ فَمَدَّ الْحُسَيْنُ يَدَهُ فَعَرَفَ مِنَ الْمَاءِ، فَقَالَ فَارِسُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
تَتَلَذَّذُ بِشْرَبِ الْمَاءِ وَقَدْ هُتِكَتْ حُرْمَتُكَ! فَنَفَضَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى
الْقَوْمِ فَكَشَفَهُمْ فَإِذَا الْخَيْمَةُ سَالِمَةٌ^(٣).

١- المكثور: المغلوب، والذي كثر عليه الناس فقهره.

٢- اللهوف على قتلى الطفوف: ١١٩.

٣- مناقب آل أبي طالب ٤: ٥٨.

هذا ابن قتال العرب

قال في المناقب: وَجَعَلَ يُقَاتِلُ حَتَّى قَتَلَ جَمْعًا كَبِيرًا سِوَى الْمَجْرُوحِينَ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لِقَوْمِهِ: الْوَيْلُ لَكُمْ أَتَدْرُونَ مَنْ تَبَارِزُونَ هَذَا ابْنَ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ هَذَا ابْنُ قِتَالِ الْعَرَبِ، فَأَحْمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَحَمَلُوا بِالطَّعْنِ مِائَةً وَتَمَانِينَ وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ بِالسَّهَامِ^(١).
نصاري^(٢):

دارالعسكرعلى احسين يا حيف	ناس بالرماح أو ناس بالسيف
يشبه دورها على الليث المخيف	بياض العين بصبيها ايتدور
تلكى انبالها احسين بوريده	نوب بالضلوع أو نوب بيده
تلايم غيمها واثجل رعيده	أو بالزانات فوق احسين يمطر
ثكل ما يندرى ابنشابها امنين	يجيه وزانها يخطف على احسين
سهم بيده أو سهم بحاجب العين	يويلى واغرفت روحه امن الحر

هذا والحسين عليه السلام ينزف دماً، ينزف من جبهته لسهم أصابها، وينزف من حنكه الشريف لسهم آخر، وينزف من تمام بدنه، إذ كان مليئاً بالجراحات على أثر الطعنات والضربات، طعنات الرماح ورميها وضربات السيوف ورمي الحجارة، وكانت الطعنة على الطعنة والضربة على الضربة، حتى صارت الرماح في جسده كالشوك في جلد القنفذ، وروي أنها كانت كلها في مقدمه^(٣).

السهم المسموم يستنفذ قوى الحسين عليه السلام

وقف الحسين عليه السلام ليستريح وقد ضعف عن القتال فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه فأتاه سهم محدّد مسموم له ثلاث شعب فوق السهم في صدره

١- المصدر السابق ٤: ١١٠.

٢- النصاريات الكبرى: ٢٣.

٣- بحار الأنوار ٤٥: ٥٢، بتصرف.

وفي بعض الروايات على قلبه، فقال الحسين عليه السلام: بِسْمِ اللَّهِ
وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: إِلَهِي إِنَّكَ تَعْلَمُ
أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ رَجُلًا لَيْسَ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ ابْنُ نَبِيِّ غَيْرِهِ، أَرَادَ الْحُسَيْنَ أَنْ
يَنْتَزِعَ السَّهْمَ مِنَ الْأَمَامِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ^(١) ثُمَّ أَخَذَ السَّهْمَ فَأَخْرَجَهُ مِنْ قِفَاهِ
فَانْبَعَثَ الدَّمُ كَالْمِيزَابِ^(٢).

نصاري^(٣):

ضعف حيله أو ثكل بالسيف باعه	أوجب يستريح احسين ساعه
أو دمه مثل ماي العين فجر	رن الحجر من وجهه ابشعاعه
اولن سهم المحدد ناجع ابسم	شال احسين ثوبه يمسح الدم
هوى واضلم هواها والسما احمر	ابقلبه وقع لا وخر أو جدم

هكذا ألقى جدي وأنا مخضوب بدمي

فوضع الحسين عليه السلام يده على الجرح فلما امتلأت رمى به إلى
السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة، وما عُرِفَتِ الحِمْرَةُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى رَمَى
الْحُسَيْنِ بَدْمَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ ثَانِيًا فَلَمَّا امْتَلَأَتْ لَطَّخَ بِهَا رَأْسَهُ
وَلِحِيَّتِهِ، وَقَالَ: هَكَذَا أَكُونُ حَتَّى أَلْقَى جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا مَخْضُوبٌ بِدَمِي
وَأَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَتَلَنِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ^(٤).

ولما أثنى بالجراح وإذا بلعين طعنه في خاصرته طعنة، فسقط عن
فرسه إلى الأرض على خده الأيمن.

وَجَعَلَ فَرَسُهُ يُحَامِي عَنْهُ وَيَثِبُ عَلَى الْفَارِسِ فَيَخْبِطُهُ عَنْ سَرِّجِهِ وَيَدُوسُهُ
حَتَّى قَتَلَ الْفَرَسَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ثُمَّ تَمَرَّغَ بِدَمِ الْحُسَيْنِ وَقَصَدَ نَحْوَ الْخَيْمَةِ وَلَهُ

١- ليست من الرواية ولكنه مقتضى الحال.

٢- المصدر السابق ٤٥: ٥٣.

٣- النصاريات: ٢٣، مع تغيير في الشطرين الأخيرين بما هو أنسب مما في المصدر.

٤- المصدر السابق.



صَهِيلٌ عَالٍ وَيَضْرِبُ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ^(١). وكان يقول في صهيله كما ورد: الظليمة
الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها^(٢).

ولما سمعت زينب عليها السلام صهيل الجواد خرجت لاستقباله،
وكأني بها:

(نصاري)^(٣):

اشوفك جيتني تصهل ابذي	يمهر احسين وين احسين گلي
أو مالك روعت گلي يمكدر	خلاف احسين گلي وين اولي
بعد فيّه يخايب بيش افّي	يمهر احسين گلي عن ولبي
أو من يا جرح دمه ايفور اكثر	چم اصواب گلي ابگلب اخبي
افت گلي وذرجح الكلب زين	هنا گلي يصير اعلاج لحسين
بلچي اصواب اخويه احسين يخدر	ونگط فوق جرحه ابدمعة العين

فلما أغمي على الإمام الحسين عليه السلام ، تحير القوم ماذا يفعلون؟
فقال لهم عمر بن سعد لعنه الله: إن الرجل غيور، اهجموا على مخيمه فإن
كان فيه قوة نهض، وإن لم ينهض نزلتم إليه وأرحتموه.

هجم الجيش على مخيم الحسين، فخرجت زينب وباقي النساء وهنّ
ينادين: واحسيناه، ابن أمي يا حسين نور عيني يا حسين، لما سمع الإمام
صوت زينب أفاق من إغماءته، أراد القيام فكبا، قام مرة أخرى فوق على
وجهه. ونادى أخيه زينب عودي إلى الخيام لا طاقة لي على النهوض.

فلما علم ابن سعد بأن لا طاقة له على النهوض نادى ويحكم انزلوا
إليه وأريحوه.

١- راجع المصدر السابق.

٢- جاء معنى صهيل الجواد فيما أوحى الله به إلى موسى من خبر مقتل الإمام الحسين. بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٨، كما جاء في إخباريات أمير المؤمنين في صفين عن شهادة ولده الحسين. بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦.

٣- النصاريات الكبرى: ٢٤.

فجاء زُرْعَةُ بْنُ شَرِيكٍ لعنه الله والإمام علي الرضياء، فضرب إمامنا علي رأسه، وجاء سنان ابن أنس لعنه الله وطعنه برُمحٍ في ظهره، ونزل إليه شمرُ بن ذي الجوشن لعنه الله فتقدّم ورفس إمامنا برجله، ثمّ جلس على صدره، (هذا صدرٌ لطالما قبّله رسول الله صلى الله عليه وآله واحتضنته فاطمةُ الزهراء عليها السلام) تربع على صدره، وقبض على لحيته وهمّ بقتله، فتبسم الحسين عليه السلام وقال له: أتقتلني ولا تعلم من أنا؟ فقال: أعرفك حقَّ المعرفة، أمُّك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدُّك محمَّدُ المصطفى، وخصمك العليُّ الأعلى، أقتلك ولا أبالي، فضربه بسيفه اثنتي عشرة ضربة، ثمّ حرَّ رأسه الشريف.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ مَا كَانَ، صَحَّتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى اللَّهِ بِالْبُكَاءِ وَقَالَتْ يَا رَبِّ هَذَا الْحُسَيْنُ صَفِيكَ وَابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكَ قَالَ فَأَقَامَ اللَّهُ ظِلَّ الْقَائِمِ وَقَالَ بِهِذَا أَنْتَقِمُ لَهُذَا.

ولسان حال العقيلة:

نصاري^(١):

اغمضله ومد للموت باعه	يخايب خلي اخويه احسين ساعه
دخلي ابراح روح احسين تظهر	مهو شمامة الحلوه اطباعه
يخويه اشلون اصد عنك وخليك	يخويه بيش اضمك وين اوديك
خويه بيش اظلك من الحر	تراني اتحيرت يا مهجتي بيكي
اخوي الما طبع يشبه الطبعه	هوت يمه تشم كسر البضاعه
اولن راسه براس الرمح يزهر	غابت روحه أو فزت تودعه
أو شگت ثوبها ويلى عليها	لمن شافته صفگت بديها
فوق الرمح راسه ايلوح بالبر	ما نلام من شافت وليها

١- النصاريات الكبرى: ٢٧٢٨.



ريض خلي اتودعه اسكينه
قلي تعب يو جرحه تخدر
أوهبط عن بقايا الروس رمحه
واصوابه عليه ايگوم يسعر

انهدم يحسين كل حيلي وناراك
اومحد خلصك يا بن الزجيه

تضعضع وانهدم صبري وداوي
ولا غايب وگول ايعود ليه

يشايل راس حامينه اولينه
ليش احسين ساچت عن ونينه
يا شيايل راسه لا تلوحه
اخاف ايفوت ريح الهوى ابجرحه

أبودية:

اصوابك يسعر اقلبي وناراك
الشمقاعد على صدرك وناراك

أبودية:

الكلب شاجر على ابن امي وداوي
لا مجروح حتى اكعد وداوي

سفر الركب الحسيني من كربلاء الى كربلاء

بعد المأساة الكبرى التي حصلت في يوم العاشر من محرم ٦١هـ، بدأ الفصل الثاني من كتاب النهضة الحسينية وهو الذي كتبه السبايا بجبر آلامها ومداد أحزانها. وتناول باختصار قضية كانت ولا تزال مدار أخذ ورد بين الباحثين والكتاب وما عرف بقضية الأربعين، وتعني أن ركب الأسارى قد أخذ من كربلاء في اليوم الحادي عشر من المحرم إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ثم عاد من الشام إلى كربلاء ليصل على رأس العشرين من صفر في نفس السنة، مستغرقاً في ذلك أربعين يوماً!

وفيما ذهب بعض الباحثين إلى أن قبول هذا المعنى والقول بإمكانه هو من باب (حدث العاقل بما لا يكون) رأى آخرون بأنه ممكن ليس هذا فحسب بل هو واقع وتصدقه الأحداث والأرقام التي ساقوها للبرهنة على كلامهم. ثم إن الذين نفوا إمكانية الأمر لم يتفقوا على نتيجة واحدة، ف فيما احتتم البعض أنهم استغرقوا شهوراً في الذهاب والمجيء - ولم يحددوا عدد الأشهر- رأى بعض آخر أن الرجوع إلى كربلاء في شهر صفر ربما كان في سنة أخرى أي (سنة ٦٢هـ) لا في نفس السنة.

وينبغي الإشارة إلى أن سفر السبايا كان متوقفاً من البداية، فيما أخبر عنه الإمام الحسين عليه السلام «شاء الله أن يراهن سبايا» كما نقله في اللهوف.^(١) ويظهر أن المشكلة الأساسية التي تعترض قبول أن تتم هذه الرحلة خلال أربعين يوماً هي الأمور التالية:

١- ويقسم العلماء المشيئة -كالإرادة- إلى قسمين: تشريعية وتكوينية، وبينما الثانية لا تتخلف بل هي حتمية، يمكن للأولى أن تتخلف، وهي مثل ما نقل عنه أيضاً شاء الله أن يراني قتيلاً.. ومثلما أنه في الإرادة هناك إرادة تكوينية فكذلك التشريعية مثل قوله تعالى ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، ومثل (ولكن يريد ليظهركم).. فهذا كذلك بمعنى أنه كلف الإمام عليه السلام بالأمر بالمعروف واختار الإمام القيام بذلك فينتهي الأمر إلى أن يكون قتيلاً في سبيل الله وهكذا قضى الله سبحانه أن يواصل مسيرة الحسين عليه السلام، وتبليغهن رسالته فيكنّ سبايا.

١. أن هناك قولاً بأن ابن زياد بعدما حملت السبايا إليه في الكوفة، وأشبع غروره في عرضهن على أهل الكوفة، أرسل إلى يزيد بن معاوية يسأله عن ماذا يصنع بهن؟ وهل يرسلهن إليه في الشام أو ماذا؟ ومع فرض هذه المسافة حتى لو كانوا يستخدمون رواحل البريد فإن هذا يقتضي على الأقل اسبوعاً من الذهاب ومثله من العودة^(١) فهذه أربعة عشر يوماً.

٢. إن الطريق الأعظم وهو المسمى بالسلطاني مع كثرة المنازل التي مروا بها فيه، وبقاؤهم في بعضها أياماً سيستغرق على الأقل شهراً من الزمان (إن لم يكن شهرين كما قال بعضهم) حتى يصلوا إلى الشام، فإذا أضفنا إليها أسبوعين فهذه ٤٤ يوماً وهم لا يزالون لم يصلوا إلى الشام.

٣. لقد بقي ركب السبايا في الشام مدة تتراوح بين عشرة أيام وشهر من الزمان، فإذا أضيفت إلى المدة السابقة يعظم الإشكال والسؤال، ويبقى زمان العودة من دمشق إلى كربلاء وهو أيضاً يعظم الإشكال.

وقد قدمت عدة أجوبة، منها ما ذكره المحقق الكرياسي في دائرة المعارف الحسينية وهو يؤكد حصول السفر والعودة خلال أربعين يوماً ويقدم في تاريخ المراقدا ما يشبه الدليل التفصيلي للرحلة بحسب الأيام والمناطق، ونختصره في الأمور التالية:

الأول: إن ركب السبايا لم يبق فترة طويلة في الكوفة، بل انطلق منها باتجاه الشام في اليوم التاسع عشر من محرم، أي بعد نحو اسبوع من قدومهم للكوفة، ولا نعتقد أن ابن زياد كان يحتاج إلى أن يستشير يزيد بن معاوية في

١- بعد أن نقل ابن الأثير في الكامل ٨٤/٤ أن ابن زياد سير السبايا -بعد أن عرضهم في الكوفة- إلى الشام، قال، وقيل.. إن آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه: إن البريد سار بأمركم إلى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان. فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى وفيه كتاب يقول فيه: أوصوا واعهدوا.. ولم ينسبه ابن الأثير لمصدر، وصياغة الخبر لا تجعل المتأمل يطمئن إليه.

كل خطوة يخطوها (فلا شخصية ابن زياد كانت بهذا النحو من الخضوع والانتظار ولا يزيد كان يطالب ابن زياد بمثل ذلك، فإنه أطلق في يديه حرية التصرف وكان يريد النتيجة وهي القضاء على الحسين عليه السلام وجعله عبرة لمن يعتبر). نعم لا مانع من قبول ما ذكره بعضهم من أن ابن زياد قد أرسل إلى يزيد في الشام رسولا يخبره بالنصر، وقيل إنه زجر بن قيس فأخبره بذلك ولكن هذا لا يحتاج إلى أن يذهب ويرجع ويأتي بالجواب.

الثاني: إن الطريق الذي سلكه ركب السبايا في الذهاب يختلف عنه في العودة، فقد سلكوا في الذهاب الطريق السلطاني والغرض منه واضح وهو أن يستعرضوا في المناطق والمدن انتصارهم، ويتفرج الناس في هذه المناطق على مصير من يثور على السلطة الأموية هذا إذا كان بمستوى شخصية الحسين عليه السلام، ومع ذلك حصل له ولأنصاره من القتل ولنسائه من السبي ما حصل، فما ظنك بمن يكون أدنى منه منزلة؟

إلا أنهم في طريق الرجوع لم يكونوا بحاجة إلى هذا فقد انتفى هذا العامل، بل لقد حصل متغير جديد وهو تنصل يزيد من قتل الحسين عليه السلام واتهامه ابن زياد بأنه تسرع في الأمر ولم يكن ذلك عن أمر يزيد، وبناء على ذلك فقد كان يريد يزيد التخلص من ركب السبايا بأسرع ما يمكن حتى يغلق هذا الملف، فكان يحتاج إلى طريق أكثر اختصاراً وقليل النظارة والمناطق فاتخذوا طريق بادية الشام باتجاه العراق، وهو الطريق الذي يسميه المرحوم السيد الأمين بطريق عرب عقيل فقد نقل الطبسي عن صاحب الأعيان في كتابه «.. والمشهور أنهم وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومنه زيارة الأربعين الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام للحسين عليه السلام.. وقد يستبعد ذلك بأن المسافة بين العراق والشام تقطع في نحو من شهر، ولا بدّ يكونوا بقوا في الشام مدة، فكيف يمكن استيعاب الذهاب والإياب والبقاء في الشام، والذهاب للكوفة والبقاء فيها أربعين يوماً؟! ويمكن دفع الاستبعاد

بأنه يوجد طريق بين الشام والعراق يمكن قطعه في أسبوع لكونه مستقيماً، وكان عرب عقيل يسلكونه في زماننا، وتدلّ بعض الأخبار على أنّ البريد كان يذهب من الشام للعراق في أسبوع، وعرب صليب يذهبون من حوران للنجف في نحو ثمانية أيام فلعلّهم سلكوا هذا الطريق وتزوّدوا ما يكفيهم من الماء، وأقلّوا المقام في الكوفة والشام، والله أعلم»^(١).

الثالث: وهو مفتاح القضية الأساس، أننا عندما ننظر إلى طريقة الأسفار وسير القوافل في تلك الأزمنة، سنجد أنها تتوافق تماماً مع ما تؤكده الروايات القائلة بأنهم وصلوا إلى دمشق أول صفر، وبقوا فيها نحو تسعة أيام ثم غادروها باتجاه كربلاء على الطريق المذكور فوصلوها خلال تسعة أيام. وبيانه: أن معدل سرعة الناقة في الساعة هو عشرون كيلو متراً، بحسب مقاييس هذا الزمان، ومعدل سير الناقة في اليوم والذي يكون حدود ثمان ساعات (قد تبدأ في السحر أو بعده لا سيما في أيام الحر) سيكون ١٦٠ كيلومتراً في اليوم. وربما يكون قد اختلط على بعضهم الأمر في تقدير أنه كم يقطع الإنسان من المسافة في كل يوم، إذ توجد روايات تفيد بأنه بريدان وبأنه إذا قطع ذلك فقد شغل يومه، أو تعبيرياً يوم وقدروا مشيه في اليوم نحو ثمانية فراسخ والتي تعادل ٤٤ كيلومتراً. لكن هذا التقدير صادق في المشي دون الانتقال على ظهور الجمال، والتي -هي مثلما تقدم- يصل ما تقطعه إلى حوالي ١٦٠ كيلومتراً. (كمعدل متوسط). ويترب على هذا أنه لو فرضنا أن الطريق السلطاني الذي اختاره الأمويون في طريق الذهاب يصل إلى ٢١٠٠ كيلومتراً، فإنه بتقسيمه على ما ذكر من معدل ما تقطعه النياق من مسافة وهو ١٦٠ كيلومتراً أو تزيد قليلاً، فسيكون الناتج أنه يمكن قطع هذه المسافة في ١٣ يوماً وهو يتفق مع المعطيات التي تذكر تاريخياً من أنهم وصلوا إلى دمشق أول صفر، لأنه عندما يضاف ١٣ يوماً إلى اليوم ١٩ من محرم حيث خرجوا من الكوفة ستكون النتيجة منسجمة.

١- مع الركب الحسيني ١٨٧/٥.

ونفس الكلام حينما نطبقه على طريق العودة الذي نفترض أنه كان عبر بادية الشام وهو ما تكلم عنه السيد الأمين فإنه مع افتراض كونه بحدود الالف كيلومتراً أو تزيد، مع ملاحظة ما تقطعه النياق في اليوم ١٦٠ كيلومتراً، يتناسب مع المذكور من أنهم خرجوا يوم ١١ صفر سنة ٦١هـ ووصلوا يوم العشرين من نفس الشهر وهو الموافق لمرور أربعين يوماً على شهادة الإمام عليه السلام .

الرابع: أن طريق الذهاب وهو كما افاده المحقق الكرياسي يمر بحوالي ٣٧ منزلاً وقرية ومحلاً، لم يكن استقبال الناس فيه على منهج واحد فإن المؤرخين كما ينقلون أن بعض المدن والمناطق قد رحبت بالجند الأموي واحتفت بوصولهم، وزودتهم بالميرة والماء وما يحتاجون إليه فإن هناك من القرى والبلدات ما كان على عكس ذلك، إذ أبدى أهلها تعاطفاً مع السببا والأسارى، وشموا الجنود ورموهم بالأحجار وأزعجهم عن البقاء في مناطقهم، وبطبيعة الحال هذا سوف يسرع في عملية طي الطريق، لا سيما إذا كان الموقف السلبي في تلك القرى والبلدات تجاه الجند الأموي يشكل نسبة عالية قد تصل إلى أربعين في المائة من مجموع تلك البلدات والقرى.

الخامس: إن هناك من المؤرخين والفلكيين من سجل وصول ركب الأسارى إلى الشام على أنه في أول شهر صفر سنة ٦١هـ، ومع وجود هذه الشهادة المثبتة لا معنى لنفيها لجهة الاستبعاد.

فمن الأشخاص الذين ذكروا ذلك أبو الريحان البيروني^(١) المتوفى سنة ٤٤٠هـ وتبرز أهمية شهادته في أنه مؤرخ وفلكي وجغرافي، فقد قال في كتابه

١- ترجم بهذا النحو: أبو الريحان مُحَمَّد بن أحمد البيروني مَنسُوب إلى بيرون وهي مَدِينَة فِي السَّنَد كَانَ مُشْتَغلاً بِالْعُلُومِ الْحَكِيمِيَّةِ فَاضْلاً فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالنُّجُومِ وَلَهُ نَظْرٌ جَيِّدٌ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَكَانَ مَعَاصِرَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ ابْنِ سِينَا وَيَبِينُهُمَا مُحَادَثَاتٌ وَمِرَاسَلَاتٌ أَقَامَ الْبَيْرُونِيُّ بِخَوَارِزْمَ، لَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي الطَّبِّ وَالصِّيدَلَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالنُّجُومِ وَالْجُغْرَافِيَا وَالتَّقَاوِيمِ وَمِنْ كُتُبِهِ الْمَهْمَةُ: كِتَابُ الْآثَارِ الْبَاقِيَةِ عَنِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ. وَتُوفِّيَ سَنَةَ ٤٤٠هـ.



الأثار الباقية^(١): في اليوم الأوّل من صفر أدخل رأس الحسين عليه السلام مدينة دمشق، كما أن الشيخ عبّاس القمّي قد نقل عن الشيخ الكفعمي،^(٢) والشيخ البهائي^(٣) في كتابه توضيح المقاصد حيث قال فيه: الأوّل فيه كانت وقصة صفين بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية وفيه حل رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى دمشق وجعلوه بنو أمية عيداً^(٤)، والمحدث الكاشاني:^(٥) «في أوّل صفر أدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، وهو عيد عند بني أمية، وهو يوم تتجدّد فيه الأحران:

كانت ماتمّ بالعراق تعدّها أمويّة بالشام من أعيادها^(٦)

ويظهر من السيد الأمين في الأعيان قبول هذا حيث قال في كتابه «.. والمشهور أنهم وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومنه زيارة الأربعين الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام للحسين عليه السلام .

وبعد الانتهاء من ترتيب هذه المقالة رأيت أن أضيف إليها وصف الحادثة وبعض أطرافها مما لم يذكر هنا وقد سبق أن ذكرتها في كتابي (من قضايا النهضة الحسينية) لتتم بذلك الفائدة ولا يحتاج من يقرأ هذه المقالة إلى إحالته إلى الكتاب الآخر، فهذا نص ما كتب هناك:

١- البيروني، ابوريحان: الأثار الباقية عن القرون الخالية ٤٢٢.

٢- مصباح الكفعمي: ٥١٠. ومؤلف الكتاب هو الشيخ إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي (توفي حوالي ٩٠٥هـ) واسم الكتاب جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية، ألّف كتباً ورسائل علمية كثيرة في العرفان، والسير والسلوك، والأدب، والشعر، والتاريخ، والأدعية والزيارة.

٣- الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي (توفي ١٠٣٠هـ) يعرف بالشيخ البهائي وبهاء الدين العاملي وهو فقيه، ومحدث، وحكيم، ورياضي وصاحب فنون متنوعة من العلم، انتج من خلالها أكثر من خمسين مؤلفاً، وتولى مشيخة الإسلام في زمن الشاه عباس الصفوي، للاطلاع على أدواره وتميزه ننصح بالرجوع لكتابنا: من أعلام الإمامية.

٤- العاملي؛ بهاء الدين: توضيح المقاصد ٤ (مطبوع ضمن مجموعة مؤلفات).

٥- تقويم الحسينين / للفيض الكاشاني: ١٥.

٦- نفس المهموم: ٤٢٩؛ وانظر: مقتل الحسين عليه السلام / للمقرّم: ٣٤٨.

هل التقى الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري؟

بعد رحلة متعبة ومجهدة إلى الكوفة ثم إلى الشام، استمرت قرابة أربعين يوماً، عاد الركب الحسيني محملاً بأثقال الألم، إلى جانب أكاليل النصر وتحقيق هدف النهضة الحسينية (وهل كانت ولادة الأهداف السامية من غير ألم؟)، واتجه إلى كربلاء.. حيث موطن الذكريات، وهناك التقى عند المصرع بجابر بن عبد الله الأنصاري فقد روى الشيخ عماد الدين محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبري في كتابه بشارة المصطفى قصة الحادثة كما يلي:

أخبرنا الشيخ الامين ابو عبد الله محمد بن شهريار الخازن بقرائتي عليه في مشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في شوال سنة اثني عشرة وخمسمائة قال: أملى علينا أبو عبد الله محمد بن محمد البرسي قال: أخبرني أبو طاهر محمد بن الحسين القرشي المعدل، قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن حمران الأسدي، قال: حدثنا أبو أحمد اسحق بن محمد بن علي المقري، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن الايادي، قال: حدثنا عمر بن مدرك، قال: حدثنا يحيى بن زياد الملكي، قال: أخبرنا جرير بن عبد الحميد عن الاعمش عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم اتزربازار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سُعد فنثرها على بدنه ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر، قال: ألمسني، فألمسته فخرَّ على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفرق بين بدنك ورأسك، فاشهد أنك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكسا



وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكاة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال بصره حول القبر، وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله وأشهد أنكم أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين والذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت له يا جابر كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت أزواجهم؟! فقال: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه. خذني نحو إلى أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية هل أوصيك وما أظن أنني بعد هذه السفارة ملاقيك أحبب محب آل محمد صلى الله عليه وآله ما أحبهم وابغض مبعض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواماً قواماً وارفق بمحب محمد وآل محمد فانه إن تزل له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت له أخرى بمحبتهم فان محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار^(١).

وقد شكك الشهيد الشيخ المطهري رحمه الله في الملحمة الحسينية بأمر لقاء الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري، وذكرها تحت عنوان التحريفات اللفظية: قصة زيارة الأسراء لقبر الحسين في كربلاء وملاقة السجاد لجابر

١- بشارة المصطفى ص ٧٥.

وذلك بعد أن وصل الأسرى إلى مفترق طريق بين المدينة والعراق والاستعانة بالنعمان بن بشير لمعرفة طريق كربلاء في حين أن حقيقة الزيارة المعروفة هي زيارة جابر وعطية العوفي لقبر الحسين لا غير. (هذا على فرض كون كل ما جاء في الطبعة العربية المترجمة صحيح النسبة إلى الشهيد المطهري وهو ما لم يقبله المحقق السيد جعفر العاملي في كتابه الجديد كربلاء فوق الشبهات). ولم يذكر الشهيد المطهري رحمه الله -وهو المحقق المتتبع- ما يدل على كون الواقعة غير حقيقية، أو جهة كونها من التحريفات اللفظية، ولعل حرصه على أن تكون الأمور محققة وحماسه ضد المبالغات غير المقبولة في السيرة الحسينية كما يلحظ ذلك قارئ الملحمة أدى به لذلك.

فمع أننا لا نجد تأريخاً صريحاً للواقعة في المصادر التاريخية القديمة -في الباقي منها- كما هو الحال في الباقي من مقتل أبي مخنف الأزدي، والذي نقل منه الطبري كثيراً، ولم ينقله بكامله، وإنما نقل ما يرتبط بالقضية التاريخية التي تنفعه في كتابه.. ولا يضر عدم ذكره الواقعة فإنه لم يذكر أصل زيارة جابر الأنصاري، كما لا يضر عدم ذكرها في المصادر التاريخية القديمة، فإن أول من ذكر الزيارة هو صاحب بشارة المصطفى المتوفى بعد سنة ٥٥٣هـ فإنه قد التزم الشيخ الطبري بأني (سميته بكتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى صلوات الله عليهم ولا أذكر فيه إلا المُسند من الأخبار عن المشايخ الكبار والثقات الأخيار..) والشيخ الطبري وهو من تلاميذ ابن شيخ الطائفة الطوسي أعلى الله مقامهم في تلك الطبقة يمكن أن تقبل شهادته في التوثيق وأنها عن حس لا عن حدس واجتهاد، ومع هذا يمكن الاطمئنان إلى وثاقة من هم في سند هذه الرواية التي نقلها في كتابه، فإنهم يتحدثون في علم الرجال في باب التوثيق العامة عن كتاب بشارة المصطفى كواحد من الكتب التي تفيد وثاقة من ورد في أسانيد رواياته، إما كل من ورد في سلسلة السند كما لعله الأظهر باعتبار أن صاحب الكتاب وهو الضليع في هذا الفن يريد أن



يصحح رواياته وهذا لا يتم إلا بالحكم بوثاقة من هم في السند جميعاً وإما خصوص مشايخه على الخلاف المبحوث في بابه .

كما ذكر الشيخ الجليل بن نما الحلبي^(١) في كتابه (مثير الاحزان ص ٧٦ طبع المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف بنحو الاختصار موضوع اللقاء بين جابر وبين ركب السبايا فقال ولما مر عيال الحسين بكربلاء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمة الله عليه وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد فتلاقوا بالحزن والاكتئاب والنوح على هذا المصاب المقرح لأكباد الأحباب .. وقد طبع هذا الكلام في حاشية مقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي ص ٢٢٠ .

وقد ذكر الموضوع أيضاً السيد علي بن طاووس الحلبي المتوفى سنة ٦٦٤هـ في كتابه اللهوف في صفحة ١٩٦ فقال: ولما رجع نساء الحسين وعياله من الشام وبلغوا العراق، قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء ووصلوا إلى المصرع فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم قد وردوا لزيارة قبر الحسين فوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن والللطم .

ونحن لا نرى وجود مانع يمنع من الالتزام بالرواية المذكورة، فمن الناحية التاريخية كان دخول السبايا إلى الشام في أول يوم من صفر كما ذكره ابو الريحان، والكفعمي والبهائي والمحدث الكاشاني وكان بقاؤهم في الشام خمسة أو سبعة أيام، ثم عودتهم إلى كربلاء، مع ملاحظة أن ذهابهم كان أكثر من ذلك لتوقفهم في الكوفة، ولأنهم كانوا يريدون التفرج عليهم في رحلة الذهاب بخلاف ذلك في رحلة العودة، وعلى أي حال فإن خمسة عشر يوماً أو ثلاثة عشر يوماً كافية للوصول إلى كربلاء في رحلة العودة .

١- هو الشيخ الفقيه نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر ابي البقاء هبة الله توفي سنة ٦٤٥هـ كان من الفضلاء والأجلة وكبراء الدين والملة، عظيم الشأن جليل القدر، وأحد مشايخ آية الله العلامة ... كما عن المحدث القمي في الكنى واللقاب .

هذا ولكني عثرت فيما بعد على كلام لشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله يشير فيه إلى يوم الأربعاء باعتباره اليوم الذي وصل فيه حرم الحسين عليه السلام إلى كربلاء وهو نفسه اليوم الذي زار فيه جابر بن عبد الله قبر الحسين، فأحببت إضافته إلى هذه الصفحات.

وربما يتوهم أنه اليوم (كتاريخ ومناسبة) لا اليوم الشخصي، لكنه بعيد جداً من سياق الخبر كما ستلاحظ، قال الشيخ في مصباح المتعجب: (وفي اليوم العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس ويستحب زيارته عليه السلام فيه وهي زيارة الأربعاء..)^(١).

١- نقله في الوسائل / ج ١٤ ص ٤٧٩، وقال أنه قد روى المفيد ذلك أيضاً مرسلًا، في (مسار الشيعة). قلت: ليس عندي هذا الكتاب حتى أرى عبارته.

قافلة السبايا في الكوفة بعد كربلاء

جاء في الزيارة المنسوبة للناحية المقدسة القول: «وسبي أهلك كالعبيد وصفدوا بالحديد، تلفح وجوههن حر الهاجرات، يطاف بهن في البراري والفلوات». وصول آثار المعركة إلى الكوفة في مدها الاجتماعي كان على مرحلتين، الأولى في مساء يوم العاشر عندما حمل خوئي بن يزيد الأصبحي ورافقه حميد بن مسلم الأزدي، بأمر قائد الجيش الأموي عمر بن سعد رأس الحسين عليه السلام لإيصاله إلى قصر الإمارة لبيان انتهاء المعركة و(الفتح) الذي حققه ابن زياد، وبالرغم من قرب المسافة بين الكوفة وكربلاء حيث لا تزيد عن ثمانين كيلومتراً، وهي مسافة يقطعها الفارس المتعجل في أقل من ثلاث ساعات ربما، ولا ريب أن الأصبحي كان متعجلاً على استلام جائزته، إلا أنه لم يتيسر له الوصول إلى قصر الإمارة في وقت مناسب حيث وصل بعد الغروب، وكان مهما لديه أن يكون هو حامل الرأس والداخل على ابن زياد فلم يشأ -والحال هذه- أن يعطي الرأس مثلاً للحراس ليوصلوه إلى ابن زياد فتضيع بذلك جائزته. وقد نقل حميد بن مسلم إلى تاريخ العاشر عصراً ما جرى، ثم ذهب برفقة خوئي، وبالرغم من أن حميداً قد نقل أن القصر كان مغلقاً ونقل ما جرى بين خوئي وزوجتيه^(١) إلا أنه لم يتعرض إلى ذكر دوره الخاص في هذه العملية، وهل

١- الطبري، ج ٤/٣٤٨ فسر بحراسه من يومه ذلك مع خوئي بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد فأقبل به خوئي فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً فأتى منزله فوضعه تحت إجانة في منزله وله امرأتان امرأة من بني أسد والأخرى من الحضرميين يقال لها النوار ابنة مالك بن عقرب وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية قال هشام فحدثني أبي عن النوار بنت مالك قالت أقبل خوئي برأس الحسين فوضعه تحت إجانة في الدار ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه فقلت له ما الخبر ما عندك قال جئتك بغنى الدهر هذا رأس الحسين معك في الدار قالت فقلت ويحك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول صلى الله عليه وآله لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبدا قالت فقامت من فراشي فخرجت إلى الدار فدعا الأسدية فأدخلها إليه وجلست أنظر قالت فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة ورأيت طيراً بيضا ترفرف حولها قال فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله ابن زياد.. ثم انتقل الطبري لخبر آخر.

رافق خوئي في اليوم التالي للقاء ابن زياد أو لم يفعل؟ وهل أعطي شيئاً أم لا؟ كل هذا لا نجد له أثراً، ويحتاج الأمر إلى دراسة في كيفية كتابة حميد بن مسلم الأزدي حوادث الواقعة بدراسة نقدية فاحصة، ويظهر من بعض كلماته أنه كان مرسلًا من عمر بن سعد لمهمة أن يخبرهم بأنه بعافية وسلامة فقط كما نقل ذلك عنه الطبري في قوله « فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك ».^(١)

مواقف الكوفة المختلفة في تلقي الخبر والسبايا

أرى مناسبا التذكير بقضيتين ربما تكونان واضحتين عند البعض وتخفيان على آخرين، الأولى: التعريف لكلمة سبايا، والثانية كيف يجتمع قول الإمام الحسين عليه السلام لهن بأن الله حافظكن وحاميكن ومع ذلك تم سبيهن في البلدان؟

بالنسبة للقضية الأولى فإن كلمة سبية (كما ينقل في بلاد الشام) هي من الشناعة في المعنى بحيث لا يقبلون أن تطلق على نساء أهل البيت أنهن سبايا أو أن يعبرن عنهن بركب السبايا وكأن السبية تعني المنتهكة من الناحية الجنسية، بحيث أصبح هذا يعني هذا، وهذا ما طبقه دواعش العصر على بعض من أسروهن من نساء مخالفينهم.

إلا أن التعبير عن أسارى آل البيت بالسبايا موجود في النصوص، وهو حاصل بمعنى الأسر والضرب والايذاء والتسفير من بلد إلى بلد على رغم ارادتهن، دون المعنى الآخر الذي يتوافق أحياناً مع الخدمة والامتهان، فضلاً عن الاستغلال الجنسي والاعتداء على الأعراض.

ففي خطبة السيدة زينب عليها السلام - وهي العارفة بشؤون الكلام والدقيقة في استعماله - قالت: (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت

وجوهن يستشرفهن أهل المناهل والمناقل...^(١). ولعلنا نلاحظ أن العقيلة زينب حين أكدت على هذه اللفظة من جهة وشرحتها بالتفصيل بجملة بعدها لكي يتبين حدود ذلك السبي: (هتكت ستورهن وأبديت وجوههن.. الخ) لكنها في موضع آخر عندما أراد شامي أخذ فاطمة بنت الحسين (أوبنت علي) للخدمة والامتهان رفضت بقوة وقالت: ما ذلك لك، وعندما رد عليها يزيد بأنه لو شاء لفعل، قالت: لا، إلا أن تدين بغير ديننا^(٢).

وهذه الأسطر الأخيرة توضح جواب القضية الثانية، فإنه عليه السلام لم يقصد أنه لن تتعرض النساء لأي نوع من الأذى فإن هذا لا يحصل حتى والإنسان في بيته، فكيف إذا كان قد جاء إلى معركة وسيصطلي نارها وآثارها، فمن الطبيعي أنهن عندما يسبين سيتعرضن إلى ما ذكرته العقيلة في خطبتها وشرحتها، لكن دون الحدود التي ذكرناها من كلامها مع يزيد والشامي.

كانت هذه مقدمة كي لا يعترض على ما قد يرد من تعبير ركب السبايا أو ما شابهه.

نرجع القول إلى رصد مواقف في المجتمع الكوفي، وسيواجهنا نوع من الغموض في تشكيل صورة عامة عنه، لكن لا يمنع ذلك من اقتناص صور متفرقة قد تشكل بمجموعها صورة مناسبة.

فأول ما نلاحظ هو وجود ردود فعل فردية عائلية؟ قامت بها نساء مقاتلين في الجيش الأموي تنكرن لفعل أزواجهن.. وهذا هو الموقف الطبيعي الذي لا يحتاج إلى بيئة خاصة ولا ترتيب اجتماع ولا غيره، وإنما عندما استخبرت هذه النساء فإن قسماً منهن اعترضن ورفضن فعل أزواجهن بل قررن الانفصال عنهم منذ تلك اللحظة، ورأين أن الحياة معهم لا تطاق، وقد أشرنا في صفحة سبقت إلى موقف النوار الحضرمية من زوجها خوئي بن يزيد الذي جاء برأس

١- ذكر هذه الجملة من نقل خطبتها، كالسيد ابن طاووس في اللهوف / ٦١٠ .

٢- الطبري ٤/ ٣٥٣.

الحسين لمنزلها، بالطبع لم يكن هذا حالة عامة فقد نجد نساء سلبيات في موقفهن وكأنه لا يعنيهن الأمر من قريب ولا من بعيد بل ربما كانت زوجتان لشخص واحد وتتخذ كل منهما موقفا مغايرا للأخرى كما فعلت الأسدية التي انضمت إليه .

الاحتجاجات الفردية الصاخبة

الصدمة الكبيرة التي وجهها الأمويون بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بتلك الصورة الشنيعة، وبسبي نسائه فيما بعد، والتي جعلت أهل الكوفة سكارى حيارى، لا هم مصدقون ولا مكذبون، ولا قادرين على التحرك، بل ولا على الاستيعاب، لم تمنع بعض أصحاب البصائر من الاعتراض الصريح وتمزيق ستار الصمت والخذلان، عندما قام عبد الله بن عفيف الأزدي وهو كفيف البصر (وهذا يعني أن لديه من المبررات الخاصة بل ومن عذر الناس له ما يكفيه لو كان يبحث عن مبرر وعذر، لكنه بعدما سمع (خطبة النصر) كما أرادها ابن زياد، حولها عبد الله بن عفيف إلى فضيحة أمام الناس .

«فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر

أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي وشيعته فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ثم الغامدي ثم أحد بني والبة وكان من شيعة علي كرم الله وجهه وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضُرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف، قال: فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة إن الكذاب بن الكذاب أنت وأبوك والذي ولأك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين! فقال ابن زياد: عليّ به قال فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه قال: فنادى بشعار

الأزد يا مبرور، قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس، فقال: ويح غيرك أهلكت نفسك وأهلكت قومك، قال: وحاضر الكوفة يومئذ من الأزد سبعمائة مقاتل، قال، فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك»^(١).

ويظهر من بعض المصادر التاريخية أن حركة الأزدي كادت أن تتحول إلى صراع قبلي بين المضريين وبين اليمانيين الذين زج بهم ابن زياد للقبض عليه كما هي عادة السلطة الأموية في ضرب فئة بأخرى لتثبيت كل من الفئتين اخلاصها للسلطة، وربما ولي بعض قادة هذه الفئة تلك لخلط الأمور، فلما أرادوا القبض على ابن عفيف بلغ ذلك الأزد فاجتمعوا، واجتمع معهم أيضاً قبائل اليمن ليمنعوا عن صاحبهم عبد الله بن عفيف، وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره بقتال القوم.

قال: فأقبلت قبائل مضر نحو اليمن ودنت منهم اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يؤنبهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم، قال: وبعث إليه شيبث بن الربيع: أيها الأمير إنك قد بعثتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل، قال: واشتد قتال القوم حتى قتل جماعة منهم من العرب، قال: ودخل أصحاب ابن زياد إلى دار ابن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه، فصاحت به ابنته: يا أبت أذاك القوم من حيث لا تحتسب، فقال: لا عليك يا ابنتي ناوليني السيف، قال: فناولته فأخذه وجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعهم وحاسر وبطل جندلته مغادر
قال: وجعلت ابنته تقول: يا ليتني كنت رجلاً فأقاتل بين يديك اليوم
هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة. قال: وجعل القوم يدورون عليه من خلفه

١- الطبري ٤/٣٥١.

وعن يمينه، وعن شماله وهو يذب عن نفسه بسيفه، وليس يقدر أحد أن يتقدم إليه، قال: وتكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه، فقال جندب بن عبد الله الأزدي، إنا لله وإنا إليه راجعون أخذوا والله عبد الله بن عفيف فقبح والله العيش من بعده، قال: ثم أتى به حتى أدخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: الحمد لله الذي أخزأك، فقال له عبد الله بن عفيف: يا عدو الله بهذا أخزاني، والله لو فرج الله لي عن بصري لضاق عليك موردي ومصدري، قال فقال ابن زياد: يا عدو نفسه ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه؟ فقال: يا بن عبد^(١) بني علاج! يا بن مرجانة وسمية ما أنت وعثمان بن عفان؟ عثمان أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد، الله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بين خلقه وبين عثمان بن عفان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال عبد الله بن عفيف: الحمد لله رب العالمين أما إني كنت أسأل ربي عزوجل أن يرزقني الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقني إياها بعد الإياس منها وعرفني الإجابة منه لي في قديم دعائي، فقال ابن زياد: اضربوا عنقه فضربت رقبته وصلب - رحمة الله عليه.^(٢)

الموقف الكوفي العام

من الواضح أنه تم شل حركة المجتمع الكوفي عن القيام بدور - عام وعاجل - في الرد على استقدام السبايا وهذا ينبغي دراسته والتأمل فيه، وأنه كيف حصل ذلك.

صورة مفترضة لما حدث

لقد تم في اليوم الثاني عشر من محرم صباحاً تعطيل الأسواق في الكوفة، بعد ما أدخل ركب السبايا، واعتبر ذلك عطلة رسمية، ومن الطبيعي أن يخرج الناس للتفرج والاستطلاع كما نجد هذه الحالة في كل المجتمعات حيث يحرص

١- أشار فيها ابن عفيف إلى أن ابن زياد متهم في نسبه لأبيه وأنه لعبد كانت أمه مرجانة تواصله!

٢- الفتوح ٥/١٢٦.

الجميع على أن يكون هو بنفسه شاهد الخبر ما لم يكن هناك مانع يمنعه، لا سيما وأن وسائل الإعلام وهي في ذلك الوقت كسائر الأوقات تستدعي الناس للنظر والاطلاع وإن اختلفت أساليبها وتقنياتها ولكن غرضها واحد وهو الاخبار وإيصال رؤية الدولة للناس من خلال الحدث القائم.

يفترض أنهم قد داروا بركب السبايا في الشوارع الرئيسية لينتهي إلى المجمع الرسمي الإداري الذي كان ولا يزال قصر الامارة ويلحق به سجن، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون هناك بعض الادارات المرتبطة به وبجانبه قريباً منه يكون المسجد الأعظم - الكوفة - .

كذلك نحتمل أنه تم إلحاق رأس الإمام الحسين عليه السلام مع باقي الرؤوس ليكون أبلغ في إيضاح جانب النصر والفتح الأموي بالرغم من أن الرأس الشريف كان قد سبق أن أوصله خوئى بن يزيد في صبيحة يوم الحادي عشر محرم إلى ابن زياد كما تقدم في سطور سابقة، وربما يكون لهذه الجهة ما نقل من أن زينب عندما رأت رأس الحسين عليه السلام قد ضم إلى باقي الرؤوس من جديد تمثلت بما هو المشهور عنها.^(١)

كان من الطبيعي أن ينقسم الناس في مواقفهم إلى أقسام؛ متعاطف، وحزين على ما حصل، وآخر متشمت ممن كان من أنصار الأمويين وثالث وهو غير عابئ كثيراً وهو ما نجده في كل المجتمعات فلا تستوقفه المسألة إلا بمقدار ما ترتبط بحياته اليومية من تأثيرها فيها فائدة أو مضرة.

من القسم الأول وجدنا مظاهر من التعاطف النفسي والمساعدة بما يمكن، فإن بعض النساء الكوفيات عندما سألت: من أي الأسارى أنتن؟ قالت سكينه: نحن أسارى آل محمد، فلما سمعت النسوة بذلك، استعبرن وبكين، ورفضن هذا الأمر،

١- نسب إليها هذان البيتان لما رأت رأس الحسين عليه السلام قالت:

يا هلالاً لَمَّا استتم كمالاً غاله خسفه فأبدي غروبا
ماتوهمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدراً مكتوبا

بينما نسبهما الشيخ محمد السماوي في الطليعة من شعراء الشيعة، وغيره لابن حماد الجزائري.

وذهبن وجمعن أزراً ومقانع، من بيوتهن وجيرانهن حتى تستتر النساء الأسيرات. ومن ذلك ما نقل أيضاً من أن بعض النساء الكوفيات لما رأين في الركب أطفالاً ویتامی، أقبلن عليهن يناولنهن الجوز والتمر والخبز، فأخبرت الأطفال أن لا يأكلوا من ذلك فإن الصدقة محرمة على آل محمد.^(١)

بعد العرض العام... الأسارى في مجلس ابن زياد

نفترض أنه وبعد أن تم العرض على الناس استقدم ركب الأسارى إلى قصر ابن زياد، حيث جمع قاداته العسكريين والمستشارين السياسيين، ضمن احساس بنشوة النصر ولكي يظهر ما في نفسه أخذ يتهكم عليهن، موجهاً كلامه أولاً إلى زينب بنت علي عليهما السلام وقد تنحت ناحية وهي متنكرة حتى لا تعرف. فقال: من هذه المتنكرة؟ فقالوا له: هذه زينب بنت علي بن أبي طالب. فقال لها: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب أحدوثكم. ينبغي أن نلاحظ هنا عقيدة الجبر التي كان يبشر بها الأمويون باستمرار وهي على خط التنافي مع (العدل الالهي) الذي يراه أهل البيت عليهم السلام، وكيف رتب الأمويون نتائج سيئة واستفادوا من تلك العقيدة الخاطئة بل وأبقوها في الأمة - في الفكر المسلم المتأثر بهم - فهو هنا يرى أن (الله تعالى) هو الذي قتل الحسين وفضحه، وفي موضع آخر سيقول إن الله هو نفسه قتل علياً بن الحسين وهكذا! لأن الذي نفذ الجريمة هو ابن زياد وابن سعد وجنودهم. وينقل ابن أعثم في كتابه (الفتوح) حواراً شبه مفصل بهذا النحو وهو يختلف بعض الشيء عما في الطبري (هذه زينب بنت علي رضي الله عنه، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثكم، فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله

١- من الناحية الفقهية لا يفتي العلماء بجرمة الصدقة المستحبة على الهاشميين وإنما المحرم هو الزكاة الواجبة، ولكن قد يكون الغرض في امتناع اخذ الأطفال والیتامی تلك الفتات من الطعام لما ينتزع منه من صور المذلة التي لا تتناسب مع معزة أهل البيت عليهم السلام. فكان ينبغي رفض ذلك. كما احتمل بعض العلماء أن يكون ذلك لنذرتهم في مقتل الحسين عليه السلام.. ولا أعلم مصدراً واضحاً لهذا الاحتمال!

وطهرنا في كتابه تطهيرا، وإنما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت زينب رضي الله عنها: ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة! قال: فغضب ابن زياد من ذلك، فقال له عمرو بن حريث المخزومي: أصلح الله الأمير إننا امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها، فقال ابن زياد: لقد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت زينب: لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت، فقال ابن زياد: هذه شجاعة لا حرج، لعمرى لقد كان أبوك شاعراً شجاعاً^(١)، فقالت زينب رضي الله عنها: يا ابن زياد وما للمرأة والشجاعة؟^(٢)

١- قد نقلت في المصادر تارة بعنوان (شجاعة) وأخرى (سجاعة)، ومقتضى تعليقه على الكلام ان يكون (سجاعة) لا شجاعة.. فإن سياق كلام العقيلة زينب عليها السلام وما فيه من الأدب البليغ والرفيع من اداء المعاني بأقصر الكلمات لا ريب يستمطر الاعجاب، لا سيما من مثل ابن زياد الذي كان معروفا بتأثره باللكنة الفارسية التي ارتضخها من أحواله، بل حتى في نطق الكلمات لم تكن عربية واضحة كأن يقول لهاني بن عروة: أهروري سائر اليوم؟ يعني أنت حروري! من الخواصج.. وهكذا”.. كون لهجة عبيد الله بن زياد عجمية، وكونه يلحن هكذا، يثبت أن تربيته كانت متأثرة بالنزعة الفارسية، وإن العربية كانت بعيدة عنه بشكل من الأشكال، ويتحدث لنا الجاحظ أكثر في هذه النقطة في كتابه البيان والتبيين، فقد جاء فيه: [... ومنهم - المشهورين باللحن - عبيد الله بن زياد والي العراق قال لهاني: (أهروري سائر اليوم)، يريد أهروري... وصهيب بن سنان يرتضخ لكنة رومية، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية، وقد اجتمعنا على جعل الحاء هاء... وبعضهم يروي إنه أملى على كاتب له فقال أكتب (الهاصل ألف كر) فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها، فأعاد عليه الكلام فأعاد عليه الكاتب، فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال: (أنت لا تهسن أن تكتب، وأنا لا احسن أن أملي فاكتب: (الواصل الف كر) فكتبها بالجم معجمة... عن مقال للشاهيندر / <https://elaph.comWeb/> opinion .) وزينب عليها السلام وإن كانت في غاية الشجاعة عندما واجهت هذا الطاغية في مجلس قوته وجبروته.. ويناسب ان يصفها بذلك إلا أننا نعتقد أن الجانب الآخر هو الأولى.

٢- الفتوح ٥/١٢٢.

موقف نبيل من زيد بن أرقم^(١)

ومن الحاضرين في ذلك المجلس كان زيد بن أرقم، الذي وقف موقفاً نبيلاً في المواجهة مع كبر سنه، فإنه لما رأى رأس الحسين موضوعاً بين يدي ابن زياد وهو ينكت بقضيب (عود) بين ثناييه^(٢) ساعة فلما رآه زيد بن أرقم لا ينجم عن نكته بالقضيب قال له: أعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول صلى الله عليه وآله على هاتين الشفتين يقبلهما ثم انفضخ الشيخ يبكي! فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك فوالله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. قال: فنهض فخرج فلما خرج يقول الراوي: سمعت الناس يقولون والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله، قال فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول ملك عبداً فأتخذهم تلداً أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل^(٣).

وأمر ابن زياد بإخراج النساء وانزالهن في دار قريبة من قصر الامارة، وقد تكون إحدى غرف السجون المعدة لمثل هذه القضايا، وذلك أن الذي تولى أمره كان مري بن معاذ الأحمرري وهو يصنف على ما نسميه اليوم بالشرطة العسكرية. ثم دعا للصلاة جامعة حيث صار قرب وقت الظهر، وجرى ما سبق الحديث عنه من المواجهة القوية مع الشهيد عبد الله بن عفيف الأزدي.

١- زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: توفي بعد (٦١ هـ/٦٨) ويعد بالإضافة إلى كونه من صحابة النبي وشهد مشاهدته، من أولياء أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت، فقد شهد بحديث الغدير لما استشهده الامام في الكوفة، واشترك معه في حروبه، كما روى حديث الثقلين عن رسول الله، وعارض المغيرة بن شعبه حين رآه يشتم الإمام عليا عليه السلام، وله الموقف المذكور المشهور أمام ابن زياد لما رآه يضرب رأس الحسين عليه السلام.

٢- لسان العرب ١٢/٢٠٢: الثنية من الأضراس أول ما في الفم، وثنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه؛ ثنتان من فوق وثنتان من اسفل.

٣- الطبري ٤/٣٤٨.

كيف خاطبوا المجتمع الكوفي؟

١. خطبة السيدة زينب عليها السلام

أربع خطب أساسية هي التي نقلتها كتب التاريخ لنا عن الإمام زين العابدين والسيدة زينب وأم كلثوم وفاطمة بنت الحسين عليهم السلام ، ومن خلالها نستطيع أن نجد التنوع في كيفية الخطاب مع وحدة الحفاظ على محاور التوجيه والموعظة، وبالرغم من أنه لا يوجد تنسيق مسبق للحديث ومفرداته فيما بين الخطباء إلا أننا في النتيجة نحصل على ما يشبه التكامل بين تلك المفردات .

نستطيع أن نلاحظ جملة من الأفكار الأساسية التي ركزت عليها السيدة زينب عليها السلام في خطبتها الكوفية، وهي أول خطبة لها وأول خطبة -على الاطلاق- في الكوفة من جهة أسارى أهل البيت عليهم السلام لذلك تكتسب أهمية خاصة لهاتين الجهتين: فمن تلك الأفكار التي ركزت عليها في خطابها لهم:

١. فضيحة التفاصل بين العواطف والعمل وأن المبالغة في البكاء من دون تحمل مسؤولية لا ينفع .

٢. فضيحة التظاهر بحسن الايمان والولاء والانطواء في المقابل على مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم الا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الاماء، وغمز الاعداء او كمرعى على دمنة أو كفضة أو كقصعة على ملحودة ألا ساء ما قدمت لكم انفسكم وفي العذاب أنتم خالدون .

٣. وضع جريمة مقتل الحسين عليه السلام في حجمها العظيم، وأنها ليست مجرد قتل رجل ما بيد السلطة، وإنما هي تمتد للاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وآله شخصياً، فكبدته صلى الله عليه وآله هو الذي فري

ورأسه في الحقيقة هو الذي قطع وبُري وأسرته وكرائمه وحرائره هي التي سببت لقد سببتم رسول الله بسبي نسائه وعياله .

٤. فهل يكفي في ذلك دمعة باردة؟ أو أنة خافتة؟ لقد جئتم بها شوهاء صلعاء سيئة المظهر هي من الضخامة مثل طلاع الارض (مثلما طلعت عليه الشمس).
٥. بل إنها في هذا تؤكد في أول إثبات تاريخي على أنه قد مطرت السماء دما، تفاعلاً مع هذه المصيبة وتعظيماً لما حصل على أثرها، وهي بذلك تصيب عصفورين بجحر واحد؛ تثبت الواقعة تاريخياً حتى لا يتم انكارها، وتثبت درسها وتفاعل الكون معها .

وأما نص الخطبة فقد نقلها ابن اعثم عن خزيمة الأسدي^(١) قائلاً:
ونظرت إلى زينب بنت علي رضي الله عنه يومئذ ولم أر خفرة قط أفصح منها كأنها تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس، ثم قالت: الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطاهرين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل، أتبكون؟! فلا رقت لكم دمعة، إنما مثلكم كمثل^(٢) (التي

١- الخطبة من الشهرة والمعروفية لا تحتاج إلى بحث كثير في شأن الناقل هل هو خزيمة أو حذيم أو غيره!
٢- في اطلالة سريعة على بعض مفردات هذه الخطبة نقول: إن العقيلة زينب قد استدعت المثل القرآني الذي يشير إلى أن الإنسان قد يعمل بجد في أمر حتى إذا وصل نتيجته وغايته نقضه وأفسده، والتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً أي نكثت الغزل هي امرأة حمقاء في الجاهلية كانت تأمر بناتها وجواربها للعمل على نسج الصوف من الصباح الى ما بعد الظهر ثم تقوم بسحب الخيط الجامع وتسله فيرجع إلى ما كان عليه وينتقض الغزل، فكل هذا التعب الذي اشتغلوا عليه كأنما لم يكن! وتعود في اليوم الثاني على نفس الطريقة، وبعض المجتمعات هي هكذا فهي تعمل بدأب في المقدمات لكنها عندما تصل إلى النتيجة تتخاذل وتترك وتنقض غزلها. ثم أنها قرعتهم بأنه ليس فيهم الا الصلف النطف؛ ليس سوى المظاهر! هؤلاء يجبون ان يمدحوا بشيء لم يفعلوه! هو يتزين خارجياً ويحاول الحصول على الاحترام من خلال ذلك بينما هو في داخله لا مضمون فيه! ولا خير يرجى منه! لكنه يعشق المدح والثناء وإن كان كل ذلك بالكذب! وهؤلاء الناس أشبه بالإماء والجوارب في حرصها على التملق لسيدها والتماوت لتحصيل رضاه والتخضع ليعطف عليها، تقول لهم انتم مع الحكم الاموي حالكم هي هذه الحال فأنتم تعملون المستحيل حتى يرضوا عنكم ومن الاولى ان يرضى الله عنكم ان تتوسلوا وتتخضعوا لله ولأوليائه الحقيقيين لا الى مثل هؤلاء. وتستمر في تعرية ذلك المجتمع الذي هو أشبه بمرعى على دمنة، فالمكان مخضر الظاهر ولكن تحته الغائط والقذارات،

نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ^(١) أَلَا بُئْسَ مَا قَدِمْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ، أَتَبْكُونَ وَتَتَنَحَّبُونَ! إِي وَاللَّهِ فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا، كُلُّ ذَلِكَ بَانْتِهَاكُمْ حَرَمَةَ ابْنِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ غَدًا وَمَلَاذِ حَضْرَتِكُمْ وَمَفْزَعِ نَازِلَتِكُمْ وَمَنَارِ حُجَّتِكُمْ وَمَدْرَةِ سَنَّتِكُمْ، أَلَا سَاءَ مَا تَزْرُونَ، وَبَعْدَ لَكُمْ وَسْحَقًا، فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَّتِ الْأَيْدِي، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَتَوَلَّيْتُمْ بِغَضَبِ اللَّهِ، وَضَرَبْتَ عَلَيْكُمْ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ، أَتَدْرُونَ وَيَلِكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ أَيُّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَيْتُمْ وَأَيُّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ وَأَيُّ حَرِيمٍ لَهُ وَرِثْتُمْ وَأَيُّ حَرَمَةٍ لَهُ انْتَهَكْتُمْ؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٢) لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا خَرْقَاءَ شَوْهَاءَ طَلَاعِ الْأَرْضِ، أَفَعَجِبْتُمْ إِنْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَأَنْتُمْ لَا تَنْصُرُونَ، فَلَا يَسْتَخْفِنُكُمْ الْمَهْلُ وَلَا يَحْفَظُهُ الْبِدَارُ، وَلَا يَخَافُ عَلَيْهِ فُوتُ الثَّأْرِ، كَلَّا! إِنْ رَيْكَ لِبِالْمُرْصَادِ.^(٣)

٢. خطبة فاطمة بنت الحسين

فإنه يظهر من السيد ابن طاووس في اللهوف أنها من حيث الترتيب كانت للسيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام والتي عبر عنها بالصغرى - في مقابل الكبرى وهي بنت علي عليهما السلام - فقد قال: وروى زيد بن موسى قال: حدثني أبي، عن جدي عليهما السلام قال: خطبت فاطمة الصغرى عليها السلام بعد أن ورد من كربلاء (إلى الكوفة)، فقالت:

مظاهركم مظاهر حسنة ولكن قلوبكم ومواقفكم واعمالكم مواقف سيئة ما الفائدة؟ او كفضة (في قول او كفضة) على ملحودة؛ الملحودة المرأة الميتة في داخل قبرها فماذا ينفع أن يضعوا لها قلادة من فضة وهي في داخل القبر؟ او كفضة القبر يعني تخصيصه وهو الجص الذي يببضون به القبر من الظاهر ماذا ينفع هذا المتوفى ان تضع عليه رخامة بمبالغ طائلة؟ لا ينتفع بشيء واذا كان هذا القبر مظلما بأعمال صاحبه ماذا يفيد هذا الجص او الرخام والظلال هذا كله عمل ضائع؟.

١- الحجر / ٩٢.

٢- ابراهيم: ٩٠.

٣- الفتوح ٥/ ١٢٢.

ونشير أولاً إلى أفكارها الأساسية التي وردت فيها ثم نتبعها بالنص الذي ذكره السيد ابن طاووس رحمه الله فإنها تطرقت في هذه الخطبة إلى الأفكار التالية:

١. التأكيد على مفهوم الحمد لله بهذا المقدار (عدد الرمل والحصى وزنة العرش للثرى..) وأن ما حصل هو مما يحمد البارئ عليه، ثم التذكير بموضوع عقائدي وهو أن الله سبحانه قد أخذ العهد من الناس على الإيمان بوصية علي بن أبي طالب وأنه من يخالف ذلك فهو يخالف ما أنزل الله، وأن هذا المجتمع الكوفي بدلاً من أن يدفعوا عن امامهم الضيم في حياته انتهى به الأمر إلى أن يقتل شهيداً في بيت من بيوت الله عز وجل مع وجود جماعة مسلمة اللسان مؤمنة الشعار لكنها ضعيفة التحقيق والعمل لذلك الشعار، وإن مقتل ذريته من الحسين عليه السلام وأنصاره هو امتداد لذلك القتل، ونلاحظ هنا ملاحظة لن تكون إلا في مجلس يزيد بن معاوية بعد نحو من شهر من الزمان سيتطرق لها بالتفصيل الإمام زين العابدين وهو إعادة تعريف الناس بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومزاياه، فهنا أيضاً نلاحظ السيدة فاطمة تطرقت لهذا الجانب بنحو من التفصيل بالقياس إلى حجم خطبتها.

٢. كذلك نلاحظ أنها مثلما فعلت عمته زينب قد صدمت المجتمع الكوفي بتحميله المسؤولية في قتاله الحسين وأصحابه، وأنهم في ذلك قد سقطوا في امتحان الابتلاء الذي ابتلاههم الله به، فبينما كان المفروض أن يتبعوا آل بيت النبي حيث جعل الله فيهم وعاء علمه وحكمته وجعلهم حجته على أهل أرضه، فإذا بهم يعدون عليهم ويرون قتلهم حلالاً وأموالهم نهباً، كل ذلك افتراء على الله سبحانه ولكن الله خير الماكرين.

وهنا للم تأمل أن يلاحظ أن كلمات السيدة فاطمة بتواليها وترادفها هي أشبه بالمطارق التي تنزل على تلك الرؤوس واحدة بعد الأخرى، بل في تنوع الأساليب في هذا فهي تارة تقرر، وأخرى تتساءل، وثالثة تستنكر فانظر إليها كيف تتكلم هنا «أتدرون أية يد طاعتنا منكم؟! أية نفس نزعنا إلى

قتالنا؟! أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟! قست والله قلوبكم،
وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على أسماعكم وأبصاركم»
وأما النص الذي ألقته عليها السلام فهو هكذا

«الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن
به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى
الله عليه وآله عبده ورسوله، وأن ذريته ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا
ترات! اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما
أنزلت من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقه،
المقتول بغير ذنب - كما قتل ولده بالأمس - في بيت من بيوت الله، فيه معشر
مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند
مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيية، طيب العريكة، معروف المناقب،
مشهور المذاهب، لم تأخذه اللهم فيك لومة لائم ولا عدل عاذل، هديته يا رب
للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك
عليه وآله حتى قبضته إليك، زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في
الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.
أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإننا أهل بيت
ابتلانا الله بكم، وابتلاككم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه
لدينا، فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته على أهل الأرض في
بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله
على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً.

فكذبتموننا، وكفرتموننا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك
أو كابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دماننا أهل البيت،
لحقد متقدم، قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراء على الله ومكراً
مكرتم والله خير الماكرين.

فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أسلتم من دماننا ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا لعظيمة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١﴾ تَباً لَكُمْ، فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حل بكم، وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.

ويلكم أتدرون أية يد طاعتنا منكم؟! وأية نفس نزعت إلى قتالنا؟! أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟! قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على أسماعكم وأبصاركم وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

فتباً لكم يا أهل الكوفة، أي ترات^(٢) لرسول الله صلى الله عليه وآله قبلكم وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه وعتره النبي الأخيار صلوات الله وسلامه عليهم، وافتخر بذلك مفتخركم فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي بسيف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي تركٍ ونطحناهم فأى نطاح
بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب^(٣) افتخرت بقتل قوم زكاهم الله
وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فأكظم واقع كما ألقى أبوك، فإنما لكل
أمريء ما كسب وما قدمت يداه، أحسدتمونا - ويلكم - على ما فضلنا الله؟!
فما ذنبنا إن جاش دهرأ بجورنا وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

١- الحديد: ٢٢-٢٣.

٢- ترات: جمع ترة، وهي بمعنى النار والطلب، ومثل ذلك الذحول.

٣- الكثكث مثل الأثلب وهو دقاق التراب وفتات الحجارة.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.^(١)

٣. خطبة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام

قال السيد بعد أن نقل خطبتي زينب العقيلة وفاطمة الصغرى: إنه خطبت أم كلثوم ابنة علي عليهما السلام في ذلك اليوم من وراء كلتها، رافعة صوتها بالبكاء..

وهنا ينبغي التوقف للاستفادة من هذه الإشارة في قضية تاريخية، وهي: هل أنه كان للإمام علي عليه السلام ابنتان: زينب وأم كلثوم؟ أو هما واحدة تارة تعرف بالاسم وأخرى بالكنية كما ذهب إلى ذلك المرحوم السيد المكرم في كتابه مقتل الحسين^(٢).

وهذا البحث وإن كان محله ليس هنا وإنما قد يبحث في موضوع الأولاد والذرية للإمام أو في الحياة الأسرية، وهو غير هذا المقام إلا أن هذا الموقع مما يفيد في تلك المواضع، فإن النص هنا يشير إلى التعدد، ولا معنى لتكلف أن يكون هناك امرأة واحدة خطبت مرتين في موضعين وبأسلوبين مختلفين تماماً كما سيأتي، ومع ذلك يقال هي واحدة؛ عبر عنها الراوي تارة بالاسم وأخرى بالكنية لا نرى وجهاً صحيحاً لذلك أبداً.

إن المتأمل في صياغة الخبر ثم في الخطبة نفسها من حيث المعاني التي تطرقت لها أم كلثوم، وأساليب الخطاب تختلف اختلافاً كاملاً ولا سيما في أدب الخطاب وقوة الكلمات عما نجده لدى العقيلة زينب عليها السلام، وبالفعل فإن ما قيل في كلام السيدة زينب من أنها (ما رأيت خفرة أفصح منها.. أو أنها تفرغ عن لسان أبيها.. أو ما قاله ابن زياد في شأن كلامها) كل ذلك لا ينطبق على ما قالتها أختها أم كلثوم.

١- الملهوف / ١٩٧.

٢- المكرم؛ عبد الرزاق: مقتل الحسين ٣٢٥ و ٣٣٢.

إن هذه الخطبة لأُم كلثوم، وهي قليلة الكلمات، هي أشبه بنفثة ألم مخلوطة بالبكاء والعيويل، استوحت مما قالتها العقيلة أختها واستمدت منها، ولكن يبقى الفارق كبيراً جداً بين النسيجين، والاختلاف بين في القماشتين: فهلمّ لنرى ما قالتها أم كلثوم كما نقله أيضاً في الملهوف: يا أهل الكوفة، سوءاً لكم! مالكم؟ خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموه؟! فتباً لكم وسحقاً. ويلكم! أتدرون أي دواءٍ دهتكم؟ وأي وزر على ظهوركم حملتم؟ وأي دماء سفكتموها؟ وأي كريمة اهتضمتموها؟ وأي صبية سلبتموها؟ وأي أموال نهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه وآله، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون.

ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأمكم
سفكتم دماء حرم الله سفكها
ألا فابشروا بالنار إنكم غداً
وإني لأبكي في حياتي على أخي
ستجزون ناراً حرها يتوقد
وحرمها القرآن ثم محمد
لفي قعر نار حرها يتصعد
على خير من بعد النبي سيولد^(١)

٤. خطبة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

ثم إن زين العابدين عليه السلام أوماً إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فاستوى قائماً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي بما هو أهله فصلى عليه، ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً.

١- الملهوف ١٩٨.

أيها الناس، ناشدتكُم الله هل تعلمون أنكم كتبتُم إلى أبي وخذعتموه وأعطيتُموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقتلتموه وخذلتموه؟! فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله اذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتُم حرمتي فلستُم من أمتي؟. قال الراوي: فارتفعت اصوات الناس من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال: «رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فان لنا في رسول الله أسوة حسنة».

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فأمرنا بأمرك يرحمك الله، فإننا حرب لحربك وسلم لسلمك، لناخذن يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، أيها الغدرة المكره، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلي كما أتيتُم إلى أبي من قبل؟! كلا ورب الراقصات (إلى منى)، فان الجرح لما يندمل، قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهواتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

لا غرو إن قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي أصاب حسينا كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر روجي فداؤه جزاء الذي أراده نار جهنما
ثم قال عليه السلام: رضينا منكم رأساً برأس فلا يوم لنا ولا علينا^(١).

وهي من حيث العبارات لا تعتبر من الخطب الطويلة لكنها تناولت أموراً مهمة:

١- اللهوف / ٩٣ والاحتجاج وغيره.

التعريف بنفسه باعتبار أنه ابن الحسين الشهيد الذي قتل بشط الفرات من غير ترات (ثارات) ولا ذنب! وهذا مهم لجهة أن قسماً من أهل الكوفة لا يعرفون بالضرورة الإمام السجاد عليه السلام كما تعرف بالوصف إلى أنه ابن من سلب نعيمه وانتهك حريمه .

ثم إن النقطة الثانية وهي التي كان ينتظر فيها جوابهم ولم نجدها بنفس الكيفية في سائر الخطابات وهو أنه قررهم بالسؤال: هل أنهم كتبوا إلى الحسين وعاهدوه على أن ينصروه؟ وأنهم بعد ذلك خدعوه؟ وأنهم ماذا يجيبون رسول الله صلى الله عليه وآله لو سألهم في ذلك؟ وأنهم لماذا خذلوا ذريته؟ وأن النبي سينفيهم عن أمته!

وحيث كان السؤال مباشراً والجواب منتظراً منهم، فقد أجابوه: كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فأمرنا بأمرك يرحمك الله، فإننا حرب لحريك وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد ونبراً ممن ظلمك وظلمنا، إلا أن الإمام عليه السلام رفض منهم هذه الفيضة النفسية غير المنتهية من الناحية العملية، فما أسرع أن يسئل هؤلاء ألسنتهم بالتأييد وأعينهم بالدمع من دون أن يحركوا ساكناً، وإلا فما الذي يمنعهم من ذلك وهم من الصباح يتفرجون على أسارى آل محمد ثم لا يحرك الواحد منهم ساكناً أو يقول كلمة؟ فهل بقيت المسألة منتظرة أن يأمرهم الإمام السجاد؟! لذلك قال عليه السلام - فاضحاً إياهم - هيهات هيهات، أيها الغدرة المكررة. وأشار إلى أن الأمر راجع إلى أنه «حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم» فإن حب الحياة والرغبة في العيش والخوف من التضحية كلها مانعة لهم عن اتخاذ موقف كالذي أشاروا إليه .

واكتفى منهم بموقف لا يكلفهم ولا هو يعتمد فيه عليهم وهو أن (مسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا) أي نحن لا ننتظر معونتكم ولا مساعدتكم ولكن على الأقل لا تكونوا إلينا أمية وأنصارهم علينا بالشماتة أو المعاونة.

طريق السبايا من الكوفة إلى الشام

تشكل فترة بقاء ركب الأسارى الحسيني في الكوفة (من حيث طول المدة وقصرها وتاريخ السفر من الكوفة باتجاه الشام) العقدة الرئيسية التي جعلت الباحثين يتورطون في رسم خريطة المسير إلى الشام ثم إلى كربلاء بل لقد أُلقت بظلالها على كامل المشهد فجعلته غائماً جداً بالرغم من أن فيها مفتاح الحل لو تم التوجه إليه .

فالمشككون في إمكانية وصول الركب الحسيني في أول صفر من نفس السنة إلى دمشق اعتمدوا على خبر غير مسند بل صيغته غير واضحة، إضافة إلى أنه مخالف للقرائن التاريخية والحقائق التي سيتبين مخالفتها لها، بينما لو كان يتم استبعاد هذا الخبر لجهات الضعف المذكورة فيه لكان يأتي الحل واضحاً والصورة جلية .

ولقد ذكر المحقق الكرباسي - ما تتفق معه فيه - من أن بقاء الركب لم يزد عن مدة اسبوع حيث انطلق في اليوم التاسع عشر من محرم سنة ٦١هـ إلى الشام على الطريق الذي سنتعرض إليه فيما بعد موافقين إياه الرأي .
لكننا هنا نتوقف عند العقدة الأساس التي جعلت مثل المحقق النوري ومن تبعه فيما بعد يصرون على استحالة الذهاب والعودة إلى كربلاء خلال أربعين يوماً .

خبر البريد إلى الشام لا يصح سنداً ولا مضموناً

فلنكن أولاً مع ما نقله السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) وهو الأساس في اعتماد المؤلفين الشيعة حيث قال: «وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصله كتاب عبيد الله بن زياد ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه وعمل أثقاله ونسائه وعياله»^(١) .

١- اللهوف / ٩٥ .

وقد علق صاحب^(١) كتاب (رجوع الركب بعد الكرب) ص ١١٦ على خبر السيد المذكور بأنه لم أعثر في أي كتاب مع كثير الفحص والتفتيش على كيفية إيصال هذا الكتاب إلى الشام وجوابه إلى الكوفة وأنه على أي نحو كان، لكنه انتهى نهاية غير سليمة في تقديرنا وهي أن الأمر كان بواسطة الحمام الزاجل فتورط في الرد عندما أشكل عليه بأن استعمال الحمام الزاجل كان متأخراً وفي أواخر أيام الأمويين، والصحيح الذي كان ينبغي أن يصير إليه هو أنه لا شيء يثبت وجود هذا الكتاب ولا الجواب ولا القرائن العامة تساعد عليه ولا أن ابن زياد كان ينتظر أوامر يزيد كما سيأتي عن قريب.

وأما ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) فقد قال: «وقيل^(٢) إنّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد، وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط، وفيه: إنّ البريد سار بأمركم إلى يزيد، فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان، فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجرٌ قد أُلقي، وفيه كتاب يقول: أوصوا وأعهدوا فقد قارب وصول البريد». ^(٣) ونحن لا نستبعد أن يكون السيد ابن طاووس قد اعتمد على رواية ابن الأثير، وقد نقلها السيد ابن طاووس من دون إسناد لأحد، وهي إن كان قد اعتمد فيها على ابن الأثير مع ملاحظة التقارب الزمني بينهما، هي بدورها تعتمد على (قيل) وهذا ما يضعفها، كما وأن صياغتها صياغة غيبية ما ورائية، لا يمكن التحقق منها بنحو من الأنحاء، فمن الذي أخبر عن خبر كله غيب؟! سقط حجر عليهم فيه كتاب مربوط بمصائرهم وأن البريد سار بيوم

١- القاضي الطباطبائي؛ السيد محمد علي: رجوع الركب بعد الكرب.

٢- الظاهر أن ابن الأثير قد أخذه من الطبري ٤/٣٥٤، حيث قال: (قال هشام بن الكلبي) وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال لما قتل الحسين وجيء بالأنثقال والأسارى حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله فبينما القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن.. الخ.

٣- الكامل ٤/٨٣.

كذا ويصل يوم كذا ويعود يوم كذا، وكأن القائل علام الغيوب بهذا الشكل الدقيق! الذي لا يعرفه إلا من أوتي علماً من الله، وأنه أيضاً تم إخبارهم بأن يوصوا ويعهدوا، وكأنهم كانوا ينتظرون في هذه الرحلة الفرج والراحة والعودة إلى منازلهم بسلام.

إن مثل هذا الخبر بهذا النحو والصيغة يذكر عادة بقصص القصاصين التي لا مصدر لها، وكم لهم من أمثالها؟! مما يتوسل فيه بالطيور القادمة من هنا وهناك لإيقاف قتل أو تنفيذ أو سجن شخص أو تحريره

على أننا لو ناقشنا بشكل واضح العلاقة التي كانت تربط ابن زياد بأمره يزيد لعنه الله فإننا لا نجد أن ابن زياد كان متوقفاً على أوامر يزيد وإنما كان يأخذ منه رأس الخيط فيجره إلى أقصى ما يستطيع ولا ينتظر أوامره في ذلك، وهذا بالطبع لا يرفع المسؤولية الكاملة عن يزيد بن معاوية فهذا له بحث آخر. ولأن القضية ذات أهمية خاصة نتعرض لها لكي ننفي بواسطتها ادعاء حاجة ابن زياد لانتظار عشرين يوماً كما قالوا حتى يذهب البريد إلى الشام ويأتي بخبر من يزيد أن ماذا يصنع بهم؟!

١. إن يزيد كانت غايته هي القضاء على نهضة الحسين عليه السلام بأي وسيلة كانت - ومنها القتل - والحفاظ على حكمه ولم يجد أنسب له في هذا من ابن زياد (سواء كان ذلك بمشورة سرجون كما قيل أو لم يكن)، فأعطاه هذا الأمر وبدأ ابن زياد بقتل مسلم بن عقيل والسيطرة على الكوفة، ثم بدأ بتجيش الجيوش الجرارة في وجه الحسين عليه السلام حتى بلغت في التحقيق ثلاثين ألفاً!

إن ممارسات ابن زياد المختلفة لا تشير أبداً إلى انتظاره أوامر من يزيد تفصيلية، (ويمكن أن يتم عقد مقارنة بين أي وال أموي كالنعمان بن بشير أو عمرو بن حريث أو غيرهما وبين ابن زياد ليتبين الفارق الكبير في مبادرة ابن زياد لأمر وتوقف أولئك في كل قضية للمشاورة والسؤال).

فإننا نرى أنه حتى في المجلس العام في الكوفة كان عازماً على قتل الإمام علي بن الحسين عليه السلام لمجرد أنه رد عليه! كذلك قام ليضرب السيدة زينب عليها السلام لأنها ناقشته! الأمر الذي جعل مثل عمرو بن حريث يخاطبه في ذلك، مثل هذه الشخصية لا تنتظر متحيرة ماذا تصنع في السبايا! بل لا بد أن يستثمر (النصر) بالكامل من خلال التسيير والتشهير في البلدان، وبالطبع هو يعلم أن يزيد لن يعارض مثل هذا الفعل لكنه لا ينتظر متى يذهب البريد ويأتي حتى يتخذ قراراً بهذا الشأن.

إن قضية التعطيش ومنع الماء عن الحسين وأصحابه بمن فيهم النساء والأطفال لم يكن إلا قراراً من ابن زياد لم ينتظر فيه الأمر من أميره يزيد. بل إن أمره برض جسد الحسين عليه السلام وهو أمر لم يكن معهوداً في الحروب التي وقعت بين المسلمين مع علمه بأنه شيء لا يضره ولكن (على قول قلته) كما جاء في رسالته لعمر بن سعد.

ونفس قطع الرؤوس وجلبها إلى الكوفة وجلب النساء، كل ذلك يستدعي قرارات لم يكن يتخذها غير ابن زياد لا سواه.^(١)

بل ربما ما كان يقوله يزيد بن معاوية في شأن ابن زياد، فيه جانب من الصحة من أن ابن زياد بأفعاله بغض يزيد إلى الناس بما فعل وأنه لو كان يزيد الذي تولى الأمر لما فعل كل ما فعل! وجانب الصحة في هذا الكلام أن ابن زياد قد قام بالكثير من هذه الأفعال منطلقاً من شخصيته الدموية القاسية التي كان أسهل شيء بالنسبة لها قضية القتل كان أشبه بالمتوحش الذي يغريه منظر الدماء.

١- وقد عثرت على كلام للمحقق الشيخ جعفر المهاجر في كتابه موكب الأحرار / ٢٠؛ في ما يرتبط بموضوع استشارة وانتظار ابن زياد (والذي شككنا فيه بما تقدم) قال فيه: بعد أن شكك في قضية انتظار الكتاب والجواب قال: ولكننا نشك في ذلك شكاً كبيراً لما نعرفه من أن ابن زياد كان يعمل ويتصرف من موقع القادر المتمكن لما بينه وبين البيت الأموي من صلة نسبية مزعومة منذ ان استلحق معاوية أباه بأبي سفيان ومنذ ذلك بدأ يتسمى بزياد بن أبي سفيان بعد أن كان زياد بن أبيه المجهول وعليه نظن ظنا قويا أنهم لم يمكثوا إلا بضعة أيام بمقدار ما تقتضيه تهيئة المرافقة العسكرية...».

وأما الجانب الذي لا يقبل من كلام يزيد بن معاوية مع أنه أكثر من الأرجاف فيه، وبالذات بعد أن انقلب عليه الوضع في الشام، كما تبين من ردود الفعل. ما لا يقبل من كلامه أنه اختاره لهذه المهمة وهو يعرف شخصيته، ولما قام بتلك الاعمال لم ينكر عليه ولم يكف يده ولم يعاقبه، بل لقد ارتفعت منزلته عنده وكان ينادمه ويستقبله بعد مقتل الإمام عليه السلام.^(١)

إلى هنا تبين أن الخبر الذي نقله ابن الأثير، واعتمد جانباً منه السيد ابن طاووس في موضوع ارسال رسول (رسالة) من ابن زياد إلى يزيد في الشام وانتظار خبره حتى يسير ركب الأسارى أو يتوقف، لا يمكن قبوله، لجهة أنه لا مثبت له حيث لا سند له، ويعتمد ابن الأثير فيه على قيل، إضافة إلى أن صياغته لا تكاد تكون مقبولة.

يضاف إلى أن تحليل مضمونه الذي يقضي بانتظار ابن زياد قرارات يزيد في هذا الشأن تبين بالقرائن أنه لا يتوافق مع طبيعة وشخصية وقرارات ابن زياد خلال هذه الفترة من ولايته على العراق.

فلا معنى للقبول به باعتباره ثابتاً من الثوابت، التي جعلت قسماً من المنكرين لموضوع الأربعين الأول يعتمدون عليه باعتباره حجر الزاوية في التشكيك وهو بهذا المستوى من الضعف.

١- المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ٦٦/٣ وجلس ذات يوم على شرايه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال: اسقني شربةً ترؤي مُشاشي ثم ملّ فاسق مثلها ابن زياد صاحب السرّ والأمانة عنديولتسديد مغنمي وجهاديثم أمر المغنين فغنوا به. وقال ابن أعثم في الفتوح ١٣٥/٥ فلما قتل الحسين رضي الله عنه استوسق العراقان جميعا لعبيد الله بن زياد وكانت الكوفة والبصرة لابن زياد من قبله، قال: وأوصله يزيد بألف ألف درهم جائزة، فدعا عبيد الله بن زياد بعمر بن حريث المخزومي فاستخلفه على الكوفة، ثم صار إلى البصرة فاشتري دار عبد الله بن عثمان الثقفي ودار سليمان بن علي الهاشمي التي صارت لسليمان بن علي بعد ذلك، فهدهما جميعا، ثم بناهما وأنفق عليهما ما لا جزيلا وسماهما الحمراء والبيضاء، فكان يشتي في الحمراء ويصيف في البيضاء. قال: ثم علا أمره وارتفع قدره وانتشر ذكره، وبذل الأموال واصطنع الرجال، ومدحته الشعراء.. الخ.

مع نفي الخبر تنفتح الأبواب

تورط الملتزمون بموضوع خبر ارسال البريد السابق، في سلسلة من المشاكل، فهم لم يستطيعوا الالتزام بما ذكر من أنه سيرجع في أسبوع أو عشرة أيام أو عشرين يوم أو أكثر، فصار بعضهم إلى احتمال أنهم ربما بقوا في الكوفة مدة شهر من الزمان ولا نعلم ما الذي كانوا يصنعونه خلال هذه الفترة.

وإنما الصحيح بعد نفي هذا الخبر بما تقدم.. أن يقال بأنهم بقوا عدة أيام حتى تكتمل حفلة (النصر الأموي) ويظهر ابن زياد باعتباره الفاتح المحامي للدولة ثم يبدأ بتجهيز حراسة مع ركب الأسارى للتجاه إلى الشام مع اختيار أحد الطرق المناسبة مع إظهار الانتصار لكي يكون هذا رادعا أمام الناس ألا يتجرأ أحدهم ويعلن الثورة ضد الدولة الأموية، فإذا كان الحسين وهو من هو، ومع ذلك قتل وسبيت نساؤه في البلدان فما ظنك بمن هو دونه؟

القائلون بثبوت الأربعين طريقهم واضح:

بعد هذا طريقهم سهل وسالك في إثبات ما يريدون، فإنهم يستطيعون الاعتماد على ما ورد في الكتب التاريخية، من أن وصول ركب السبایا كان إلى الشام في أول صفر سنة ٦١هـ، كحقيقة معتمدة، وأيضا يعتمدون على ما ثبت بالروايات المعتبرة من أنه (تم إلحاق رأس الحسين عليه السلام بجسده مع ملاحظة أن لا قائل بذلك إلا وهو يثبت أنه كان في الأربعين) ثم يستطيعون أن يثبتوا ذلك من خلال معرفة المسافات بين المدن، وهي تتوافق مع ملاحظة سير الإبل في المسافات الطويلة.

وهذا بخلاف المستشكيلين فهم لا يقدمون أي نظرية مستقيمة عندهم فضلاً عن أن تكون مقبولة عند غيرهم، فضلاً عن أن تكون عليها أي قرينة، فهم لا يقدمون سوى مجموعة من الاشكالات والاعتراضات والاستبعادات، وغالبها ناشئ من غير بحث جغرافي أو تاريخي، فهم لا يدرون متى خرج الركب

من الكوفة هل هو بعد شهر؟ أو أكثر؟ وفي الطريق حيث أنهم قالوا إنه يمر بأربعين منزلاً وهذا قد يحتاج إلى شهر بل شهرين! ومتى دخل الركب للشام؟ فهو غير واضح، وكم بقي الركب في الشام؟ فهم يقولون: أولاً أنهم سجنوا نحو شهر في دار خربة ثم جعلوا مدة اسبوع لينوحوا، ثم عرض عليهم العودة، متى وصلوا أيضاً إلى كربلاء؟ هو غير معلوم عندهم هل هو بعد عدة أشهر؟ أو هل كان حتى في السنة الثانية؟

المسافات وتقديراتها إلى الشام

أ. طريق الذهاب

سوف نستفيد هنا مما ذكره المحقق الكرباسي^(١) في تتبعه للطريق الذي تم سلوكه في الذهاب إلى الشام من الكوفة حيث يوجد ثلاثة طرق يتجاوز اثنان منها ويتباعد الثالث، كما سنستفيد مما ذكره في موضوع المسافات بين المناطق والمدن والبلدات وربما في رصد بعض الأحداث التي جرت فيها. ذكر المحقق الكرباسي ما مختصره: أن هناك ثلاثة طرق ما بين الكوفة والشام:

١. أقصر الطرق وهو المباشر المار عبر بادية الشام (١٠٠٦ كلم) وهو الطريق المعهود هذه الأيام - وهو الذي سيكون فيما بعد طريق العودة من الشام إلى كربلاء -.

٢. الطريق الموازي لنهر الفرات وهو الذي سلوكه في البداية لكنهم بعد ذلك انعطفوا إلى سلوك الطريق الآخر الموازي لنهر دجلة.

٣. الطريق الموازي لنهر دجلة والذي يرتفع إلى الموصل ثم ديار بكر ثم حلب ثم حمص ثم بعلبك وبعدها دمشق، وهذا هو الطريق الذي أوصلهم إلى دمشق، وقد تتبع الكرباسي بحسب الأيام والتواريخ ما يفترض أنهم كانوا فيه في ٣٨ منزلاً وبلدة بين الكوفة ودمشق، وتبلغ طوال مسافته (٢٠٩٧ كلم) تقريباً.

١- الكرباسي: محمد محمد صادق: تاريخ المراقد ٩١/٥.

ب. تقديرات المسافات

مع ملاحظة أنهم سلكوا الطريق الثالث لأسباب متعددة، وبحسب ما تؤكد الروايات التاريخية، ومشاهد الطريق القائمة فيه، والحوادث التي نقلها المؤرخون في هذه المناطق.

فمع ضم ما سبق الحديث عنه، من أن المعدل الوسطي لقطع الإبل المسافة في يوم السفر وهو يكون في الساعة حدود ٢٠ كيلومتراً ومع فرض أنها تسير بحدود ثمان ساعات (سواء كانت تبدأ من السحر كما هو الغالب أو في أول الفجر) فإن ذلك يعني أنها تقطع معدل ١٦٠ كيلومتراً في اليوم الواحد وربما تزيد أو تقل.^(١)

ومع ملاحظة المسافة المذكورة للطريق الثالث، وتقسيم مقدارها على مقدار سير الإبل (١٦٠ كلم يومياً) يكون الناتج هكذا ما يقارب ١٣ يوماً وهو يتوافق مع المذكور من أن دخولهم إلى دمشق كان في أول صفر وأن خروجهم كان في يوم التاسع عشر من شهر محرم سنة ٦١هـ، كما قرره المحقق الكرياسي. وأما لو فرضنا بأنهم خرجوا في وقت أبكر من هذا فالأمر أوضح.

بل لقد قرر في تاريخ المراقد أنهم وصلوا في يوم الجمعة، وأنه تم تأخير دخولهم دمشق ليتوافق ذلك مع صلاة يوم الجمعة حيث اجتماع الناس ومن خلاله يتم عرض جديد لبيان (النصر الأموي) وهو ما سيأتي الحديث عنه.

ج. طريق العودة

سيأتي الحديث عن الآثار التي تركها وجود ركب السبایا في الشام على صورة الأمويين وعلى شخصية يزيد بشكل مباشر، الأمر الذي دعاه للتخلص (من هذا الملف واغلاقه) والطريق الأسهل في ذلك هو إعادة

١- تقريب لما ذكر كانوا يكترون الإبل مع أول الهلال من بغداد مكة ويصلون للحج، والمسافة بينهما حدود ١٤٠٠ كيلو وهي بمقاييس ال ١٦٠ تصل إلى ثمانية أيام! وهذا للتقريب. رجوع الركب بعد الكرب ٥٦/ راجع ما ذكر في أحوال غير واحد ممن يطلق عليهم (سائق / سابق الحاج).

ركب الأسارى إلى بلادهم، وهذا ما حصل وهنا فلا حاجة لعرض جديد للانتصار بل الحاجة تقتضي من جهة الدولة الأموية لإغلاق الموضوع مما جعلهم يتخذون قراراً بالاستفادة من أقصر الطرق التي تخرج الركب من الشام باتجاه العراق ثم المدينة، وهو الذي لا يتجاوز الألف كيلومتر من خلال قطع بادية الشام. وبالنظر أيضاً إلى نفس المعادلة في قطع المسافة بواسطة الإبل فإن هذه المسافة عبر هذا الطريق لا تحتاج إلى أكثر من ستة أو سبعة أيام، ولكن حيث أنه قد أمر النعمان بن بشير بالرفق والتؤدة، إضافة إلى ما كانت طبيعة الوضع تقتضيه، فإنه قد طال الطريق أكثر من هذا بحيث أنهم عندما خرجوا من دمشق يوم ١١/ صفر سنة ٦١هـ، وصلوا يوم العشرين من نفس الشهر. فاستغرقوا في هذا الطريق فترة أطول من العادية.

إننا مع ما تقدم نجد أنفسنا أمام صورة واضحة، تتطابق مع التواريخ المذكورة، ومع طريق الجغرافيا المتخذ للسير، ومع طبيعة وسرعة النياق والقوافل، ولا نجد في الاستبعايات التي ذكرها مخالفو هذه الفكرة سوى الاستبعايات غير القائمة على بحث ميداني تاريخي أو جغرافي.

طريق الكوفة إلى الشام مشاهد ومواقف

يتجلى تديبر الله سبحانه من حيث لا يشعر الإنسان، وقصارى ما يستطيع هذا الإنسان أن يكتشف في ما بعد كيف أن الله سبحانه كان ﴿خير الماكرين﴾^(١).

لقد أراد الأمويون بقطع الرؤوس وتسيير الأسارى في البلدان القضاء على روح المعارضة لدولتهم وجعل الثائرين وأسرهم عبرة لمن يعتبر، أرادوا أن يكون مصيرهم ذلك سيفاً مسلطاً على عباد الله لكنهم غفلوا عن تديبر الله سبحانه.

فلقد تحول ذلك الطريق الهادئ الذي لولا وصول ركب الأسارى له لم يكن ليعلم بما حدث في العراق وكربلاء لا سيما مع بعد تلك المسافات وانشغال الناس بحياتهم اليومية، تحول إلى طريق للكرامة تنتظر فيه البلدة وصول الركب لتودعه للأخرى بين بلدة متعاطفة وباكية وأخرى شامته سلطوية، وليستمر النقاش والكلام، فإذا بذلك الهدوء والسكون في تلك المناطق يتحول إلى صخب وسؤال وكلام واعتراض. وإذا به يتمثل بعد مدة في صورة مشاهد ومواقف تشاد ويجتمع فيها الناس لا لشيء إلا لأن ركب الأسارى قد مر في هذا المكان قبل مدة من الزمان، أو أن امرأة من التعب طرحت جنينها في هذا المكان، أو أن قطرة من الدم (مع مرور وقت طويل يفترض فيه أن الدماء قد جفت من حين قطع الرؤوس إلى تلك الفترة) قد تقطرت في هذه الناحية، ليشاد بذلك مزار ومشهد ومقام.

١- المصطفوي، حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١١/ ١٤٤: وأما المكر من الله عز وجل: فتقدير من الله تعالى في عود مكرهم إلى أنفسهم أو مقابلة بتقدير آخر في مجازاتهم وأخذهم في أمورهم وأموالهم وأبدانهم، وفي سلب الرحمة والتوفيق واللفظ عنهم ولا يحتاج المكر في الله عز وجل إلى فكر وتهيئة أسباب ووسائل ومقدمات والى انتظار زمان والى إخفاء عمل إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِبُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ٨ / ٣٠. ﴿أَوْ آمَنَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

ولم تقتصر تلك المشاهد والمواقع في صمودها وقيامها على فترة المرور أو القربة منها بل ها هي بعضها بعد نحو من ٥٥٠ سنة كما سجلها ابو الحسن الهروي الرحالة الجغرافي^(١) مشاهداً آثارها باقية في الأكثر.
إننا نلاحظ الملاحظات التالية في هذا الجانب:

١. إن الأكثر من البلدات والسكان الذين كانوا في هذا الطريق، قد وقفوا موقفاً معارضاً للدولة الأموية وعارضوا تسيير الأسارى وأعربوا بنحو من الأنحاء عن ذلك، وهذا يعني أن ما دبره الأمويون في ظنهم لأجل اظهار قوتهم أمام غيرهم كان يجري في الواقع في تدميرهم وإضعافهم.

لقد تتبع الباحث الكرياسي في كتابه تاريخ المراقد / ٥، الأماكن التي مر عليها ركب الأسارى والتي سجل التاريخ فيها حدثاً يتناسب مع مرور القافلة، فإذا بنا بعد إحصاء وتلخيص ما جرى نجد أنه من بين ٢١ منطقة ذكرت أسماؤها، بينها ١٥ منطقة تم تسجيل حدث فيها، تبين أن تسع مناطق منها شهدت مواجهات بدرجة من الدرجات بين الناس وبين رجال الدولة الأموية الذين كانوا يسيرون مع ركب السبايا. بعضها يقتصر على رفض الاستقبال وبعضها الآخر يتطور إلى المواجهة المباشرة وقطع الطريق عليهم ومنعهم من الحصول على الميرة والعلف وما شابه، هذا مع فرض أن هذه المناطق كلها خاضعة للدولة وفيها والوجهة تابعة للأمويين وهذا بلا ريب يوضح مقدار المعارضة العامة. هذا في مقابل ست مناطق في طول هذا كانت قد رحبت بالجيش الأموي واستقبلته وذلك من خلال الجهاز الرسمي التابع للأمويين في تلك المنطقة.

١- تتبع الباحث المهاجر في كتابه موكب الأحزان تلك المشاهد والمواقع فجاءت بما مجموعه في تسعة مواقع في الطريق، أحد عشر مشهداً ومكاناً بعضها كان في حين تسجيل الرحالة وكتابته قائماً وبعضها الآخر اندثر، كما لاحظ المهاجر أن بعض هذه المواقع لا تزال قائمة إلى أزمئتنا المتأخرة مع أنه تم تغيير عنوانها الأصلي فبينما بعضها كان بعنوان مشهد الحسين أو ما يرتبط به تم تغييره إلى عنوان مسجد وسجل على أساس ذلك لا سيما في فترات كانت فيها السلطات الطائفية مهتمة بإلغاء تلك الهويات والعناوين! فليراجع الكتاب.

ولا نعلم عن باقي المناطق كيف كانت؟! ولكن هذه النسبة (تسع مناطق معارضة قياسا لست مناطق مؤيدة) تعتبر نسبة كبيرة للغاية.

٢. يلحظ أن موقف الرهبان وأصحاب الأديرة من النصارى وأمثالهم كان بشكل عام موقف المتألم لما أصاب أهل البيت والتعاطف معهم بل ربما جرد ذلك بحسب ما كان عندهم من العلم بالكتب إلى إيمان بعضهم بالإسلام والنبى الخاتم صلى الله عليه وآله ، وهذا يعني أن رسالة الحسين عليه السلام لم تتوقف في حدود المسلمين فقط بل تعدت هؤلاء لتدخل على خط سائر الديانات وأن ركب السبايا أثر حتى في هذا المقدار.

٣. إن هذه المشاهد والأبنية وإن تعددت مناسباتها وجهات بنائها وإنشائها، وفترات ذلك لتكشف عن التعبير العفوي الإيماني والصادق الذي لا ينتظر قراراً من دولة أو تمويلاً من جهة ميزانية حتى يشاد ويبنى بمقدار ما هو تعبير عن التعاطف والاحساس بألم الأسارى الذين مروا من هذا الطريق حتى وإن مرت بالرغم من ذلك السنوات الطوال، فإنها لم تستطع أن تمحو منطقة المشاعر والعواطف، فأقل تعبير لحفظ ذلك هو أن يتم إقامة موضع ومشهد ومحل تجمع، يكون مناسبة لذكر الله وتلاوة القرآن وتذكر تلك الأحران، ولعل أكثر هذه المشاهد كانت بهذه الصورة وضمن هذه الدوافع.

نعم كان هناك بعض المشاهد والمزارات التي حظيت بتأييد ومباركة بعض المعصومين، ولو لأجل أنها كانت قريبة من أماكنهم، مثل مشهد الحنانة الواقع بعد كربلاء باتجاه الكوفة، فإنه قد صلى فيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في أوائل أيام أبي العباس السفاح عندما أحضر إلى منطقة الحيرة وبقي قريباً من الكوفة مدة سنتين فكان يتقصد تلك الأماكن للإشارة إليها والتأكيد عليها، فقد جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري فصلى عنده ركعتين فقبل له ما هذه الصلاة فقال هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليه السلام وضعوه ها هنا.^(١)

١- جامع أحاديث الشيعة، ج ١٢، السيد البروجردي، ص ٣٣٠.

الأسارى في دمشق

خطبة العقيلة زينب عليها السلام

في يوم الجمعة الأول من شهر صفر سنة ٦١ هـ،^(١) مع حوالي الضحي وصل ركب الأسارى إلى أطراف دمشق، ولعله في مثل هذا الوقت كان ينشد يزيد^(٢) شعره المعروف:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشمس على ربي جيرون^(٣)
نعب الغراب فقلت صح أو لاتصح فقد اقتضيت من النبي ديون
ولأن الأمر مطلوب فيه حالة احتفالية وعرض انتصار، وذلك اليوم يوم جمعة فقد رتب الأمر حتى من السابق بحيث يكون دخولهم في ذلك اليوم متوافقاً مع اجتماع الناس لصلاة الظهر يوم الجمعة، فهو أفضل مناسبة لهم لإشهار انتصارهم، ولذلك قيل إنه تم إيقاف ركب الأسارى على بوابة دمشق المعروفة بباب توما، إلى أن اجتمع الناس وانتهت صلاتهم حتى يستعرضوا هذا الركب الأسير.

لا نعلم إن كانت تسمية باب الساعات الواردة^(٤) في بعض النصوص التاريخية المرتبطة بالواقعة الحسينية، هي من ذلك

١- تاريخ المراقد ٥ وقد تقدم ذكر بعض المصادر التي صرحت بدخول ركب السبايا في أول صفر سنة ٦١ هـ إلى دمشق.

٢- صحة انتساب الشعر إليه عند الفريقين من الشهرة بحيث لا ينكره إلا المتعصب بل لقد اتخذ هذا الشعر -فضلاً عن سائر أشعاره- دليلاً على كفره وعدم اعتقاده بالنبي ورسالته، بل لقد ألف الكثير من علماء مدرسة الخلفاء كتباً خاصة في هذا الموضوع، فليراجع.

٣- كان معاوية قد أعطى ابنه يزيد قصراً مشرفاً على مرتفعات جيرون. في الجهة الشمالية الشرقية لقصر الخضراء / لبيب بيضون: موسوعة كربلاء / ٤١٣.

٤- وردت في غير مصدر كأحسن التقاسيم للمقدسي، عند تعداد أبواب المسجد في دمشق، وابن عساكر في قصة عن الوليد بن عبد الملك وعلل الصالحى الشامي التسمية في كتابه المواكب الإسلامية في الممالك الشامية / ٧٦ بأنه سمي باب الساعات؛ لأنه كان عمل فيه مكاناً تعلم منه أوقات النهار، وهي شيء عليه عصافير وحية من نحاس وغراب..

الوقت أو أنها ترتبط بمناسبة إيقاف ركب الأسارى على ذلك الباب وهو باب توما، عدة ساعات لانتظار المتفرجين الخارجين من صلاة الجمعة أو ليست كذلك .

ولكن من الواضح أن استعدادات مهمة كانت قد اتخذتها السلطة الأموية لاستثمار (الانتصار) على الإمام الحسين عليه السلام وتثبيت العرش الأموي وإظهاره مظهر القوة والاقتدار.

وإذا كان ابن زياد في الكوفة قد استثمر ما سبق بالنحو الأنفع له كشخص وكوال لإبراز حزمه وقدرته، فإن من الطبيعي أن يفعل يزيد وأركان حكمه نفس العمل أو أكثر، ولهذا نعتقد أن ركب الأسارى ظل في مشهد الناظرين والمتفرجين من الخارجين من صلاة الجمعة في ذلك اليوم، حتى إذا تم ذلك أخذوا أيضاً في جولة في الشوارع الرئيسية في المدينة (يطاف بهن في الأسواق)، ولم تنته تلك إلا بالتوقف على بوابة قصر يزيد الذي كان قد جمع جمعاً غير عادي في مجلسه لاستقبال واستعراض ركب الأسارى .

ويعتقد أن اللقاء والعرض لم يكن وحيداً، وإنما تكرر في أيام تالية وشهد أحداثاً متعددة، لكن العرض الأول كان يجري بهذا النحو فيما نعتقد:

في مبالغة من جهة الشرطة المكلفة بالحراسة، وهذا يحصل أحياناً لبيان حرصهم وإخلاصهم في تنفيذ أوامر الحاكم، فإنه تم تقييد النساء والأطفال ومعهم الإمام السجاد علي بن الحسين عليهم السلام بالحبال، لكي يدخلوا على يزيد وهم مقيدون لما ذكرنا، فلما أدخلوا بهذه الحالة سأل الإمام السجاد عليه السلام يزيد بن معاوية: ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو يرانا ونحن بهذه الحالة؟ وبطبيعة الحال كان السؤال مفاجئاً بل صاعقاً، أدى بيزيد إلى أن يأمر بالحبال فقطعت؟

مناقشات في مجلس يزيد

كان من الطبيعي أن يقدم يزيد رؤيته فيما حدث و(يفلسف) ما جرى وذلك لأن الاستفادة من الحدث إنما يتم بهذه الصورة، فالحدث يراه الجميع وهو قابل للتفسير والتوجيه بأحاء مختلفة، لذلك يسعى الظلمة والحاكمون لإعطاء رؤية وفكرة تخدم ما يريدونه، وقد سبق أن رأينا في الكوفة كيف أن ابن زياد خاض مناقشات مع الإمام السجاد ومع العقيلة زينب واستكثر عليهما أن يردا عليه أفكاره، لأنه يعلم أن من المهم عنده أن يعتقد الناس بما يفكر فيه لا بما يقوله مخالفيه. ونفس الكلام هنا أرادَه يزيد بن معاوية -الغريب أنهم لا يلتفتون إلى أن منطقهم منطوق سقيم ومع ذلك يريدون من الآخرين أن يقبلوه منهم على طريقة ما أريكم إلا ما أرى-.

مجلس أو مجالس؟

نعتقد أن الفترة التي كان فيها ركب الأسارى في الشام شهدت انعقاد ثلاثة مجالس على الأقل، كان منهما اثنان فيما نحتمل جمعت بين يزيد بن معاوية وبين أسارى الركب الحسيني؛ أولهما كان في يوم الجمعة بعد صلاة الظهر، في مجلس قصره وسنأتي على ذكر بعض ما دار فيه، وهو المجلس الأصلي الذي شهد المواجهة بدءاً من نقاش تمهيدي، ثم حادثة قرع الرأس الشريف بعود الخيزران من طرف يزيد، وردود الفعل على ذلك من جهة بعض الحضور وبشكل أساس من السيدة العقيلة زينب الكبرى عليها السلام وخطبتها في ذلك. كما نعتقد أنه تم عقد مجلس آخر ولعله في اليوم التالي وهذا كان على الأكثر في المسجد المعروف بالأموي، نفترض أنه بدأ مع الضحى لينتهي بأذان الظهر، وفيه كانت خطبة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، التي تم قطعها كما سيأتي، وانتهى ذلك المجلس بأن صرف ركب الأسارى وأحرزوا في بعض الأبنية التابعة لقصر يزيد والذي كان ملاصقاً للمسجد.

وربما يكون هناك مجلس ثالث وهذا لا نعتقد بحضور النساء فيه، ونحتمل إذا كان بالفعل فهو أشبه بمجلس الاستقبال الرسمي الاعتيادي اليومي حيث يستقبل فيه السلاطين من يأتي من الضيوف أو الزوار، وفي هذا نحتمل أنه كان قد وفد في تلك الفترات إلى دمشق بعض الأخبار (أورجال الدولة المسيحيين) وأنهم لما عرفوا بما جرى كان منهم اعتراض واحتجاج على تلك الممارسات. بالطبع لا نمتلك مؤكداً حتمية لما سبق، ولكننا نستطيع الاستفادة من بيئة كل حدث لتشكيل التفاصيل المناسبة لها، فمثلاً إن المجلس الأول كان بعد صلاة الجمعة وخروج الناس من المسجد، فلا بد أن يختلف عن مجلس اليوم الثاني الذي لما وصل إلى وقت نادى بأن يؤذن بالأذان، وأنه بعد ذلك أقيمت الصلاة وتفرق الناس كما ذكرت المصادر التاريخية.

المجلس الأول

١. حوار

مع دخول ركب الأسارى وتقطيع الحبال عنهم، وكما قلنا فإن يزيد ككثير من السلاطين والظالمين لا يكتفي بحصول الحدث من القتل والسبي وإنما بالإضافة إلى ذلك يسعى لكي يعطي للحاضرين (فكرة) تنتهي إلى تخطئة خصمه وتصويب فعله، فكان أن بدأ بالقول كما نقل في مصادر تاريخية بالقول: بعد أن «أتي بهم حتى أدخلوا على يزيد وعنده يومئذ وجوه أهل الشام، فلما نظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال له: من أنت يا غلام؟ فقال: أنا علي بن الحسين، فقال: يا علي! إن أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني^(١)، فصنع الله به ما قد رأيت، فقال علي بن الحسين: ﴿لَمَّا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢). فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه يا بني، فلم يدر خالد ماذا يقول

١- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥/٣٤٣.

٢- سورة الحديد: آية ٢٢.

فقال يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. (١)
 ثم مرة أخرى بعد أن عجز خالد ابنه، قال يزيد: هذا (يقصد الحسين)
 كان يفتخر عليّ ويقول: أبي خير من أب يزيد، وأمي خير من أمه، وجدي خير
 من جد يزيد، وأنا خير من يزيد! فهذا الذي قتله! فأما قوله: إن أبي خير من
 أب يزيد، فقد حاج أبي أباه فقضى الله لأبي علي أبيه! وأما قوله: إن أمي خير
 من أم يزيد، فلعمري أنه صدق أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
 وآله خير من أمي، وأما قوله بأن جدي خير من جد يزيد، فليس أحد يؤمن
 بالله واليوم الآخر يقول: إنه خير من محمد صلى الله عليه وآله، وأما قوله:
 خير مني، فعله لم يقرأ هذه الآية: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
 تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ
 إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٢)

٢. مواقف بعد ضرب الرأس الشريف

في خطوة تصعيدية، قام يزيد بأخذ عود خيزران وظل يقرع ثنايا وأسنان
 رأس أبي عبد الله الحسين عليه السلام، الأمر الذي كان مفاجئاً للجميع
 من الحاضرين، وفيهم من كان يحسب من أصحاب رسول الله أو تابعيهم
 بالإضافة إلى الأسرة الكريمة للنبي صلى الله عليه وآله .

وهو ينشد متمثلاً لعبد الله بن الزبير^(٣)، ومضيفاً إليها من عنده:

١- الفتوح / ١٣١.

٢- الفتوح ١٢٩/٥ والطبري ٣٥٥/٤ مختصراً، ومن التأمل البسيط يتضح سقم المنطق اليزيدي في
 موضوع تفضيل الله له بزعمه على الحسين أو تفضيل أبيه على أمير المؤمنين علي عليه السلام .

٣- عبد الله بن الزبيرى السهمي القرشي: كان شديد الهجاء للمسلمين ولدعوة رسول الله صلى الله
 عليه وآله وكان يسير مع المشركين في حريمهم النبي وتحشدهم عليه، وبقي هكذا إلى فتح مكة حيث
 هرب منها قاصداً نجران وبقي فيها لبعض الوقت، ثم عاد ليظهر الاسلام أمام رسول الله صلى الله
 عليه وآله ويمدحه، وقد اشتهرت عنه قصيدته التي قالها على أثر غزوة أحد: يا غراب البين ما شئت
 فقل.. وهي التي تمثل يزيد ببعض أبياتها (الكفرية). لا تذكر كتب التراجم شيئاً عنه بعد اسلامه
 ويحتمل أنه توفي سنة ١٥هـ.

ليت أشياخي بيدر شهدوا
لأهلوا واستهلوا فرحا
لست من خندف إن لم أتقم
وربما نقل أيضا عنه تمثله بشعر آخر:

يفلقن هاما من رجال أعزة علينا
وهم كانوا أعق وأظلما
وبطبيعة الحال فإن هذه الفعلة التي كانت خارج كل المقاييس الاخلاقية
والطبيعية، ولدت ردود فعل معارضة بعضها كان في مستوى الاستهجان
والبعض الآخر في مستوى الاحتجاج وثالثها في مستوى المعارضة الصاخبة.
فمن ذلك ما قيل من أن أبا برزة الأسلمي^(١) كان موجوداً في المجلس فلما
رأى ذلك، اعترض قائلاً: ارفع عصاك عن ثغرتالما رأيت رسول الله يقبله،
وبكى وخرج محتجاً ونقل عن غيره أيضا.

وأما رد الفعل القوي، فقد كان من العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين
عليهما السلام، حيث أشعل فيها هذا الاعتداء الأثيم جمرة الاحتجاج
وخطبت خطبتها القوية في معناها الشديدة في أسلوبها والبليغة في
ألفاظها وهي تحتاج إلى شرح خاص قد نعرض إليه فيما بعد لوجود عمق
معنوي وأدبي متميز فيها.

١- ذكره السيد علي خان المدني في أصفياء علي عليه السلام فقال في الدرجات الرفيعة ٤١٨ (نضلة
بن عبيد بن الحرث) أبو برزة الأسلمي صحابي مشهور بكنيته وأختلف في اسمه فقيل نضلة بن
عبيد الله بن الحرث وقيل عبد الله بن نضلة وقيل سلمة بن عبيد والصحيح الأول أسلم أبو برزة
قبل الفتح وشهد الفتح وغزا سبع غزوات ثم نزل البصرة وغزا خراسان ومات بها سنة خمس
وستين على الصحيح وكان من أصحاب أمير المؤمنين وأصفياه وهو القائل في أمير المؤمنين عليه
السلام. كفى بعلي قائدا لذوي النهى * وحرزا من المكروه والحدثان نروح إليه ان ألمت ملمة *
علينا ونرضى قوله ببيان يبين إخفاء النفوس التي لها * من الهلك والوسواس هاجستان .. وأشار
السيد الخوئي في معجم الرجال إلى موقفه مع يزيد في إنكاره عليه ما صنع برأس الإمام الحسين
عليه السلام . وقد زعم أنه توفي قبل معاوية لكنه لا يصح.

ونحن نحتمل أن نهاية خطبة العقيلة زينب وفيها من التحدي ما عجز يزيد عن الرد عليه إلا بكلمات مبهمة، مثل قوله: يا صيحة محمد من صواخ ما أهون الموت على النواخ

بينما كانت الخطبة في أفق غير هذا الأفق حيث أنهت الخطبة بقولها: فكديك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يذهب عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي الالجنة الله على الظالمين . وبهذا تقريباً كان المجلس الأول والرئيس قد انتهى، وبهذه الصورة التي فرضتها العقيلة زينب عليها السلام .

خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

بالرغم من أنه لم تكن طريقتنا في البحث في الصفحات الماضية على الشرح المسترسل والمفصل للخطب بما في ذلك حتى خطب العقيلة زينب عليها السلام ، إلا أننا بالنسبة لهذا الخطاب سنتوقف بشكل أكبر تركيزاً والتفاتاً للتأمل فيه لنلاحظ الأمور التالية:

١. اعجاز الخطاب ومرارة الظروف المحيطة: يرقى خطاب العقيلة زينب إلى مستوى معجز بالقياس إلى غيره بحيث يتضمن كل هذه المعاني الكبيرة بالأساليب البلاغية المتفوقة في مقطوعة لا تعتبر طويلة .

هذا بالرغم من وجود عناصر كثيرة كان من الطبيعي أن تساهم في إضعاف بنية الخطاب (مضموناً أو أسلوباً وشكلاً) ذلك أن خطاب العقيلة زينب عليها السلام كان ارتجالياً والخطاب الارتجالي أقرب إلى الضعف من الخطاب المحبر والمعد سلفاً. فإنها عليها السلام بمجرد أن رأت يزيد بن معاوية ينكت ثنايا أبي عبد الله الحسين متمثلاً بالأبيات المعروفة عنه قامت السيدة زينب عليها السلام وخطبت وكان يفترض أن يكون هذا الارتجال عنصراً سلبياً يضعف الخطاب، لكننا لم نجد لهذا أثراً.

٢. كذلك فإن مما كان يحتمل فيه التأثير السلبي للخطاب الزيني (مضموناً أو أسلوباً) هو البيئة التي تم القاء الخطاب فيه فإن من الطبيعي أنه عندما تخطب امرأة وسط النساء ستكون أكثر انطلاقةً وقدرة بعكس ما إذا كانت في وسط رجال ويصنفون على أنهم أعداء شامتون، لكننا أيضاً لم نلاحظ تأثيراً سلبياً مباشراً في هذا الخطاب لهذه الجهة.

٣. يضاف إليه وضع السيدة زينب عليها السلام النفسي والروحي بل والبدني، فإنها لتوها قد قطعت سفراً شاقاً استغرق أكثر من أسبوعين ويضاف إليه قرابة أسبوع قبل ذلك في الكوفة، في جهد يضعف بلا ريب امرأة تخطت الثالثة والخمسين من العمر، وقد فقدت إخوتها وأبناءها وأبناء أخيها، وكلفت رعاية هذا الجمع من النساء والأطفال، إن كل ذلك كان من الممكن أن يؤثر تأثيراً سلبياً للغاية ينكسر فيه الخطاب ويتعثر، لكننا مع كل ما سبق نجد خطاباً في أشد درجات التماسك والقوة والاعتدال والاحكام.

٤. سوف نلاحظ أن الخطبة وهي كما قلنا لا تعد من الخطب الطويلة فهي بحدود الثلاثين سطراً، إلا أنها احتوت على عدد كبير من المفاهيم الدينية والمعرفية والتاريخية، واستشراف المستقبل، وتحليل الحدث الحسيني والكربلائي، ولا تزال كلماتها إلى يومنا هذا وكأنها قيلت للحظتها.

٥. نلاحظ أن العقيلة زينب عليها السلام قد انتخبت آية قرآنية خاصة في مقدمة خطبتها، ولم يكن ذلك على سبيل التبرك بأي القرآن كما يفعل بعض المتكلمين، وإنما اختارت بدقة آية تنطبق على المقام، وبيان ذلك أنها: بعد البسملة وحمد الله عز وجلّ والصلاة على محمد وآل محمد ذكرت الآية المباركة بقولها: صدق الله حيث يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْرِئُونَ﴾.^(١)

وهذا أفضل توصيف لحالة يزيد بن معاوية، فإن العاصي الفاسق يتدرج

١- سورة الروم: آية ١٠.

في المعصية من درجة فاسق فاجر، مع بقاءه على أصوله الاعتقادية، إلى أن يصل إلى درجة المكذب بآيات الله، وغير المعتقد بها، والذي لا (يؤمن) بيوم المعاد، فإذا كان في البداية يشرب الخمر وهو فاسق كما عرف عن يزيد، إلا أنه سينتهي فيما بعد إلى التكذيب بمواعيد الله، وآياته فيقول:

ما قال ربك ويلٌ للألى شربوا بل قال ربك ويلٌ للمصلينا

وإذا كان يُمارس الزنا والمنكرات وهي كلها من فساد الجوارح، إلا أنه وصل إلى درجة التمثل بكلام أحد كفار قريش في قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خـبر جاء ولا وحي نزل

ويعد هذا التشخيص في الحقيقة لشخصية يزيد في غاية الدقة.

٦. بعد استشهادها بالآية قالت عليها السلام: (أَطْنَنْتَ يَا يَزِيدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَأَفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا، نُسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الْأَسَارَى بِأَنَّ لَكَ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ وَأَنَا لَنَا عَلَيْهِ هَوَانًا)، وفي هذا نسف كامل لما سبق أن قاله يزيد أمام الحاضرين في زعمه بأن الانتصار الظاهري يدل على الفضيلة الالهية، في حوارهِ أمام زين العابدين والحاضرين، عندما قال: لقد حاكم الله أبي وأباه فحكم لأبي على أبيه^(١) وكذلك زعم بالنسبة للحسين، في مقابل ذلك تقول العقيلة: إن مقتلة شخص أو حياته وأسرع عياله أو سبيهم لا يعني أن الله سبحانه راض بذلك وأنه مع القاتل ضد المقتول! كلا.

إنما الصحيح هو ما ستستدل به من القرآن من قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢) إنما هي قضية استدراج وإملاء.

٧. وثائق تاريخية زينية في وقت مبكر: من ذكاء وتركيز العقيلة

١- الغريب أن نفس هذا المنطق الأموي يتبناه بعض المسلمين كأتباع أحمد بن تيمية الذي يرى أن من جملة ميزات معاوية أنه صار ملكا على المسلمين وأن عليا بن أبي طالب قد خذل في حروبه!!

٢- سورة آل عمران: آية ١٧٨.

زينب هي أنها سجلت في ضمن خطابها مجموعة من الوثائق التاريخية التي ستبقى تقاوم التزوير والتزييف، وهي «سَوْكُك بناتِ رسول الله سبايا قد هُتكت سُتورُهُنَّ، وأُبديت وجوهُهُنَّ؟! تَحْدُو بهنَّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهلُ المناهل والمناقل، ويتصَفَّح وجوههنَّ القريب والبعيد والذني والشريف! ليس معهنَّ من رجالهنَّ وُلِّيَّ، ولا من حُماتهنَّ حَمِيَّ» وأيضا في قولها: «مُنحنياً على ثنايا أبي عبد الله وسيد شباب أهل الجنة تنكتها بمُخَصَّرتك^(١)». .. وهذا من الأهمية بمكان فإننا قد وجدنا محاولات يائسة من قبل أتباع الخط الأموي لإنكار الحوادث كلاً أو بعضاً، حتى لقد أنكر بعضهم أن يكون الأسارى قد حملوا وأخذوا إلى دمشق، وأنكر بعضهم أن يكون يزيد قد قرع ثنايا الحسين بل أن يكون رأس الحسين قد أخذ إلى الشام!!

إن تسجيل العقيلة هذه الحقائق كوئائق لا تقبل الترييد، والتألم والتفجع بشأنها يرد بقوة على تلك المحاولات.

٨. التحقير والاذلال والتهديد: فالعجيب ان العقيلة زينب في الوقت الذي كان يفترض فيه أن تكون في أدنى حالات الضعف والهوان، وفي المقابل أن يكون عدوها يزيد في أوج انتصاره وقوته وجبروته، إلا أنها حقرتة بما لم يسبق أن فعل أحد بأحد ومسحت به التراب والهوان، فقد رأت أنه دون مستوى من أن تتخاطب معه وأنها أسمى من أن تنزل لذلك، لكنها أحكام الزمان والدواهي العرجاء، ومع ذلك فإنها تستصغر قدره! وتستعظم تقريعه! وتستكثر توييخه!

ثم لا يتصور أن الأمر هذه نهايته! إن لهذا ما بعده! ما تصوره غنيمة سيرجع عليه غُرماً ونقمة.

١- المخرصة: ما اختصره الشخص بيده فأمسكه من عصا أو مقرعة أو عترة أو عكازة او قضيب وما أشبهها. لسان العرب ٤/٢٤١.

ولا ينبغي أن يعنى عن المستقبل، فإنما هي أيام قلائل ليتبدد هذا الجمع ولتفل هذه القوة، وفي المقابل فإن الباقي هو منهج الله وأوليائه، وبقاؤنا هو بقاء ذكر الله ووعي الأنبياء، ثم النتيجة في القيامة يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

وأما نص خطبتها فهو هكذا^(١)

قال الراوي: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسول وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وأفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسراء إن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرک عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسرورا حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول لله صلى الله عليه وآله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدي والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم.

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل منحنياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة

١- اللهوف / ١٠٨.

باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد
المطلب وتهتف بأشياخك، وزعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم
ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم
خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا
فو الله ما فريت إلا جلدك ولا حزرت إلا لحمك ولتردن على رسول الله صلى
الله عليه وآله بما تحملت من سفك ذريته وانتهكت من حرمة في عترته
ولحمته وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقون﴾. وحسبك بالله
حاكماً وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من
سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شرُّ مكاناً
وأضعف جنداً ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك
وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى الا
فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فهذه
الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر
الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا
وشيكاً مغرماً حين لا تجد الا ما قدمت يداك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعبيدِ﴾، فإلى
الله المشتكى وعليه المعول فكذ كيدك واسع سعيك وناصر جهدك فوالله لا
تمحو ذكرا ولا تميت وحيناً ولا يرحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك
إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد
لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة
ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة
إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد لعنه الله :

يا صيحة محمد من صواخ ما أهون الموت على النواخ

المجلس الثاني وخطبة السجاد

نحتمل من خلال القرائن التاريخية أنه كان هناك مجلس آخر تم عقده في المسجد المعروف بالأموي وهو الذي يتصل به قصر يزيد وربما يكون في اليوم التالي مباشرة، مع استعدادات مفصلة وحضور أكثر من العامة، بخلاف المجلس السابق الذي كان في القصر حيث لم يتيسر لكل من يريد أن يحضره. ومن خلال ما يتجمع من قصص وأحداث يتبين فيه حتى وجود بعض غير المسلمين ممن صادف وجودهم في تلك الأيام في دمشق أو كونهم زوارا للسلطة، كما يظهر منها أيضاً أنه كان بإمكان بعض العامة أن يتخاطب مع يزيد في شأن (طلب احدى الأسارى للخدمة) وهكذا.

يفترض أنه بعدما اخذ الجميع مواقعهم، لم يتحدث يزيد هنا مباشرة وكأنه اكتفى بما قاله في اليوم الماضي وألجمه ما سمعه فيه، فأمر خطيباً أن يبين وجهة نظر السلطة الأموية من خلال التهجم على أمير المؤمنين علي والامام الحسين عليهما السلام، وبالطبع مدح يزيد بن معاوية وأبيه وذكرهما بكل جميل!

فوقف الإمام السجاد عليه السلام في وجهه وقال: « ويلك، أيها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوا مقعدك من النار»، ثم قال: «يا يزيد! انذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب»، فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين! انذن له ليصعد، فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟! فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً، ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود. فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب فقال: «أيها الناس أعطينا سناً، وفضلنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة،

والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأننا من النبي المختار محمداً صلى الله عليه وآله، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد الرسول، ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنا سبطا هذه الأمة، وسيدا شباب أهل الجنة، فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من انتزرت وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولجى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وصلى القبلتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيرا المشركين، وسهم من مرآمي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علم الله، سمح سخي، بهلول زكي أبطحي رضي مرضي، مقدم همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمام، قاطع الأصلاب، مفرق الأحزاب، أربطهم جناناً،

وأطبقتهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، وغيث هائل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسننة، وقربت الأعنة طحن الرحي، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز؛ وصاحب الإعجاز؛ وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق مكي مدني، أبطي تهامي، خيفي، عقبي، بدري، أحدي، شجري، مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول.

قال: ولم يزل، يقول: «أنا أنا» حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن: أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: الله أكبر، قال علي بن الحسين: «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله»، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي: «شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي. ومخي وعظمي»، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت عليّ من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يا يزيد! محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدي، فلم قتلت عترته؟»^(١).

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة، فتقدم يزيد وصلى صلاة الظهر.

ومن التأمل فيما حدث نشير إلى الأمور التالية:

١. يعتبر هذا المجلس وما جرى فيه بمثابة الضربة القاضية للإعلام الأموي وما كان يستهدفه، فلقد اشتمل هذا المجلس على ما توقعه يزيد وحصل بالفعل من أن السجاد لن ينزل إلا بفضيحته وفضيحة

١- الخوارزمي: الموقف؛ مقتل الحسين ٧٨/٢.

آل أبي سفيان، فلقد فضح الإمام السجاد ذلك الخطيب من أنه إنما قال ما قال طمعاً في المال واشترى سخط الله بما فعل، وحيث تم فضح ذلك تشكل خط ضاغط باتجاه أن يسمعوا الحقيقة من الإمام السجاد عليه السلام، بالرغم من معارضة يزيد وأركانه لذلك، وهذا ملفت للنظر أن يكون الناس الذين استجلبوا ليسمعوا كلام السلطة وآراءها يصرون على أن يسمعوا كلام المعارضين للسلطة وتحديداً الإمام السجاد عليه السلام.

٢. مع ارتقاء الإمام السجاد المنبر تحول ذلك المشهد إلى محفل عقائدي لا نظيره، فلم يكتف الإمام عليه السلام بالتعريف السريع والعاجل الذي شهدناه في خطبته المختصرة في الكوفة، وإنما تحول إلى شيء آخر، فقد عرف الناس بشكل مركز بأمور، أولاً: بالأسرة النبوية العلوية وأنها قد اختصها الله بخصائص، وفضلها بسبع ميزات لا تشركها أي أسرة أخرى في المسلمين؛ كون النبي المصطفى، والزهاء، وحمزة سيد الشهداء، والوصي امير المؤمنين، والطيار جعفر، والسبطين من هذه الاسرة لا سواها.

٣. أغرق الإمام السجاد في التعريف بجده أمير المؤمنين علي عليه السلام، نزاعاً في نصّ قد لا نجد نظيراً له في النصوص الأخرى من حيث استيعابه وتشعبه، واسترساله. وكأن هذا الموقع الذي كان يشهد على الدوام شتم أمير المؤمنين عليه السلام من زمان معاوية إلى هذه الأيام كان ينتظر مطر هذه الكلمات لتغسل غبار وهباء الكذب الأموي، فإذا بها تنساب من شفتي الإمام السجاد عليه السلام، وهي أشبه بدرس عقائدي مفصل.

فبعد أن نسب نفسه إلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله في اثنتي عشرة صفة، نسب نفسه إلى أبيه أمير المؤمنين فيما يقارب من تسعين صفة، وهكذا يكون الدرس العقائدي المفصل، كل صفة منها تشير إلى جهة كمال من كمالات أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. وبالطبع فإن يزيد وهو يدرك تغير الموقف، بأن أصبح سمع الناس جميعاً في لسان الإمام يحتكم فيه كيف يشاء، لم يَرَبُدَّ أن يقطع كلام الإمام فاستفاد من وقت الصلاة الذي كان قد حل، ليأمر المؤذن أن يؤذن وقصده قطع كلام الإمام، وحيث أنصت الإمام مستفيداً من الموقف ومقرراً العقائد الأساسية في التوحيد، ثم النبوة، سائلاً يزيد: محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن قلت إنه جدك فقد كفرت وإن قلت جدي فلم قتلت عترته وذريته؟ انتهى ذلك المجلس على الأمويين بنحو أسوأ مما انتهى عليهم مجلس اليوم الماضي، فإذا كانت السيدة زينب قد مرغت أنف يزيد في التراب في اليوم المنصرم، فلم يعد إلى الحديث بعدها في اليوم التالي، فإن ما حدث في هذا المجلس كان أقسى بكثير مما حصل في المجلس السابق ولذلك نعتقد أنه لم يعد يزيد إلى مثلها فيما تلى من الأيام، وبدأ يفكر في التخلص من هذا الأرق والقلق الذي بات يصنعه له وجود الأسارى في الشام.

يزيد حين تنصل من الجريمة

كما سبق أن ذكرنا في صفحات سابقة من أن الوضع انقلب على الأمويين، فلا هم يستطيعون أن يبرروا العمل الذي قاموا به لا سيما مع شدة شناعته، ولا يستطيعون تسويقه بين الناس، بل لقد تفاعل الوضع في الشام بنحو لم يتوقعه الأمويون، فقد بدأت الاحتجاجات والمعارضة من داخل الدائرة الأموية الخاصة، وبالطبع فإنها تتوسع كلما ابتعدت تزداد تعاطفاً مع أهل البيت واحتقاناً ضد الأمويين.

لقد نقل المؤرخون أن بعض نساء الأسرة الأموية كانت تتعاطف مع نساء أهل البيت عليهم السلام، ولا نستبعد هذا أبداً لما عليه النساء عادة من المشاعر التي قد تتجاوز ما عند الرجال من مواقف سياسية أو غيرها، بل وجدنا أن بعض أفراد هذه الأسرة يقبحون ويشنعون ما قام به الأمويون من قسوة وبشاعة سواء في القتل أو السبي، ونسب بعضهم ليحيى بن الحكم، أخ مروان: **لَهَامُ بَجْنِبِ الطِّفِّ أَدْنَى قَرَابَةٍ** من ابن زياد الوغد ذي الوغل **سَمِيَّةٌ أَمْسَى نَسْلَهَا عَدَدَ الحَصَى** وليس لآل الله يعرف من نسل هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من الأثر الذي تركه المجلسان اللذان تحدثنا عنهما. وقد تنبه يزيد إلى التغيير الحاصل في المزاج العام عند الناس^(١) وأنه لم يعد يحتمل مزيداً من الإيذاء لأسارى أهل البيت عليهم السلام، فاتخذ عدداً من الخطوات: منها كان التخفيف عن حضورهن، وفي المقابل افراد مكان مناسب

١- الكامل ٨٧/٤ وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسره ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنههم وسبهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهن في سلطاني حفظاً لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورعاية لحقه وقربته، لعن الله ابن مرجانة فإنه اضطره، وقد سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بثغري حتى يتوفاه الله، فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولا بن مرجانة، لعنه الله وغضب عليه!

لإقامتهن،^(١) بل نعتقد أنه صار من الطبيعي أن يقام مأتم الحسين عليه السلام في مثل ذلك المكان.

بل تم تسريب أفكار إلى العامة تنتهي إلى تنصل يزيد مما تم فعله بالحسين وأهله، وألقيت اللائمة في ذلك على ابن زياد! وأنه هو المباشر في كل ما حصل ولو أن الأمر كان ليزيد لكانت النتائج مختلفة، وقد بقيت هذه الكلمات في المصادر التاريخية باعتبار أنها تمثل موقف يزيد الحقيقي مما استفاد منه أتباع الخط الأموي لتبرئة يزيد فيما يزعمون، لكن الحقيقة خلاف ذلك وإنما هو مناورة سياسية من يزيد لأجل دفع اللوم والمسؤولية عنه إلى جهة (غائبة) وكما يقولون تسجيل القضية على (غائب)!

(كلامه في أنه بغّضه إلى الناس.. هل كان ابن زياد متعمداً في ذلك؟

نعتقد أيضاً أنه اتخذ قسم غير قليل من نقلة الأخبار من أن يزيد كان جاداً في ندمه على ما فعل أو أنه حتى بكى، بل لقد تعثر البعض حتى في الكلمات فقد نقل بعضهم^(٢) عن سكيئة بنت الحسين أنها قالت: ما رأيت كافراً بالله خيراً من يزيد! والصحيح أنها كانت في صدد بيان قسوته وشدته لا سيما في أول الأمر، وأنها قالت: ما رأيت كافراً شراً من يزيد ولا أقسى قلباً منه! وبالطبع فإن أحداث اليوم الأول على وجه الخصوص كانت تتناسب مع هذا الكلام، من كونه قد نكت ثنايا الحسين عليه السلام وتهجم على النساء وتهكم عليهن! المهم في هذا أنه أصبح بقاء الأسارى في الشام، ولا سيما مع إمكانية خروج بعضهم للعامة، وأنهم لم يكونوا في الأيام التالية محبوسين أو معزولين، مثلما ينقل عن لقاء الإمام السجاد عليه السلام مع المنهال بن عمرو^(٣)، أصبح بقاء

١- على فرض أنهم أسكن في مكان غير مناسب حين المجيء نعتقد أن هذا الامر قد تغير بعد اليوم الثاني.

٢- ابن الأثير ٤/٨٦.

٣- المنهال بن عمرو الأسدي، توفي بعد ١١٠ هـ يعد من التابعين، وفي الاصطلاح الرجالي هو من أصحاب السجاد والباقر والصادق عليهم السلام بل روى عنهم، وقد وثقه بعض رجالي مدرسة الخلفاء، فيما نظر آخرون إلى مضامين حديثه وتوجهه لآل البيت فضعفوه.

هؤلاء مشكلة للحكم الأموي، فهم بمثابة علامة استفهام لا بد من الاجابة عليها، لماذا كان ما كان؟ بل هناك سؤال جديد وهو ماذا بعد؟ لنفترض أن الذي قام بما قام به ابن زياد في السابق، ماذا بعد الآن؟

ومع تنصل يزيد من المسؤولية، رأى أن يتخلص من هذا الموضوع من خلال إعادة ركب الأسارى إلى بلدهم حتى ينطفئ السؤال والاستفهام.

فأقدم على الخطوة الثانية وهي الاقتراح والتشاور مع الإمام السجاد في أن يرحلوا من دمشق إلى بلادهم، وهذا ما حصل بالفعل، وبالطبع فإنه لا شيء يربط الإمام السجاد عليه السلام وعماته وأهل بيت أبيه بالبقاء في الشام، فكان أن تم تجهيزهم لرحلة العودة، وبطبيعة الحال فإنهم سيختارون في هذه المرة طريق بادية الشام الذي يتجه إلى العراق شرقاً، وكما سبق أن ذكرنا أنه يبلغ نحو ألف كيلومتر تقريباً.

وبحسب ما يستفاد من المصادر التاريخية فإنهم خرجوا من دمشق ليلة الأحد^(١) الحادي عشر من شهر صفر سنة ٦١ هـ، ولأنه تم التوصية بالرفق بهم في المسير وهو ما تقتضيه طبيعة الأمور في هذه المرحلة فيفترض أنهم ساروا قاطعين الطريق بشكل هادئ من دون منغصات واضحة وأنهم كانوا متي شأؤوا الاستراحة والنزول فعلوا، ولعل هذا هو الذي جعل الطريق الذي لا يستغرق من الوقت أكثر من سبعة أيام، جعله يستغرق بهم حدود الأيام التسعة بحيث وصلوا إلى كربلاء يوم الثلاثاء العشرين من شهر صفر سنة ٦١ هـ. ونعيد إلى الذاكرة لتتميم البحث ما سبق في فصل سفر الركب الحسيني من كربلاء الى كربلاء من الجواب عن سؤال هل التقى الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري.

١- تاريخ المراقد ١٠١/٥.

الختم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله

بعد أن وصل ركب الأسارى كربلاء يوم الثلاثاء ٢٠ من شهر صفر سنة ٦١هـ، باتوا فيها ليلتين وبقوا ثلاثة أيام ليغادروها يوم الجمعة مساءً^(١) في ٢٣ من شهر صفر سنة ٦١هـ. وبطبيعة الحال كانت النساء والأطفال خلال هذه الأيام يعقدن ماتم الحزن والبكاء على القبور بعد فراق أربعين يوماً، كما أن بعض الرؤوس (والقدر المتيقن منها رأس الحسين عليه السلام) قد تم إلحاقها بأجسادها، ولا نعلم بشكل دقيق عما إذا كان قد تم استرفاق باقي الرؤوس من الشام أو لا؟^(٢) ولكن الروايات وقد بحثنا جانباً^(٣) منها في كتاب قضايا النهضة الحسينية تشير بوضوح إلى أنه تم إلحاق رأس الحسين عليه السلام ببذنه الشريف.

وفي طريق العودة إلى المدينة المنورة من كربلاء سوف نلاحظ أن وتيرة السير تأخذ بظناً أكثر، حتى أن المسافة التي هي لا تتجاوز ١٢٠٠ كيلومتراً كما فصلها في تاريخ المراقد، وهي في الحالة العادية من السير لا تحتاج لأكثر من اسبوع، ها هي تطول هنا لتصل إلى نحو ستة عشر يوماً، فقد خرجوا كما تقدم يوم الجمعة مساءً في الثالث والعشرين من صفر، ووصلوا إلى بوابة المدينة يوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٦١هـ.

وبحسب ما ذكره المحقق الكرباسي فإنه يظهر أنهم كانوا يباتون في الطريق، في أكثر من منطقة وبلدة أو منزل، بالإضافة إلى أن سيرهم كان وئيداً.

١- أشرنا فيما سبق إلى أنهم كانوا يفضلون السير في الليل والسحر لكون السرى في ذلك الوقت أرفق بالإبل قياساً إلى سيرها بالنهار مع حرارة الجو وشدة الشمس.

٢- هناك مجموعة تساؤلات، لعل أهل العلم والبحث يجدون إجابة لها: منها: أنه إذا قام الظالمون بتشهير الرؤوس من مكان إلى آخر.. فهل مع ارتفاع هذا الظلم يجب دفن رأس المسلم في أقرب مكان يمكن فيه ذلك؟ صيانة له وإكراماً؟ أم أنه يجوز الاستمرار في تأخيره ولو لعشرة أيام مثلاً حتى يلحق بجسده؟ ثم من يكون له الولاية على ذلك؟

٣- آل سيف؛ فوزي: من قضايا النهضة الحسينية ٣٢٣.

وهكذا كان الأمر إلى أن وصلوا إلى قرب حرة واقم طرف المدينة يوم الجمعة ٧ من شهر ربيع الأول سنة ٦١ هـ. ولم يشأ الإمام السجاد عليه السلام أن يدخل المدينة هكذا على حين غفلة، وإنما أراد أن يكون لمجيئهم تجديد لقضية الإمام الحسين وتذكير بما جرى عليه، فقبل هنا إنه أمر بنصب خيامه على أطراف المدينة، وحين رأى بشر بن حذلم وهو من أشياع أهل البيت، سأله عما إذا كان شاعراً وبإمكانه أن ينعى الحسين وأن يذكر الناس بمصابه، فلما أجاب بالإيجاب ندبه لذلك، وقام هذا من فوره رافعاً عقيرته مخبراً أهل المدينة بما عنده:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدار
الجسم منه بكريلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار
وبالرغم من أن خبر مقتل الحسين عليه السلام، كان قد وصل إلى أهل المدينة على مراحل متعددة سابقة إلا أنه قد كان يراد تحشيد وتعبئة الوضع العام ضد الجريمة الأموية.

١. فقد وصل خبر مقتل الحسين عليه السلام في نفس يوم العاشر والساعة المعينة بعد الظهر، وذلك فيما نقله المسلمون من أن أم سلمة عليها السلام زوجة النبي، وقد كانت نائمة فرأت في عالم الرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله حاسراً أشعث الرأس عليه الغبار وكأنه يلتقط من الأرض شيئاً وهو يبكي فسألته عن ذلك وقال لها: إني ألتقط دم ولدي الحسين فإنه قد قُتل الساعة، فقامت من منامها باكية وأظهرت الأمر صارخة بأن واحسيناه وأبن رسول الله فحدثت ضجة في البيوت القريبة من بني هاشم وأخبرتهم بذلك، بل لقد نُقل أن ابن عباس وقد كان كفيف البصر عندما سمع صراخاً عالياً من بيت أم سلمة قاده دليله إلى بيتها فأخبرته بمقتل الحسين عليه السلام وقالت: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني تربةً من تراب قبر

الحسين وقال: إذا رأيتها قد صارت دماً فاعلمي أنه قد قُتِلَ، وقد أرتهم كيف أن تلك التربة في تلك القارورة قد صارت دماً عبيطاً.

تصور أن الأمر مهم إلى الدرجة التي تحتفظ فيها أم المؤمنين أم سلمة بهذه القارورة مدة تصل إلى ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، وقد نقل هذا الخبر عن أم سلمة غير واحد من محدثي مدرسة الخلفاء وقد مرت الإشارة إلى مصادره. ٢. الإعلان الثاني لخبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام، جاء من السلطة الأموية نفسها، ونحتمل أنه استغرق ما يقارب عشرة أيام أو نحوها من بعد مقتل الحسين، حتى يصل الخبر إلى المدينة، وذلك أن عبيد الله بن زياد أمر أحد أعوانه ويسمى عبد الملك السلمي أن يذهب إلى المدينة ويبشر عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق (بما فتح الله عليهم) بحسب تعبيره وطلب منه أن يسرع في نقل الخبر وإيصاله، وبالفعل فقد جاء عبد الملك هذا إلى المدينة حتى قال بأنه أول ما دخل إلى المدينة: سألني رجل من قريش ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير.

فقال على الفور: لقد قُتِلَ الحسين!

ونعتقد أنه في مثل هذا وبعد أن وصل الخبر إلى بيوت بني هاشم وضجت واعية الهاشميين بل عموم أهل المدينة حزناً على الإمام الحسين عليه السلام، في مثل هذا كان للأشدق كلام وخطبة ونقاش، ويظهر أن قسماً من نقلة الأخبار قد خلطوا بين هذا الموقف وبين الموقف الأخير بعد دخول الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة.

فإنه لما صار الخبر وضجت الناعيات بالبكاء على الحسين عليه السلام، قال هذا: والله كأني أنظر إلى أيام عثمان، ثم تمثل بالقول:

عجّت نساء بني زييد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
وكان ذلك بكل المقاييس يعتبر من أتفه المواقف وأسوأها من الناحية الأخلاقية! فإن الحسين عليه السلام وأخاه الحسن لم يكن لهما من شأن في



موضوع عثمان، بل ربما أرسلوا للدفاع عن عياله وأهله! فما معنى أن يتمثل بذلك اليوم وكأنه يوم بيوم؟!

وأسوأ منه تمثله بما نقله عن عمرو بن معد يكرب في وقعتهم تلك، ولو كان يمتلك شيئاً من الحكمة بل حتى المداراة لكان كلامه في غير هذا الاتجاه. وزاد الطين بلة عندما خرج إلى المنبر، فخطب الناس، ثم ذكر الحسين وما كان من أمره. ثم قال:

والله لو ددت أن رأسه في جسده وروحه في بدنه، يسبنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته.

(ولو أردنا أن نمثل البجاجة والسماجة وسوء التصرف في موقف لما وجدنا أكثر تعبيراً من هذا الموقف)

فقام ابن أبي حبيش، أحد بني أسد بن عبد العزى بن قصي فقال: أما لو كانت فاطمة حية لأحزنها ما ترى إنه ابن فاطمة، وفاطمة بنت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى.

فقال عمرو: اسكت لا سكت! أتنازعي فاطمة، وأنا من عفر طبائها؟ والله إنه لابننا وإن أمه لابنتنا. أجل والله، لو كانت حية لأحزنها قتله، ثم لم تلم من قتله^(١)..

وفي مصدر آخر كانت العبارات بشكل آخر حيث قيل إنه قال في خطبته: إنها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، وموعظة بعد موعظة، والله لو ددت أن رأسه في بدنه وروحه في جسده كان يسبنا ونمدحه ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان، ولكن كيف نضع بمن سل سيفه يريد قتلنا إلا أن ندفع عن أنفسنا.

وفي هذا من الكذب الصريح، والفجور في الخصومة ما لا مزيد عليه، فهل كان مثل هذا الأشدق يصل الحسين كعادته والحسين يقطعه كعادته؟

١- المقفى الكبير للمقرئزي ٣/٣٤٢ كذلك ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد/٨٥.

أو أنه هو صاحب الثلاثين مسلحاً الذين أمرهم بأن يقتلوا الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة كما مر في الحديث عن وجود الحسين في مكة واضطراره للخروج من الموسم؟ وأكذب كلامه ما قاله من أن فاطمة منهم! وهو الأموي الوارث العداوة لها ولأبيها وأبنائها من آبائه، وأنه كانت سترحب بمن يقتل ابنها وتؤيد فعله ولا تلوم من يقوم بذلك!

هل رأيت أخي القارئ اختي القارئة خذلاناً إلهياً أعظم من هذا؟!

٣. المرحلة الثالثة من وصول الخبر هي مع وصول الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة، وفيها كما تقدم فقد أمر الإمام السجاد بشر بن حذلم بأن يجدد نعي الإمام الحسين عليه السلام ويذكر الناس بمصيبته وأن يندبهم للخروج واستقبال ركب الاسارى ومعهم الإمام السجاد، لتعزيتهم وتضميد جراح أنفسهم. وهذا بالفعل ما حصل، فقد خيم الإمام السجاد خارج المدينة لبعض الوقت وجاءه من يعزيه بأبيه ويتعاطف معه فكانت مناسبة اجتماعية لحشد التأييد والنصرة لخط الإمام الحسين عليه السلام، وإدانة الخط الأموي. والملاحظ هنا أن السلطة الأموية ممثلة في عمرو بن سعيد الأشدق كانت سلبية بحيث لم تستطع أن تتخذ إجراء في هذا الشأن، واكتفى الأشدق بسؤال الإمام فيما قيل بعد أن دخل المدينة وكان قد قرب وقت الصلاة بسؤاله: من الغالب؟

فأجابه الإمام بكبرياء: إذا أذن المؤذن تعرف من الغالب!

وكانه يقول له: إن معركتنا ونهضتنا كانت من أجل إقامة الأذان والصلاة، وتحشيدكم من أجل إلغاء ذلك، فلما بقي هذا الأذان وتلك الصلاة قائمة على سوقها فهذا يعني أننا حققنا هدفنا وخاب رأيكم وعملكم.

يشار إلى أن الإمام عليه السلام كان قد خطب خطبة قصيرة في من حضره من أهل المدينة قبل دخوله إياها أشار فيها إلى عظمة مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وما جرى على عياله، فقال: (الحمد لله رب العالمين

بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد
النجوى، نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة
اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاضعة الكاظئة، الفادحة الجائحة، أيها
القوم إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة،
قُتِلَ أبو عبد الله الحسين وسُبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من
فوق عال السنان، وهذه الرزية التي لا مثل لها رزية، أيها الناس فأي رجالات
منكم يُسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله، أم أي عين منكم تحبس
دمعها وتضنّ عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار
بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحياتان
ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون).

كلمة شكر

للأخوات؛ الفاضلة أمجاد عبد العال والفاضلة أم سيد رضا والفاضلة هديل الزيبي والفاضلة ليلى الشافعي والفاضلة فاطمة الخويدي، وللأخوات فاضلات لم يشأن أن يذكر اسمهن والأخ الفاضل الخطيب فتحي العبد الله.. وكذلك الأخ الفاضل أبي محمد العباد.

أقول للجميع : شكر الله السعي وتقبل العمل، وجعل لكل من كتب بكل كلمة نافعة، درجة في الجنة.

المصادر

المصادر بعد القرآن الكريم

حيث أن أكثر المصادر التي تم اعتمادها هي نسخ الكترونية على مواقع أو تطبيقات، فسيتم الإشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف والمطبعة كما جاءت على تلك المواقع، والاعتماد الأساس كان على مكتبة أهل البيت - الموقع الإلكتروني <https://ablibrary.net>. وبعض كتب مدرسة الخلفاء تم الاعتماد على تطبيق تراث تطبيق App.turath.io وهناك نسخ كتب تم تنزيلها في صفحات أو مواقع مخصصة لهذا الغرض على الانترنت، سيشار إليها.. ويكتب كاملاً. ولا يخفى أن قسماً من معلومات هذه الطبقات قد لا تكون موجودة بالكامل.

١. ابن الأثير الشيباني، علي بن محمد بن عبد الكريم، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
٣. ابن عساكر؛ علي بن الحسن ابن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت.
٥. الإستانبولي، إسماعيل حقي: روح البيان، دار الفكر - بيروت.
٦. الأسدي المكي، الزبير بن بكار بن عبد الله، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني عالم الكتب - بيروت ١٤١٦هـ.
٧. آل سيف؛ فوزي: من قضايا النهضة الحسينية، دار أطيايف للطباعة والنشر، القطيف.

٨. الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، تحقيق كاظم المظفر.
٩. الأمين النجفي، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتاب العربي بيروت
١٠. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - تحقيق حسن الأمين.
١١. البحراني الأصفهاني، الشيخ عبد الله، عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام) نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم.
١٢. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١
١٣. البرزنجي، محمد بن طاهر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت
١٤. البصري، خليفة بن خياط بن خليفة: تاريخ خليفة بن خياط تحقيق د. أكرم العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة.
١٥. البروجردي، السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية. قم (س).
١٦. البغدادي، محمد بن سعد: ترجمة الامام الحسين ومقتله من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت ١٤١٦.
١٧. البلاذري؛ أحمد بن يحيى أنساب الأشراف، تحقيق د. محمد حميد الله، دار المعارف بمصر.
١٨. البيروني، ابو ریحان: الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشر: ميراث مكتوب، طهران، تحقيق پرويز اذكائي.
١٩. بيضون، لبيب: موسوعة كربلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٢٧.

٢٠. الحراني ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٢١. الحسيني بن طاووس، علي بن موسى بن جعفر، اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى - قم - إيران.
٢٢. الحلبي، الحسن بن يوسف بن المطهر، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، مؤسسة نشر الفقهة.
٢٣. الحميري، ابن هشام السيرة النبوية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
٢٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن هلال: مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة.
٢٥. الخضري، محمد، الدولة الأموية، المكتبة العصرية صيدا، ٢٠١٧م.
٢٦. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٧. الخوئي؛ أبو القاسم الموسوي: معجم رجال الحديث، مؤسسة الخوئي الإسلامية ١٤١٣، الطبعة الخامسة.
٢٨. الخوارزمي؛ الموفق بن أحمد المكي: مقتل الحسين عليه السلام، دار أنوار الهدى، قم، تحقيق الشيخ محمد السماوي.
٢٩. الدينوري، ابن قتيبة، الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / منشورات الشريف الرضي تحقيق: عبد المنعم عامر
٣٠. الرضي، علي بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة (خطب الامام علي) تحقيق صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني.

٣٢. السيستاني، علي الحسيني، مناسك الحج، قم، الطبعة الأولى ١٤١٣.
٣٣. الشاهرودي، علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٤. شرف الدين، عبد الحسين: أبوهريرة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر- قم الشيرازي، علي خان المدني: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، منشورات مكتبة بصيرتي - قم ١٣٩٧.
٣٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت.
٣٦. الطباطبائي الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم ١٤٠٤.
٣٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
٣٨. الطبسي، نجم الدين (ومؤلفون آخرون)، مع الركب الحسيني، تحسين - قم
٣٩. العاملي، بهاء الدين محمد بن الحسين، توضيح المقاصد، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم ١٤٠٦.
٤٠. العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، قم.
٤١. العبسي: أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد - الرياض.
٤٢. العسكري، السيد مرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، دار التوحيد للنشر ١٤١٤ الطبعة الخامسة.
٤٣. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الحسين عليه السلام، انتشارات عطار، مشهد خراسان.

٤٤. العقيلي المكي، محمد بن عمرو: الضعفاء الكبير، عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت.
٤٥. الفيض الكاشاني، محمد محسن، كتاب الوافي، منشورات مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة أصفهان.
٤٦. القاضي الطباطبائي، محمد علي، رجوع الركب بعد الكرب، مجمع البحوث الاسلامية مشهد، تحقيق محمد الكاظمي ١٤٣٨.
٤٧. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام، مدرسه علميه ايرواني - قم ١٤١٣.
٤٨. القمي، الشيخ عباس، نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، المكتبة الحيدرية - النجف ١٤٢١.
٤٩. القمي بن بابويه، محمد علي بن الحسين، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم.
٥٠. القمي، محمد بن علي بن بابويه (الصدوق)، الأمالي، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة.
٥١. الكرياسي، محمد صادق محمد، الأطلس الحسيني، نشر المركز الحسيني للدراسات لندن.
٥٢. الكرياسي، محمد صادق محمد، تاريخ المراقد (الحسين وأهل بيته وأنصاره) نشر المركز الحسيني للدراسات لندن.
٥٣. الكفعمي العاملي إبراهيم بن علي، جنة الأمان الواقية وجنة الايمان الباقية (المصباح)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٣.
٥٤. لجنة التأليف، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، اعلام الهداية، مركز الطباعة والنشر.

٥٥. المدني، ضامن بن شدقم الحسيني، وقعة الجمل، تحقيق: السيد
تحسين آل شبيب الموسوي، مطبعة محمد.

٥٦. المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،
تحقيق يوسف أسعد داغر، منشورات دار الهجرة، قم.

٥٧. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، منشورات مؤسسة
الخرسان للمطبوعات بيروت.

٥٨. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر: المواعظ والاعتبار
بذكر الخطط والآثار دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩. المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون،
المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

٦٠. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسسة
الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي طهران ١٤١٧.

٦١. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، مؤسسة الخرسان
للمطبوعات - بيروت ١٤٢٦ ق - ٢٠٠٧ م.

٦٢. المهاجر، د. جعفر، موكب الأحران (سبايا كربلاء)، نسخة الكترونية
على موقع مركز بهاء الدين العاملي للأبحاث والدراسات ht عجل الله فرجه

الشريف: // رضي الله عنهم ٥ عليهم السلام رحمه الله i عليه السلام
org. / صلى الله عليه وآله iti عليهما السلام l عليه السلام . عجل الله

فرجه الشريف h عجل الله فرجه الشريف? i رحمه الله = ٦ & عليهما السلام
i رحمه الله = ١٤. #X_ _ رحمه الله ٥ عليهم السلام v عليهم

السلام IV

٦٣. الهيثمي بن حجر، أحمد بن محمد بن محمد بن علي، الصواعق
المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة تحقيق عبد الرحمن، التركي

مؤسسة الرسالة - بيروت.

الفهرست

٥	مقدمة
٩	السيرة الحسينية بين الإحياء والتغيب
١٥	تغيب القضية الحسينية بتشويه المصادر
٣٥	ترجمة الحسين ومقتله في تاريخ ابن عساكر
٣٨	مقتل الامام الحسين عند ابن كثيرالدمشقي
٤٧	مقتل الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام
٥١	مقتل البلاذري في أنساب الأشراف
٥٥	الأفكار المشبوهة وتغيب النهضة الحسينية
٧٥	تغيب القضية الحسينية بتغيير مناسبة عاشوراء
٧٧	المغرب العربي
٧٩	عاشوراء في مصر
٨٠	تغيير المناسبة بالصيام لأجل موسى بن عمران
٨٢	كلمة حول صوم عاشوراء
٨٧	تحقيق السيرة الحسينية: الخدمة الكبرى
٩٥	الحسين سيرة ما قبل كربلاء
٩٥	ولادة الحسين ورضاعه عليه السلام
١١٥	سيرة الإمام الحسين من سنة ٥٠ إلى ٦٠هـ
١٢٨	الإمام الحسين وتعريف الأمة بالأئمة
١٣٣	ماذا عمل الإمام الحسين في مواجهة هذا المخطط؟
١٣٥	معاوية يمضي لأمره تحت تهديد السيف
١٣٧	مع الإمام الحسين من المدينة إلى مكة



- كيف تتابعت الأحداث..... ١٤٨
- أجواء خروج الإمام الحسين من مكة..... ١٥٧
- هل كان الحسين محرماً للحج فأحل؟..... ١٥٩
- هل خرج وهو يعلم بمصرعه؟..... ١٦١
- الاتجاه نحو الكوفة..... ١٦٤
- ماذا فعل الحسين عليه السلام في مكة؟..... ١٦٧
- في موقف أهل البصرة من النهضة الحسينية..... ١٦٩
- موقف باقي المناطق المسلمة..... ١٧٢
- موقف الكوفة من حركة الإمام الحسين..... ١٧٣
- مع الحسين من مكة إلى كربلاء..... ١٧٩
- الفرزدق ومواقفه..... ١٨٢
- محطة زرود ولقاء ابن القين..... ١٨٤
- خبر شهادة مسلم بن عقيل..... ١٨٧
- زبالة والخبر عن عبد الله بن يقطر..... ١٨٨
- حين تزود بالماء ليسقي أعداءه:..... ١٨٩
- يوميات الإمام الحسين في كربلاء..... ١٩٣
- اليوم الثالث من محرم ٦١هـ الجمعة..... ٢٠٠
- اليوم الرابع والخامس والسادس من محرم..... ٢٠٣
- اليوم السابع والثامن من محرم..... ٢٠٧
- التاسع من محرم..... ٢٠٧
- مختصر مقتل الإمام الحسين عليه السلام..... ٢٠٩
- اليوم العاشر..... ٢٠٩
- أيها الناس إليكم الأنموذج..... ٢٠٩

- ٢٠٩ عبرة وعبرة.....
- ٢٠٩ دماء الحسين أبلغ عظة
- ٢٠٩ الحسين عليه السلام لم يمت
- ٢١٠ تأثير المجالس تراكمي
- ٢١١ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة في كل شيء
- ٢١١ أرادوا وأراد الله ولم يكن إلا ما أراد ولن يكون إلا ما يريد
- ٢١٢ لن يجد العالم أنقى من راية الحسين عليه السلام
- ٢١٣ إني أكره أن أبدأهم بقتال
- ٢١٤ والفضل ما شهدت به الأعداء
- ٢١٥ الحسين عليه السلام أراد أن يجي القيم والأخلاق في النفوس
- ٢١٥ حاجتنا إلى الحسين عليه السلام لا تنحصر في زمن أو مكان
- ٢١٦ جانب العبارة
- ٢١٧ الحسين عليه السلام يعظ القوم ويحذرهم... بعض كلامه عليه السلام يوم عاشوراء ...
- ٢١٨ قوموا إلى الموت الذي لا بد منه
- ٢١٩ وتقدّم أنصار الحسين عليه السلام
- ٢٢٠ وجاء دور الهاشميين ليحاموا عن إمامهم
- ٢٢٠ العباس عليه السلام يطلب الماء للأطفال فيغدرون به
- ٢٢١ الآن انكسر ظهري
- ٢٢١ الحسين عليه السلام يودّع العائلة
- ٢٢٢ امسح على رأسي كاليتامى
- ٢٢٣ أماه يا فاطمة قد أدبت الأمانة
- ٢٢٤ من شعر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء
- ٢٢٥ لا حول ولا قوة إلا بالله



- ٢٢٥ أنت عطشان وأنا عطشان
- ٢٢٦ هذا ابن قتال العرب
- ٢٢٦ السهم المسموم يستنفد قوى الحسين عليه السلام
- ٢٢٧ هكذا ألقى جدي وأنا مخضوب بدمي
- ٢٣١ سفر الركب الحسيني من كربلاء الى كربلاء
- ٢٣٧ هل التقى الركب الحسيني بجابر بن عبد الله الأنصاري؟
- ٢٤٣ قافلة السبايا في الكوفة بعد كربلاء
- ٢٤٤ مواقف الكوفة المختلفة في تلقي الخبر والسبايا
- ٢٤٦ الاحتجاجات الفردية الصاخبة
- ٢٤٨ الموقف الكوفي العام
- ٢٤٨ صورة مفترضة لما حدث
- ٢٥٠ بعد العرض العام... الأسارى في مجلس ابن زياد
- ٢٥٢ موقف نبيل من زيد بن أرقم
- ٢٥٣ كيف خاطبوا المجتمع الكوفي؟
- ٢٥٣ ١. خطبة السيدة زينب عليها السلام
- ٢٥٥ ٢. خطبة فاطمة بنت الحسين
- ٢٥٩ ٣. خطبة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٦٠ ٤. خطبة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام
- ٢٦٣ طريق السبايا من الكوفة إلى الشام
- ٢٦٣ خبر البريد إلى الشام لا يصح سنداً ولا مضموناً
- ٢٦٨ مع نفي الخبر تنفتح الأبواب
- ٢٦٩ المسافات وتقديراتها إلى الشام
- ٢٧٣ طريق الكوفة إلى الشام مشاهد ومواقف

- ٢٧٧ الأسارى في دمشق
- ٢٧٧ خطبة العقيلة زينب عليها السلام
- ٢٧٩..... مناقشات في مجلس يزيد
- ٢٧٩..... مجلس أو مجالس؟
- ٢٨٠ المجلس الأول
- ٢٨٣ خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد
- ٢٨٩..... المجلس الثاني وخطبة السجاد
- ٢٩٥..... يزيد حين تنصل من الجريمة
- ٢٩٩..... الختام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله
- ٣٠٥..... كلمة شكر
- ٣٠٧ المصادر

